دوريــة أدبيـــة ثقافيــة فكريــة مستقلة

تأسست في 22.04.2012

القلم الجديد

رئيس هيئة التحرير: خورشيد شوزي
نائب رئيس التحرير: د.محمود عباس

السنة التاسعة - العدد 101

2021 م / 2632 ك

كلمة العدد

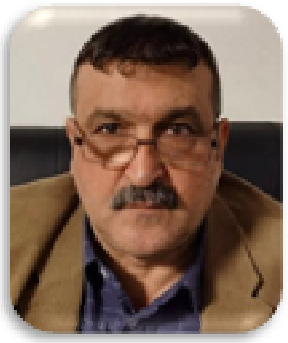

في اختلال المعايير:

الخارج داخلاً والداخل خارجاً

ابراهيم اليوسف

ما إن تم الإعلان عن افتتاح مقر لمكتب للاتحاد العام للكتاب والصحفيين الكرد في قامشلي في أواخر كانون الثاني 2021، حتى راح بعضهم ينظر إلى هذا الإعلان، وكأن كائناً غريباً من كوكب آخر، قد حطَّ الرحال في إمبراطوريته، إلى الدرجة التي خضع لهذا المؤثر- وإن لأول وهلة- بعض الشهود على تاريخ ودور هذه المؤسسة. ابنة المكان، والمولود الأول من نوعه الذي استطاع أن يواصل مسيرته، من دون أن يكون مجرد إعلان سياحي، نزووي، أو مرحلي، موقوت، من دون أية ترجمة، بالرغم من أن المؤسسة التي انبثقت من قامشلي، كمكان ولادة، وبتاريخ 2004، الرقم ذي الدلالة الاعتبارية لدى كل كردي، ناهيك عن رمزية يوم الصحافة الكردية التي شئنا أن يكون مثبتاً في سجلات قيمه المدني!، وكان له أعضاء في: كوباني- عفرين، كما سائر منطقة الجزيرة، كما الخارج- وإن لم نرد التوسع لها- أي للمؤسسة- آنذاك لاعتبارات تتعلق بالحرص على كاتباتنا وكتابنا- يسجل لها، ويشرفها، أنها كانت أول مولود نقابي، محدود شروط النقابية، أو مؤجلها، مع تفعيل بعض ما يلزم في معركة مواجهة الاستبداد الذي بصدد محو الوجود الكردي فوق ترابه. محو الإنسان الكردي في وطنه، عبرآلة تعريب هائلة- كما شبيهتيها من آلتي التفريس والتتريك في جزأين آخرين- ومن دون أي اعتراف لا بالآخر، ولا بثقافته، فكان اسم: رابطة الكتاب والصحفيين الكرد في سوريا، كمبادرة أولى لتسمية: اتحاد الكتاب والصحفيين الكرد في سوريا، مدوياً، صاعقاً، وهويرصد الانتهاكات بعيد انتفاضة الثاني عشر من آذار 2004، أو يصدر بيانات حول بعض القضايا، ما كان يجعلنا متواريين إلى حين، مكتفين بالإعلان عن بعض أسماء زملائنا وزميلاتنا، فحسب!

مؤكد، أن قرار افتتاح مقر للاتحاد في قامشلي لم يكن انفعالياً، فهو في رأينا- في المكتب التنفيذي- ومن حولنا زميلاتنا وزملاؤنا، جاء في لحظته المناسبة، ولا أبالغ قائلاً" في لحظته التاريخية" فلأن قرارنا في العام 2012- ومابعد بأن وضع آرمة على مكتب لنا يعني ما لانريده، واستغرق ذلك سنوات عديدة، في الوقت الذي تشفى، وتشدق أبعاضهم بإعدام هذا المولود، تلفزة، أوعبربيانات، أو في ندوات ومؤتمرات تآمرية، وكان قرارنا في كل مرة ألا نقدم على افتتاح مقر لنا هناك، لأن لمثل هذه الخطوة دلالات محددة، كانت في عداد ماهو ملغى، وسط معادلة لم نرها، على امتداد بضع السنوات الماضية مؤاتية، وإن كنا نرى في الوقت ذاته أن مجرد إيجاد مقر لن يفرض حضورنا الفاعل ما لم يكن لنا ما يشفع من دور نؤديه في خدمة أهلنا، لاسيما إن افتتاح مقر كذلك كان يمكن أن يؤثر على خطاب الاتحاد الذي يرى ذاته مستقلاً، إلا من خلال أداء دوره في سبيل خدمة رسالة أهلنا، وثقافتهم، في أحرج مرحلة تاريخية نمرُّ بها، من دون أن ننسى سلسلة المؤامرات التي تعرضت لها هذه المؤسسة، لدواع طالما كتبنا عنها، وهي مثبتة لدى ..... ص9.....

افتتاح مكتب

الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الكرد في سوريا

ملف العدد: السياسي و الأديب د.نورالدين زازا

الحلقة (4/4) .... ص (12) ....

هل سنعود إلى الوطن

د. محمود عباس

نبحث في هذه القضية المرعبة والشائكة دروبها، والتي رافقت ظهور الإنسان وستستمر، على خلفية اللغط الذي جري حول ما أقدمنا عليه نحن في (الإتحاد العام للكتاب والصحفيين الكورد في سوريا) بطرق باب من أبواب العودة إلى الوطن، من خلال إعادة فتح مكتبنا في قامشلو بعد غياب طال أكثر من عقد من الزمن، حتى ولو كانت كانت رمزيتها تغطي على واقعية الفعل، فعل العودة إلى الوطن، من واقع إحساس اللاإنتماء إلى احتمالية عودة المهاجرين الذين ربما يتجاوز عددهم المليون والنصف من جنوب غرب كوردستان، وخاصة الشريحة المثقفة، والمقدرة بشكل نسبي، بحدود ما لا يقل عن 60% بينهم خيرة الأدباء والكتاب والأطباء والمحامين وغيرهم من الاختصاصيين، إلى الوطن حيث جذور الانتماء، ومن بينهم نحن أعضاء المكتب التنفيذي لاتحادنا العام.

هنا لن أبحث في مسيرة الإتحاد العام، ما بين الوطن والمهجر، فقد تناولها الزميل إبراهيم يوسف أول المؤسسين له، بالإمكان العودة إلى مقاله المنشور في موقع (ولاتى مه) http://www.welateme.info/erebi/modules.php?name=News&file= article &sid=27172#.YBb3FuhKiUk. إشكاليات عدم العودة إلى الوطن، من أصعب القضايا التي واجهت وتواجه ليس فقط شعبنا في كوردستان،بل مهاجري البشرية بأجمعها، ولها أسبابها وما يرافقها من الأهوال تكاد تكون هي ذاتها، مرتبطة بأسباب الهجرة أو التهجير، وهي ذاتها التي تنخر في مراحل استقرار الجيل الأول، وكثيراً ما تدمره نفسياً واقتصادياً وثقافياً.

لا شك، هناك مسافات فكرية ودرجات من العاطفة ما بين الحنين إلى الأهل والوطن، فنحن كشعب كوردي وبشكل ..... ص9.....

بين الحلم والواقع في عصر الإرهاب البيولوجي

جان كورد

مخطىء من يظّن في عصر "الإرهاب البيولوجي" و"التطوّر التكنولوجي" الهائل هذا أن ما يحلم به سيتحقق رغم تغيّر الظروف الدولية والاقتصادية من حوله، فالعرب السوريون كانوا يحلمون لدى انهيار وسقوط الامبراطورية العثمانية بأنهم سيبنون "سوريا الكبرى" التي تضم سوريا الحالية و لبنان و فلسطين و الأردن، إلاّ أنهم فوجئوا مع انتصار الثورة البلشفية في روسيا في عام 1917م بوجود مخططات استعمارية من دون علمهم قضت على الحلم القومي السوري بالجملة، فهناك مشروع أو اتفاق سايكس – بيكو الذي هدفه تقسيم الشرق الأوسط طولاً وعرضاً بين الانجليز والفرنسيين، وهناك قبولٌ سعودي خطي وصريح بل ترحيب باحتمال تأسيس دولة يهودية في الأرض المقدسة لدى أتباع الديانات السماوية (اليهودية والمسيحية والإسلام) وسعي حثيث من قبل الطائفة العلوية السورية لإقامة دويلة للعلويين لرفضهم العيش تحت نير المسلمين السنة،..... ص11.....

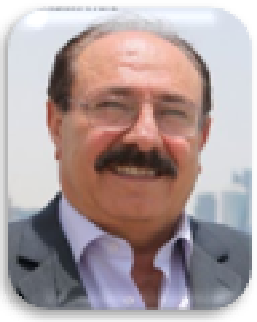

الانتخابات العراقية والنزاهة!

كفاح محمود كريم

تتّهمك الطبقة السياسية العراقيّة في ترتيبات إجراء انتخابات جديدة مبكرة منذ أكثر من سنة، ردّاً على احتجاجات تشرين 2019، التي أدّت إلى استقالة حكومة عادل عبد المهدي، والدخول في ماراثون المرشح البديل لحكومة الانتخابات المقترحة، وفي خضم هذا التهافت على إنتاج برلمانٍ بمجلسٍ واحد على ما يبدو خلافاً للدستور، تتكاثر الأحزاب تكاثراً شباطياً وانشطارياً، حيث تقترب من 300 حزب تحت مُسميات تبعد عنها الشبهة بالطبقة السياسية التي تتحكم بالنظام البديل لنظام الرئيس صدام حسين منذ 2003، والتي رفضتها تظاهرات ملايين العراقيين في بغداد وفي الوسط والجنوب العراقي، وهي في حقيقتها عملية تمويه لاستنساخ أحزاب وكتل بعناوين مختلفة عن النسخ الأصلية المتنفذة، وهذه المرة بأذرع ميليشياوية تُهيمن على الشارع، وعلى شريحة واسعة من المراهقين المغامرين والمهوسين بالنشاط الميليشياوي، مستخدمةً، ..... ص11.....

دور المثقف الكردي في المجتمع

احمد مرعان

لولا فسحة الأمل لانفطر الجرح ولم يندمل.. حتى الفقراء ببلادي يستحملون الجوع على أمل..والآمال قد تتحقق وقد تخفق وهنا مكمن الخطر.. ربما نفتقد الخطوات السليمة والمضنية ولا نفقد الأمل..

تُرى هل هذا نتاج تربية متوارثة أم هو بسبب اتكالية إشكالية بحكم القدر.. أم هو ضعف في موازين القوى التي لا نمتلكها أم قوى تتحكم خفية عن البصر..

نطمح والطموح مشروع، ونرضى بالقليل إن فقدنا الأمل.. قوانين الطبيعة ثابتة فبعد الشتاء يزهو الربيع ويثمر الشجر.. أما قوانين البشر فما أبشعها من صور وما أشبهها بقوانين الحظائر والتتار.. في النصف الثاني من خمسينيات القرن الماضي تشكل ..... ص11.....

محمود برمجة, Mûmê Welat

الشاعر الإنساني الرقيق المرهف الإحساس

روشن مصطفى

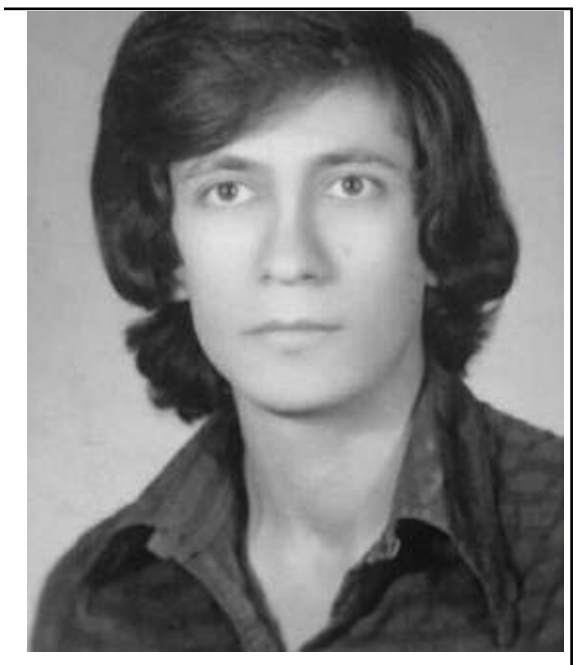

ولد ابن عفرين البار Mûmê Welat محمود برمجة ابن رشيد محمود برمجة في ناحية راجو منطقة عفرين في 1957/05/13... تلقى تعليمه في مدارس عفرين وحلب حتى نال الشهادة الثانوية، ثم انتسب إلى جامعة حلب كلية الآداب و العلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية لكنه توقف عن الدراسة في السنة الثالثة لظروف خاصة. التحق بالخدمة العسكرية الإلزامية في دمشق، ثم عمل في مجال التدريس في مدارس ريف حلب لبضع سنين. بعد أن أنهى الخدمة العسكرية عاد إلى حلب وتوظف كمحاسب في مجلس مدينة حلب وعمل فيها إلى أن تقاعد منذ قرابة سنتين.

نشأ و تربى وسط عائلة كردية وطنية محبة للعلم والثقافة والقيم والمبادئ المثلى، وتشبع بمفاهيم حب اللغة الكردية وحب الوطن وخدمة الشعب منذ صغره.

يقول في إحدى قصائده:

كردي أنا
يا زمن الإفك والجحود
فإن أخرستموني ستنطق مطرقتي
وجبالي، أشجاري وأنهاري
على قمم الجبال
ناري ستنطق حبة الزيتون
في فمك ستشرح أخباري
يا للعار! اليوم يُرسم قدري في داري، يُحفر قبري

كان الفقيد المرحوم مولعاً بالشعر والفن والثقافة والموسيقا. كان يعزف على آلتي البزق و الغيتار منذ صغره و كان مجيداً في لعب الشطرنج وملماً بالإضافة إلى لغته الكردية بالعربية والقليل من الفرنسية والروسية، فكتب الكثير من القصائد والأشعار للوطن والأم والمرأة والطفل والزيتون و عفرين وكوردستان:

يقول في عفرين:

عفرين
من عينيك تنساب أ
أنهار الخلود
ينابيع الفجر
وأيام الجدود
من شفتيك
تزمجر الحروف باللّوم واللؤم
وتصدح عِتابا.

كان كغيره من الكرد من عشاق الحرية والديمقراطية والعدالة والمساواة ومن أنصار تحرر المرأة فكتب العديد من القصائد والأشعار معبراً عن ذلك، حث الشاعر على العلم والقلم والمعرفة ومحاربة الفقر والجهل والحرب، إلى جانب جهوده الكثيرة والحثيثة لجمع مفردات اللغة الكردية من مختلف لهجاتها في خدمة كتابة لغة كردية فصيحة متينة وجميلة.

لم يشأ القدر لهذه القصائد الغنية بالوصف والشعر واللغة البليغة أن تطبع أو أن تنشر بسبب الظروف المادية و الأمنية غير أنني وعدت خالي منذ أشهر أن أساعده في جمع وتنسيق كتاباته وطبعها إن شاء الله لإغناء المكتبة الكردية، ولكن شاء القدر أن توفي خالي شيخ محمد برمجة قبل أربعة أشهر مما سبب الحزن والتأخير عن العمل؛ وإن شاء الله سأعود إلى العمل جادة في جمع وتنسيق كتابين في الوقت الحاضر الأول عبارة عن مجموعة قصائد باللغة الكردية والثاني باللغة العربية.

تزوج من اعتدال اوسو في عام 1995، وأنجبا أربعة أولاد هم هيمن، هيفيان، آرام وفيان.

و كان من المناصرين لحقوق المرأة والعدالة والمساواة وكذلك حقوق الطفل والإنسانية فكتب العديد من القصائد والأشعار معبراً عن ذلك:

لا أحبُّ الصمت
كن قمة تحسدك أنجم السَّماء
تقصدك الناس من كل فج
كن صاعق يخشاك كل من دب وهب
كن شلالاً هادراً يحفر في مَسقطه بلا
بلا كَلَلٍ
كن كبوق يوم القيامة
كن عاصفة
تكسرُ رتابة المشاعر
كن بركاناً
يلفظ الأفكار المهترئة
كُن صهيلاً
يعشقك الفجرُ
كُن صوتَكَ الذي تحبُّهُ

على الرغم من بعده عن عائلته وأولاده ظل قلبه شغوفاً بهم، فكتب لابنته في يوم زواجها عبر عن حزنه لعدم قدرته أن يكون بجانبها:

تلألأت دُرَّة لك في عينيكِ تذكُّرا
فأسالَت من عينَيّ احزاني أنهُرا
سألت الله فجرا، بشرى وأخبارا
ولَو أنَّ الورود رُسُلاً تلوّن الدّيارا
أو سُحُباً لِمحرابِ القلب أمطارا

كتب الكثير من القصائد والأشعار والكتابات الأدبية وعلم الآخرين اللغة الكردية في زمن قل من كان يعرف وصعب بسبب الظروف الأمنية، ولكن للأسف ضاعت كل كتاباته جراء الحرب والدمار في الوطن ودمار بيته في حلب إثر القذائف مما اضطر إلى أن يرحل وعائلته إلى تركيا بحثاً عن مأوى آمن لعائلته وأولاده، ولم تبق سوى القصائد والكتابات المدونة الكترونياً والقليل جداً مما وجد مع الأقرباء. لكنه عاد لوحده إلى حلب من أجل عمله إلى أن تقاعد، وعاش مع شقيقته آسيا و زوجها الأستاذ شكري في حلب إلا أن قلبه المحب لأولاده وعائلته دفعه لأن يخاطر بكل شيء من أجل الوصول إليهم، فعاد إلى عفرين أملا أن يستطيع العبور إلى تركيا و العودة إلى عائلته وأولاده ولكنه لم يستطع العودة بسبب الحرب والظروف الراهنة. بعد الهجوم التركي على عفرين واحتلالها، استطاع العودة إلى عفرين وحاول العبور إلى تركيا ولكن شاء القدر ألا يلتقي بهم ورحل عن عالمنا في 2021/01/25 في ناحية جنديرس حيث كان مقيماً عند الأقرباء.

كلمة طيبة..

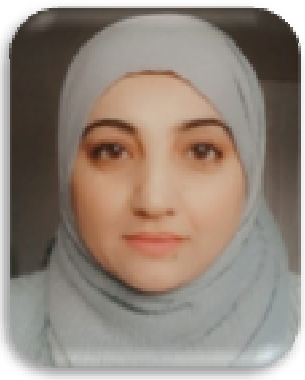

رقيــة حاجي

الناس لا يحتاجون من يقول لهم بأن وجوههم متعبة، وشاحبة..

لا يحتاجون من يخبرهم بأنهم اكتسبوا وزناً زائداً، ولا يحبون من يذكرهم بأن الشيب والتجاعيد غيّرا مظاهرهم..

لا يريدون أن يسمعوا بكم صار ثمن جرة الغاز و كرتونة البيض وقسط الجامعة الخاصة والرسوم الجيطوغرافية الإضافية على فاتورة الكهرباء والانترنت..

لا يسعدهم أن تتكلم حول الرجل الذي قطع رأس والدته، أو الصبي الذي فجر نفسه، أو العاق الذي ألقى بوالده في دار العجزة، أو تلك الفتاة التي انتحرت لأسبابٍ مجهولة..

الناس متعبة. متعبون. يا صديقي أكثر مما يبدو عليهم قلوبهم تائهة وأرواحهم توشك على الاضمحلال، فلا تزد على النار ناراً، ولا تحتاج إلى بعض (الفضفضة) كي تمرر لهم كل ذلك البؤس الذي يسكنك..

نعم الحياة لم تزدد إلا صعوبة، والتكنولوجيا لم تزدنا إلا شقاءً، والقتل بالدم البارد صار مستمرءاً ، والغلاء أحرق الجيوب والقلوب..

كلنا نعرف ذلك، فلا تخبرنا به أرجوك..

الناس "تريد" أن ترتاح من التفكير فقط، أن تجلس إليك لاحتساء فنجان قهوة أصيلة أو كاسة شاي بالنعناع الطازج من حديقتك، دون أية إضافات..

تحتاج للتذكير بأنها لا تزال تحتفظ ببريق العينين ورشاقة الروح وخفة الظل، تحتاج من يحدثها عن الرضى، من يذكرها بأن الأولاد نعمة وافرة وأن الصحة كنزٌ لا نراه، وأن الصباح يبزغ كل يوم جديد وطرد العتمة شرّ طردة..

توقف عن انتقاد نفسك في الآخرين، توقف عن قياس ومقارنة حياتهم بحياتك؛ ومفاضلة أعمالهم حسب قوانينك الشخصية..

اقرأ لهم السياسة من بوابة التاريخ، لتبين كيف للمنتكس أن ينهض..

اقرأ لهم الأدب من باب الحب، كيف رتقنا به أسمال قلوبنا وأرواحنا على الدوام..

اقرأ لهم الفن، بيديك ووجهك وقلبك..

وإذا أحببت البكاء فابكِ وحدك، ابك ما شئت أن تبكي ، أغسل قلبك واشكو لربك، ثم عد للحياة خفيفا طاهراً من الأسى..

إذا كنت حزيناً لا تحمّل ذنوب حزنك لأحد، وكما دار عليك كأس الحزن على غيرك سيدور، ومثله كأس السعادة..

سيحين دورك في الحصول على السعادة، وستدرك يومها بأنها كانت تحلق فوق رأسك، لكنك كنت مشغولاً بالشكوى..

ما يحتاجه الآخرون تحتاجه أنت،

فمرر لي كلمة طيبة أمررها لغيري قبل أن تعود لك..

ملاحظة

تم التعامل مع مفردة الناس تارة بصيغة جمع المذكر السالم والمؤنث تارة أخرى

مجلة پەیڤ، العدد 83

عن اتحاد الأدباء الكرد في دهوك، صدر العدد 83 من مجلة پەیڤ / الكلمة. وهي مجلة ثقافية، فصلية، باللغة الكردية. ضم العدد، عشر دراسات نقدية في مجالات النقد والشعر والقصة والأسطورة، ساهم فيها الكتاب:

د .نعمة الله حامد، دلير داؤد، كارزان فقي، جميل شيلازى، اسماعيل بادي، اسماعيل طاهر، مصطفى سليم، فرهاد حاجي، حكيم عبدالله .

وفي حقل القصة، نشرت قصص للقصاصين: د . فاضل عمر، اسماعيل سليمان، د،ابراهيم احمد سمو، د،امجد عبيد، هزرفان، د،محمد علي ياسين، محمد عبدالله،اديب عبدالله، نزار محمد سعيد ترجم من الهولندية للقاص قادر عبدالله، وترجم الشاعر شمال اكريي قصة ل لكاتا كريستى من الانكليزية.

وضم العدد مسرحية ل سرحان احمد سرحان... وضم العدد عشر نصوص شعرية للشعراء:

محسن قوجان، د،عارف حيتو، ژارو دهوكي، سلام بالايى، اشتي گەشمافي، روندك كولشن، سوران محمد، ياسين ديره شى، دلوفان حسن سليفاني، الند مزوري و علي بندي.

القسم اللاتيني من المجلة، احتوى على مقال ل تنكزار ماريني حول اللغة، ومقال عن الادب الساخر بقلم قادر شرين، وقصائد ل؛ مسعود خلف، دمهات ديركي، اسيا خرزان، جوان نبي، ماهين شيخاني، جان ولات.

يذكر ان صاحب امتياز المجلة هو القاص حسن سليفاني، ورئيس التحرير الشاعر شكري شهباز وسكرتير التحرير القاص حكيم عبدالله، وتتكون هيئة التحرير من خالد صالح، اشتي كه رمافي و رمضان حجي قادر.

الاخراج الفني والمونتيفات بريشة الفنان التشكيلي ستار علي، ولوحتا الغلاف ل لالة عبدة. المجلة تصدر بدعم مالي من قبل السيد نيجيرفان البارزاني رئيس أقليم كردستان - العراق

بلاد العم سام والذي لا تعرفه عنها

سرد سيرة ذاتية وحضارة بلاد

هند زيتوني

(El Norte) كان عنوانَ الفيلم الأولِ الذي رأيتُه في المعهد الأمريكي لتعليم اللغة الإنكليزية للأجانب، فورَ وصولي لبلادِ العم سام. كان يتحدَّثُ عن الهنود (المايان) Indian Mayan الذين نجَوا من مجزرةِ الجيش الغواتيمالي وقرروا أن يبدؤوا حياةً جديدةً في أمريكا. كان من المستحيل أن تتابعَ الفيلمَ دون أن تذرفَ الدموع.

حاول الهنودُ الدخولَ إلى بلاد العم سام، عن طريق المكسيك كلاجئينَ غيرِ شرعيين، ليواجهوا الموت، المصاعب والمحاكمة. بعد انتهاء الفيلم، وضعَ لنا المدرّس مايكل نشرة الأخبار كانت النشرة عن غزو صدام للكويت لنتعلم لغة السياسة.

وقد عرف بأنني عربية، نظر إليّ وقال ممازحاً: (أنتم تتقاتلون في بلادكم ويغزو بعضُكم بعضاً ثم تستنجدون (باليانكيز) أي الأمريكان. اليانكيز كانت تلك أوَّلَ كلمةٍ تعلَّمتُها. في ذلك الوقت كان يُلَمِّحُ بأنّ الجيشَ الأمريكيَّ يتأهَّبُ لطردِ صدَّام من هناك.

كنتُ أفكّرُ سراً بيني وبينكم بأنهم ربّما هم من دفعوه ليحتلَّ الكويت أو أعطَوهُ الضوءَ الأخضر ليفعلَ ذلك. ولكنني آثرتُ الصمتَ، لأنني كنتُ لاجئةً غريبةً لا تتقنُ الإنكليزية كثيراً. جئتُ لأبحثَ عن مكانٍ آمنٍ أستقرُّ فيه. أما الآن وبعدَ الحرب... أصبحَ السوريّون في موقفٍ لا يُحسَدونَ عليه فقد ازدادَ الوضع سوءًا.

جلسْنا في الصَّفّ، كنّا من جنسيَّاتٍ متعدّدة من جميعِ أنحاء العالم. جلسَ أمامي رجلٌ كهلٌ من بورتوريكو سألني من أيّ بلادٍ أتيت؟ قلت له: الميدل إيست. هتفَ على الفور بلكنةٍ إنكليزية ثقيلةٍ ومكسَّرة: أووو الميدل إيست (too much problem) كان الله بعونكم، لديكم مشاكلُ كثيرةٌ في بلادكم. حروبٌ طاحنةٌ لا تتوقَّف.

طبعاً كانت هناك حربُ اليمن السعيد (الذي لم يعرفِ السعادة في حياتِه) وحربُ العراقِ على الكويت وحربُ لبنانَ الطائفية التي امتدَّتْ لسنواتٍ عديدة. فهم يتابعون الأخبار.

لم أتفوَّه بكلمة... ولكنني ابتسمتُ من تلك اللهجة.

في بلادِ العمّ سام تُصهرُ الأجناسُ المختلفةُ في بوتقةٍ تسمَّى (The melting pot) حيث تتلاحمُ الأعراقُ والأديانُ لا فرقَ بين أوربي، عربي، أو أفريقي. بورتوريكي صيني أو صومالي. القانونُ يُطبَّقُ على الجميع وعندَ ارتكابِ أي خطأ يذهبُ الجاني إلى المحاكمة بغضِّ النَّظرِ عن مركزِهِ أو مهنتِه.

بعد فترةٍ من الزمن... تلاحظُ أن تلك السحناتِ المختلفة تتشابهُ فهي تجتمعُ تحتَ خيمةِ الإنسانية، تعملُ ليلَ نهار... وتعرقُ من أجلِ جَنْيِ المال، والعيشِ الكريم الذي حُرِمَتْ منه في بلادها.

أتذكرُ تماماً حين سألتُ أحد المكسيكان لماذا تركتَ بلادَك فأجابَني: الذي أجنيهِ هنا في يومٍ واحدٍ لا أجنيه في بلادي حتى لو عملتُ لمدَّة شهرٍ كامل. هنا الفرصُ مفتوحةٌ للجميع.

البشرُ هنا تعارفوا، أحبُّوا... عشقوا، تناسلوا، وتخالطتْ أنسابُهم وهماؤهم: وبنوا هذه الحضارةَ العظيمة... فكان الأطبَّاءُ العرب... والهنودُ الذين يسيطرونَ على التكنولوجيا والكمبيوتر وهناك الكثيرُ من المصريِّينِ العاملين في (ناسا). والمهندسين والمكتشفين أو المخترعين إنها بلادُ العلم ولكلّ مجتهدٍ نصيب.

نها بلادُ الحريَّةِ تعتنقُ ما تحبُّ من الأفكار أو الأديان، ترتدي الملابسَ الفاضحة أو السَّاترة من الرأسِ إلى أخمصِ القدمين. ولا أحدَ ينظرُ لأحد. بإمكانِكَ أن تكونَ مسلماً، مسيحيّاً أو حتَّى ملحداً. هنا لا توجدُ صورٌ لزعماءَ أو رؤساءَ على الجدران ولا تماثيلَ يركعُ لها الشعب ولا مخبرينَ يمشونَ خلفَك ليحصوا كم مرَّةً تتنفس!

الذي يتذوَّقُ الحرية... من الصَّعبِ أن يعودَ للسجنِ الذي كنّا نعيشُ فيه.

في بدايةِ التسعينات عندما كنتُ أقيمُ بالقرب من جامعة نيو مكسيكو أو UNM حيث تدخَّلَ الجيشُ الأمريكيُّ لتحريرِ الكويت. كنتُ أذكرُ جيداً بأن أغلبَ الشعب الأمريكي كان ضدَّ هذا التدخل. في بداية شهر أوغست خرجَ طالبٌ من الجامعة وخلعَ ثيابَه بالكامل ووقفَ في نصفِ ساحةِ الجامعة وقال جملتَه الشهيرة:

"I have nothing to hide but my government has everything to hide."

بمعنى: (ليس لديّ ما أخفيه ولكنَّ حكومتي تخفي عنا كلَّ شيء). بعد دقائق جاءتِ الشُّرطةُ وألقتِ القبضَ عليه بتهمةِ التَّعرّي أو المظهرِ غير اللائق والذي يسمُّونَه Indecent exposure لأن ذلك ممنوع في البلاد؛ أن تظهرَ عارياً تماماً. سألتُ نفسي لو تعرَّى أحدُهم في بلادِنا وصرخَ بنفسِ الطريقة هل سيبقى على قيدِ الحياة هو ومدينتُه؟ حتى أن الدستورَ الأمريكي يبيحُ لأيِّ شخصٍ مقيمٍ ولديه جنسيّة أمريكية، أن يحرقَ العلمَ الأمريكي مثلاً في الداونتاون ولا يستطيعُ أحدٌ القبضَ عليه.

كنت معجبةً بتلك الحريةِ التي يمتلكُها الفردُ ليعبّرَ عن رأيه، الطالبُ يدخلُ إلى الجامعة ويحصلُ على إعانة مالية ليكملَ دراستَه وأحياناً يأخذُ منحةً دراسيةً كاملةً لو كان كان متفوّقاً. وتعملُ الحكومةُ في البداية... لتأمينِ الغذاءِ الكاملِ للأمِّ الفقيرة من حليبٍ وسيريال وزبدة الفستق والعصير لتضمنَ أنها ستنجبُ طفلاً معافى وسليماً من الأمراض. كما تؤمن لها الرِّعايةَ الطبِّيَّةَ والأدويةَ اللَّازمة بما يدعونَه كلُّ الذين يعملون يجبُ أن يدفعوا ضريبةً للحكومة... لتضمنَ لهم المدارسَ الجيدةَ المجَّانية والجامعات، والحدائق، والمكتباتِ الكبيرةَ والشوارعَ النظيفة.

يبدأُ الفردُ بالعمل عندما يبلغُ السادسةَ عشرةَ من عمرِه كعملٍ جزئيٍّ في (كوفي شوب) أو مطعم ليحصلَ على مصروفه. ليتعلمَ الاعتمادَ على نفسه. وعندما يكبرُ ويتقاعدُ لا يجلسُ في البيتِ مطلقاً إما يعملُ كعملٍ جزئيّ (part time job)، أو يذهبُ ليلتحقَ بالأعمالِ التطوعية (volunteers) حيثُ من الطبيعيّ جدّاً أن ترى امرأةً قد بلغتِ الثمانينَ من عمرِها لتعملَ في المستشفى لترشدَ الناسَ وتساعدَهم أو لتساعدَ كبارَ السّنّ المرضى.

إنها منظومةٌ ساحرة، ويجبُ أن أعترفَ لكم؛ إنه كوكبٌ فريدٌ بغضِّ النظرِ عن السِّياسةِ الأمريكيةِ الجائرةِ التي يكرهها الجميع وبغضِّ النظرِ عن ملايين القتلى الذين تسبَّبتْ بإبادتهم في الحروبِ المتنوعة... ولكنْ- للأسف- شعبُها من أكثر الشعوبِ المتطورة في العالم.

بلدُ العلمِ والاختراعاتِ العديدة، النظافة، الترتيب، الجمال والسياحة. تمنحكَ العيشَ الكريم، تفتحُ أبوابَ الفرص والنجاح أمام الجميع بغضِّ النظر عن جنسياتهم، ألوانهم ودياناتهم. إنها بلادُ العم سام.

يوجدُ في كاليفورنيا وحدها ملايين العراقيين الذي يتركز معظمهم في كاليفورنيا وخاصة في مدينة (Elcajon) التي تسمى أيضاً مدينةَ الصندوق. في سان دييغو وأغلبُهم من الأثرياء أسَّسوا المحالَّ التجارية وأماكن السكن وغيرها من التجارة. كنت أستغربُ كثيراً من وجودِ المشرَّدين وخاصةً في مدينةِ سان دييغو الدافئة التي أزورُها كل عام لزيارة عائلتي. وكنت أسألُ نفسي كيف يصبحُ الإنسان مشرداً بلا مأوى، بلا سقفٍ يحميه من حرارة الشمس وبرد الشتاء؟

إنه لمنظرٌ طبيعيٌّ في منطقة (مشن ڤالي) أن تجدَ متشرداً قربَ محطةِ الوقود مثل 711/ أو Vons يجلسُ في سيَّارتِه ومعه كلبُه ويحملُ (الآي فون) هو متشرِّدٌ من نوعٍ متطوِّرٍ قليلاً عن المتشردينَ في بلادنا. وقد وضعتِ الحكومةُ الأمريكية، وصلاتِ الكهرباءِ لشحنِ الهواتف وعلَّقتْها على كلِّ الأشجار لشحن الجوالات.

في مشروع الداوتتاون الخيري كنتُ أذهبُ مع الجاليةِ المسلمة لتوزيعِ الطعام وفراشي الأسنان والمناشفِ للمتشردين والذين يدعونَهم هناك بالـ (homeless)، كانوا يفرحونَ كثيراً عندما يروننا ويحيّوننا بتحيَّةِ: (السلام عليكم).

ولقد عرفتُ بعد فترة بأن الإنسان ينتهي بالتّشرُّد إما بسببِ تعاطي المخدرات أو يفقدُ عقلَه عندما يعودُ من الحرب وقد رأى مشاهدَ القتل والموت. ويخوضون حروباً إما لأنهم يتطوعون في الجيش لعدم متابعةِ العِلم ونيلِ الشَّهادةِ الجيدة، أو الذهابِ للقتال حباً بسفكِ الدِّماء.

كانت لجارتي الثريَّةُ التي تسكنُ بقربي ابنةٌ متشردةٌ ثم تزوَّجتْ من شخصٍ يدمنُ على الخمر والمخدرات. وعندما طلبتِ المساعدةَ من والدتِها بعد أن خضعتْ للعنفِ والضرب، رفضتِ الأمُّ مساعدتَها وطردتْها من المنزل. التفكُّكُ الأسريُّ وسيطرةُ حبِّ المادة قد توثِّرُ على المجتمع والعائلة. هي حالةٌ تتكرَّرُ في المجتمع الأمريكي الرأسمالي وشاهدتُها بأمِّ عيني. وكُتب عنها في الجرائد.

ولكنّ هذا المجتمعَ المتطوِّرَ حريصٌ جداً على أبنائه فهو يقومُ بتعليمهم وتهيئتهم للعملِ في سنٍّ مبكِّرة جداً. عندما مارستُ مهنةَ التَّدريسِ في (اورلاندو) كان عليَّ أن أقومَ بحضورِ ساعاتٍ معينة للمراقبة في المدارس من أجل الخبرة. دخلتُ أحدَ الصُّفوف الأمريكية لحضورِ درسٍ لطلاب الصف الثامن كان المدرِّسُ يشرحُ للطلاب كيفيةَ التصرف في مقابلة العمل ويشرحُ للتلاميذ حركاتِ الجسم بما يسمونه Body language حيث لا يُستحسَنُ أن تهزَّ يدك وقدمك وأنت تتحدّث. وأن تصافحَ بشكلٍ جيِّد وبيدٍ مشدودة، وأن تنظر في عيني الإنسانِ الذي يتحدَّث معك. كل ذلك جعلَني مذهولةً تماماً أمام أشياءَ أسمعُ بها للمرةِ الأولى في حياتي. كنت شابّةً مقبلةً على الحياة.

الشباب والشابات من الأمريكان، أصدقاء أولادي وبناتي الذين يزورونا باستمرار ويجلسون على موائدنا العامرة في رمضان، يحبون طعامنا كثيراً، ويحتسون معنا الشايَ والقهوةَ العربية، يقولون لنا: أنتم من أجملِ الناسِ الذين تعرفنا عليهم بحياتنا ونحن نحزنُ من أجلِ الدعايات الكاذبة التي تروِّجُ لها الميديا بأشكالِها وتشوِّهُ صورةَ العرب بأنهم متخلفون وما زالوا يركبون الجمال. ومن هنا جاءت كلمة (Camel jocky). وهي كلمة يردِّدُها العنصريُّون أو red neck أحياناً وخاصةً بعد الحادي عشر من أيلول.

نجح أولادي وحصلوا على أعلى المراتب وسبقوا كل أصدقائهم الذين يدعونهم باليانكيز. وكان المدرسون يعتزون بهم كثيراً.

أتعبني الفيسبوك...وماسنجره.

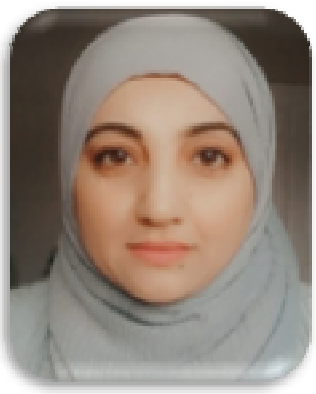

رقية حاجي

مجتمعاتنا الشرقية لا تزال تحتفظ ببعض الرواسب والعقد التي سببت لها أزمات عصيبة في العلاقات الإنسانية على أرض الواقع، وانتقلت معها إلى المساحات الافتراضية، لا سيمّا في علاقات الرجال والنساء.

من المؤسف أن يَفهم البعض قبول صداقته في هذا الفضاء على أنها دعوة لاختراق الخصوصية و التسلل إلى مساحة الآخرين الشخصية عبر الرسائل والمكالمات الخاصة، ومن المؤسف أكثر أن ننصاع لهذا الخبث ونتوقف عن أهدافنا الأساسية من إنشاء حساباتنا في العوالم الافتراضية، أو نتردد في نشر ما نؤمن به عبر الصور و الخواطر والمقالات.

مازالت الفتاة في مجتمعاتنا تُفهم بطريقة خاطئة عندما تنشر صورها وأفكارها، وكأنها بذلك تدعو الآخرين لصداقات عابثة، و تبحث عن الاهتمام بطريقة مبتذلة. عندما نقبل الصداقات في هذا العالم الافتراضي فنحن نعوّل في المقام الأول على المحتوى الذي نقوم بنشره، ثمّ نعول على رِقي الأشخاص الذين طلبوا الصداقة (وهو للأسف معيار لا يعوّل عليه مع الأغلب).

و عندما تكون صفحتنا الشخصية كتاباً مفتوحاً لمشاركة النَّاس خواطرهم و إبداعاتهم وأفكارهم، فهذا لا يعني بأنّها ساحة مفتوحة لمن (هبّ ودب). أرجو أن تُراجع محتوى صفحة الشخص الذي قبل صداقتك أولاً، ثمّ تراجع معلوماته الشخصية، لأن المحتوى هو أكبر دليل على هوية صاحب الحساب، ومعلوماته الشخصية توضح لك ما تود معرفته دون الرجوع إليه في صندوق رسائله الخاصة.

إذا كان لديك جوع عاطفي وحرمان من الاهتمام وتبحث عن صداقات لتلبية تلك الحاجة، والتي كان يرمز لها في الصحف والمجلات الورقية بالبحث عن شريك، فهناك عدد لا بأس به من الحسابات والمجموعات التي تخدم هذا الغرض، وتشبع رغباتك البدائية. أمّا إذا كنت تبحث عن مشاركة الناس تجاربهم وخواطرهم، فأرجو ألا تتعدى ردودك حدود التعليقات العامة، وإذا دفعك الفضول لسؤال مهم، فلا تتردد بسؤاله مباشرة في التعليقات العامة وطلب الإذن منه بدخول الخاص.

هذا ولن يقف (تخلّف) البعض في طريق أي شخص يسعى لإيصال رسالته بالطريقة التي يختارها هو وليس بالطريقة التي تختارها أنت، ولن تدفعه العقد والأمراض النفسية؛ من نشر ما يؤمن به ويحيا من أجله،أو اختراق خصوصيتك الشخصية، وإصراره على التحدث معك على الماسنجر وغير ذلك..، مهما تسببوا له من أذية أو توتر في حياته الشخصية.

المثقّفون وجريمة صناعة الدكتاتور

فراس حج محمد

أسوأ ما يقوم به شعب ومثقّفون وشعراء وملحّنون ومغنّون وإعلاميّون ونقابيّون وأحزاب وسياسيّون هو صناعة دكتاتور. نحن في أسوأ مرحلة من المرحلة الأسوأ في تاريخنا ونمجّد الأشخاص ونصنع دكتاتوراً.

الأمر ليس بسيطاً أو هيّناً، يبدأ بكلمة وبيت شعر، ولكنّه سينتهي إلى منظومة فكريّة كاملة ونهج سياسي وحياتي راسخ، وستجد بعد فترة شبّيحة له يدافعون عنه. ولماذا بعد فترة؟ إنّهم موجودون الآن شبّيحة النظام السياسي. موجودون على الفيسبوك ذباباً إلكترونيّاً أزرق عفناً. كما أنّهم موجودون في الشارع والمؤسّسات. ففي كلّ مؤسّسة مهما كانت طبيعة عملها هناك شبّيحة يحرسون الفساد من الانهيار. قد يكون رأس المؤسّسة نفسه وقد يكون الأدنى منه. وقد تتحوّل المؤسّسة كلّها إلى مجموعة شبّيحة تدافع عن الفساد وتتنمّر ضدّ المجتمع.

مبادرتان شهدتهما الساحة الفلسطينيّة في السنوات الأخيرة، كانتا تومئ إلى تمجيد الأشخاص، وترسيخ ما جابهه المثقّف الفلسطينيّ الواعي خلال عقود من النضال الثقافي والسياسي، مبادرة "رئيسنا قدوتنا"، وأوبريت "ملاك السلام"، مبادرتان لهما التوجّه نفسه في تصنيم الحاكم ورفعه إلى رتبة غير بشريّة، وقد تصدّى المثقّفون عموماً إلى المبادرة الأولى "رئيسنا قدوتنا"، وأفشلوا مشروع تعميم كتاب "رئيسنا قدوتنا" على المدارس، لتفرض دراسته على الطلّاب، واعتبار ما جاء فيه مقدّساً، ويستحقّ أن يدرس وأن يخلّد وأن يحتذى به. ففي الوقت الذي يسعى فيه المثقّف بنزع "برنس القداسة" عن شخصيات تاريخيّة لها إنجازاتها المهمّة التي لا يشكّ بها أحد، ويناضل من أجل تأريضها وإثبات بشريّتها المحضة وإخضاعها للمسائلة البحثيّة الصادقة والموضوعيّة، أتت هذه المبادرة لتضرب الأساس الفلسفي الذي يعمل عليه المثقّف الفلسطينيّ، فتروّج لصناعة "قدوة" ذات أعمال لا يُنظر إليها إلّا أنّها نهج سياسي مرحلي لا يدوم ومن طبيعته أنّه لا يدوم، نهج يتّفق معه من يتّفق، وله من يختلف معه وعليه، فلا يشكّل والحالة هذه أن يكون "قدوة" أو أساساً صالحاً ليكون كذلك.

أمّا الأوبريت فإنّه يدلّ على أنّ من قام بكتابته لا يتمتع بأيّ نوع من المسؤوليّة تجاه الثقافة أوّلاً، وثانياً تجاه نفسه، فلو كان هناك سلام لكان منطقيّاً، لكنْ أن يولد الأوبريت في ظلّ أسوأ وضع فلسطينيّ سياسيّاً واقتصاديّاً هنا تكون الكارثة حيث انعدام كلّ فرص السلام الحقيقي وليس على الأرض سوى القتل والاعتقال والحواجز والإذلال والاستيطان والإجرام. نأتي في ظلّ هذا الوضع ونتحدث عن السلام. هنا يكون الوضع مسخرة وضحك على الشعب واستهزاء بتضحياته وإهمال لمشاكله واستبعاد لقضايا الأسرى والاستيطان وكلّ ما يعاني منه هذا الشعب الواقف على فوّهة بركان قريب الانفجار.

هنا يظهر أنّ هذا النوع من المثقّفين الذين ساهموا في إنتاج هذا العمل: كاتب الكلمات، والملحّن، والموزّع، والموسيقيّين وتسجيل الأغنية، وكلّ ما يتطلّب ذلك من عملٍ إعلاميٍّ هم نتاج وضع سياسيّ وفكريّ غير مستقيم، وهم عناوين مرحلة بائسة جدّاً في تاريخ الأغنية الفلسطينيّة المقاومة. تلك الأغنية التي أنتجها كتّاب وملحّنون وفنّانون عظماء كانت تتلاشى ذاتيّتهم لتبرز الفكرة، ولم تكن تحفل الأغنية الوطنيّة الفلسطينيّة آنذاك بالشخص أيّاً كان موقعه، بل شاعت فيها مفردات العمل النضالي المرتبط بالشعب والأبطال على أرض الواقع.

لعلّ تينك المبادرتين قد ماتتا، ولم يعد يلتفت إليهما، لكنّهما يوفّران فرصة وأرضيّة لصناعة المثقّف السلطوي المدجّن الذي يسير في ركاب النظام الحاكم، ويسبّح بأمره، وهذا ما يلاحظه المتابع للشؤون الثقافيّة الفلسطينيّة، وكيف تتمّ- مثلاً- انتخابات اتّحاد الكتّاب الفلسطينيّين، إذ لا بدّ من أن يكون الأمين العامّ والأعضاء من حزب السلطة والأحزاب الموالية لها والداخلة بشراكة سياسيّة معها، فلا أعضاء مستقلّون إلّا إعلاميّاً، وهم في الحقيقة محسوبون على الحزب الحاكم، ولا انتخابات نزيهة ألبتّة، ولا أعضاء من أحزاب أخرى، كحماس والجهاد الإسلامي مثلاً. هذه الحالة الثقافية المرَضية أنتجت كياناً ثقافيّاً هزيلاً، تابعاً للسلطة ولأجندتها السياسيّة وبوقاً لسياستها، فيسكت عندما يرى أنّه لا بدّ من الصمت، والصمت عندئذٍ علامة موالاة وليس علامة رضا فقط، ويرفع عقيرته بالصراخ عندما يُطلب منه ذلك.

ولا أدلّ على ذلك من موقف الاتّحاد من تطبيع دولتي الإمارات والبحرين لعلاقتهما مع دولة الاحتلال، فقد هاجم الاتّحاد الدولتين بمفردات سلطويّة بداية الأحداث، ولكنّه صمت وبسذاجة مطلقة عندما أعادت السلطة العلاقات الدبلوماسيّة مع دولتي الإمارات والبحرين، وكأنّ الاتّحاد لا يسمع ولا يرى، لأنّه لا يحسن الكلام في مثل هذه المواقف، فلا يريد أن يُحرج نفسه مع وليّ نعمائه ومناصب أعضائه؛ الأمين العام والمعاونين له. وعلى العموم، فإنّ تتبّع مواقف اتّحاد الكتّاب السلطويّة المتناقضة يلزمها دراسة مفصّلة ليس هذا هو محلّها. قد أتفرّغ لها يوماً ما ليرى المتابع أيّ نوع من المثقّفين كان يضمّ هذا الاتّحاد. حالة أنتجها النظام السياسي في سيطرته على المثقّف ليحتويه ويجعله "حذاء" ينتعله متى ما أراد ذلك، ورأى أنّه من مصلحته كدكتاتور أن يفعل ذلك.

أتفرّغ لها يوماً ما ليرى المتابع أيّ نوع من المثقّفين كان يضمّ هذا الاتّحاد. حالة أنتجها النظام السياسي في سيطرته على المثقّف ليحتويه ويجعله "حذاء" ينتعله متى ما أراد ذلك، ورأى أنّه من مصلحته كدكتاتور أن يفعل ذلك.

إنّ ما وقع فيه، مجبراً أو مختاراً، اتّحاد الكتّاب وقعت فيه اتّحادات أخرى، ولعلّ أهمّ اتّحاد من ناحية ثقافيّة بعد اتّحاد الكتّاب هو اتّحاد المعلّمين، بل إنّ خطر اتّحاد المعلّمين أشدّ تأثيراً من اتّحاد الكتّاب، نظراً للمساحة التي يتحرّك فيها هذا الاتّحاد؛ وهي المدارس، وتعدّى عمله الناحية النقابيّة المتّصلة بحقوق المعلّمين والدفاع عنها- تلك الحقوق التي قصّر فيها الاتّحاد كما يرى المعلّمون- إلى التدخل في شؤون التعليم، بل وتجرأ أحياناً على أن ينازع وزارة التربية والتعليم عملها ودورها، ويتّخذ عنها قرارات تمسّ العمليّة التعليميّة، ناهيك عن دوره السياسي الداعم للسلطة، فقد تكوّن ولد بالعقليّة ذاتها التي ولد بها اتّحاد الكتّاب، ولذلك فهما- مع الاتّحادات الأخرى- دعامتان أساسيّتان للسلطة، فليس فيه مستقلّون، ولا يسمح لأبناء الحركات الأخرى أن يكونوا فيه.

بسبب هذا الوضع للاتّحادين صار ينظر إلى إليهما نظرة التابعيّة، وأنّهما ليسا أكثر من منفّذين لما يقرّره الجانب الأمني في السلطة، ولذلك فقدا الثقة بين جمهور المثقّفين والمعلّمين والطلّاب، وأنتج حركة من التململ والتمرّد ضدّ ما يقومان به، فلم يعد المعلّمون مثلاً يثقون بدعوات الاتّحاد للإضراب؛ معتبرين ذلك مسرحيّة وتمثيلاً، وراءها مكاسب خاصّة ونفعيّة لأعضاء الاتّحاد أو للتغطية على أعمال السلطة السياسيّة، أو للالتفاف على التحركات الاحتجاجيّة في الميدان التربوي الخارجة عن سيطرة الاتّحاد والأجهزة الأمنيّة، فصاحب المصلحة هو من يصدق الاتّحادين علانية، ولكنّه بينه وبين نفسه يرى أنّهما كيانان تدجينيان تابعان، وليسا ديمقراطيّين نهائيّاً، وإنّما يمارسان الدكتاتوريّة على وهج من تلميع صورة الدكتاتور الأكبر المتربّع على عرشه، متمسّكاً بالكرسي، ويقول كما قال غيره ***"أنا ربكم الأعلى"***، ولا يؤمن بفكرة تداول السلطة أو الشراكة الحقيقيّة، فأنتج هذا طبيعيّاً المثقّف المقولب الذي يؤمّن على قول الدكتاتور ويرضى أن يسايره وأن يكون له ظلّاً أحياناً، وأحياناً أحطّ من ذلك، ويتابعه طمعاً في منصب أو حتّى صورة عابرة ينشرها على حسابه في الفيسبوك، رافضاً كالدكتاتور تماماً فكرة الديمقراطيّة الحقيقيّة ويستبعد إمكانية تداول السلطة، فهو هو، وإمّا لا أحد، هذا لسان حال الدكتاتور الثقافي الذي صنعه الدكتاتور السياسي الذي هو بدوره أيضاً صنعه وحماه الدكتاتور الثقافي. فأيُّ مسخٍ ثقافيّ أنتج الدكتاتور؟ وأيُّ دكتاتورٍ مسخ لمّعه المثقّف المزيّف، وجعله إلهاً علّق صورته على حائط ليقدّسها كلّما هلّ صبح جديد؟

إنّ ما وصله المثقّف من حال متردّية يلزمها "ثورة" شاملة على كلّ تلك الأسس العفنة، وترسيخ أسس فاعلة، تساهم في إعادة إنتاج ثقافة مقاومة، ليس للاحتلال فقط، بل مقاومة لكلّ الفكر الفئوي الفاسد الذي يريد أن يحصر المثقّفين فيه، فالمثقّف ضمير الأمّة، أفإن مات الضمير ما معنى أن تكون مثقّفاً أساساً؟

في تأمّل تجربة الكتابة

الحريّة وسؤالها الظاهريّ الأسهل

هل سيساعد كتاب "نسوة في المدينة" على أن تتحرر حبيبتي أيضا كما تحررت أنا؟ يبدو أن هذا السؤال إشكاليّ، وربما ارتقى ليكون معضلة تستدعي التفكيك فليس سهلا على امرأة محبّة أن تتفاجأ بهذا الكم الهائل من النساء اللواتي كنّ على علاقة جنسية مع حبيبها بأوضاع مختلفة، سيكون هذا الكتاب عاملا منطقيا لإنهاء أي علاقة مهما كانت قوية ومتوغلة في الروح والقلب. التفسير جاهز ويترعرع بقوة، فهذا العمل خيانة وغدر وتلاعب وعدم تقدير، ويعطي مجالا للتشكيك بصدق تلك العلاقة التي كانت.

أتفهّمُ ذلك جيداً، وأقدّر ردة الفعل الطبيعية، ربما كانت مغامرة خطرة نشر مثل هذا الكتاب، وما يصاحبه من نشر الغسيل على العام، ليكون "السارد" الذي هو أنا متاحا ومباحا وعاريا لكل قارئ. أيضا أتفهّم جيدا ذلك الكم من الغضب العارم، وموجة البكاء الهستيري الذي عبّرت به حبيبتي بعد أن قرأت الكتاب، ونقاشتي فيه. فكيف كنت في الوقت ذاته أنسج تلك العلاقات "المقرفة" وأنا على علاقة عاطفية معها. إنها مصدومة صدمة شديدة، وتكاد لا تصدق. هذا ما قالته لي بمرارة. إنها كانت تبكي بحرقة، اختلط النحيب بالبكاء، بالصراخ، بالتهديد، ومانت الكلمات وتلاشت ولم أعد أتبين ما هي. "أيعقل أن أكون ضحية وغبية إلى هذا الحدّ؟"، هذاما استنتجته، فكأن الكتاب خيّب أملها خيبة كبيرة وهائلة.

كل محاولاتي ذابت في الأثير، وأنا أحاول هاهنا أن أشرح لها الهدف من الكتاب والفلسفة التي يقوم عليها، وأنني كنت أتحدى فيه نفسي وكل ما مرّ بي من قيود، أردت أن أتحرر من كل فكرة وكل شخص، حتى أنني أردت أن أتحرر منها هي ذاتها، لذلك كتبت الكتاب لنفسي تمرينا صعبا على الحرية، حتى لو خسرتها. هكذا كنت أفكر بيني وبين نفسي. لو خسرتها ولم تفهمني أكون على الأقل قد ربحت حريتي، ولكن هل يكفي كتاب واحد أن يمنح مؤلفه الحرية المطلقة؟

مالت بعد ذلك إلى القبول على مضض بالكتاب، مجبرة ربما على ذلك، مع أخذها قرارا شجاعا ألا تتركني، وتقطع العلاقة، فهي لا تتصور كما قالت: "أن تخلو حياتها مني". إنه موقف شجاع بالتأكيد، ممتن لها على أن اتخذته، لكنني أشعر بالعمق أنني قد شوهت صورتي أمامها، فهي إلى الآن لا تستطيع أن تزحزح صور النساء بأجسادهن وأنا أحدق فيهن ككائن أبله مجنون أستنزف شهوتي على صور أعضائهن الحميمة. كلما تذكرتْ ذلك ارتفع السور بيني وبينها، ولم تعد تثق بما أرسله لها من قصائد أو نصوص. تفكر دائما أن تلك النصوص ليست لها، وربما كتبت لامرأة أخرى موجودة في كتاب "نسوة في المدينة"، أو ربما لامرأة أخرى، وببساطة شديدة لم تعد على يقين أن تلك النصوص قد كتبت لها. لقد اتخذت قرارا عنيفا بألا تقرأ لي شيئا مما أكتبه، لم تعد تبصرني ولا تبصر ذاتها في تلك النصوص. كأنّ الكتاب أعماها، بل إنها صارت أكثر إبصارا للحقيقة، متمنية لو بقيت عمياء، وتصدقني فيما أدعيه من حبّ وشهوة في تلك الكتابات.

أعترف أنني خسرت كثيرا هنا، فإن لم تقرأ لي "حبيبتي" ما أكتبه، فما هو مبرر الكتابة أساساً؟ عندما أبلغتني بهذا الموقف، فإنّ شيئاً من داخلي انقبض، وتراجع دفق الدم في شراييني، وشعرت بالبرد والعري الأكثر ألماً، على الرغم من أنني لم أسئ لها شخصيا لا في الكتابة ولا في الكتاب، بل كنت "أسيء" لنفسي، إن سلمنا أن هذا النوع من الكتابة هو شكل من أشكال الإساءة للذات الفردية في نظرتها لنفسها، أو في نظرة المجتمع لها، كون الذات الإنسانية لا تتحرك في محيط مقفل خالٍ من البشر.

من خلال تلك الحوارات النافرة التي جرت بيننا بعد نشر الكتاب توصلتُ إلى قناعة أن "حبيبتي" تريد لي أن أكون "منافقاً" و"مقيداً"، ولا تحبّ لي أن أكون حرّا. وعندما أخبرتها أنني لم أكن أنوي كتابة تلك القصص في الأساس، بمعنى أن العلاقة مع هؤلاء "النسوة" لم تكن من أجل بناء مشروع سردي مستند إلى تجربة حقيقة، كما قد يفعل بعض الكتّاب، بل قررت ذلك بعد أن غادرت تلك النساء عالمي، ونسيت أسماء الكثيرات منهن. لم يعجبها ذلك، بل رأت أنه لو كان من أجل تجربة الكتابة لكان أهون، ولفهمتني أكثر وأعطتني العذر، كما أنها رأت أنني قد انفتحت كثيرا وهذا ليس صواباً، ورأت أنه من الأجمل لها ألا تراني بهذه الصورة، "فيا ليتك لم تخبرني وتخبر العالم بحقيقتك "السافلة".

شعرت بالامتعاض من موقفها هذا، لأنها أولا تريد أن تجعل "تجربة الكتابة" تقليدا خاويا من المعنى الفردي الخاص المرتبط بكاتبه، دون أن يكون لي أسلوبي الخاص في البناء الكلي للكتاب ومصدر مادته، وتصر على أن تدخل تجربتي الكتابية لتصبح شبيهة بطريقة الكتّاب في اقتناص القصص وصناعتها عن عمد من أجل الكتابة فقط، وثانيا لأنها تريدني انتهازيا مستغلاً، فالعلاقات البشرية-من وجهة نظري- لا تخضع للتجربة من أجل أن يبني أحدنا مشاريع كتابية. لا أومن بهذا الهدف بتاتا، فأنا مثلا لم أحبها لأكتب فيها شعرا، وإنما أكتب فيها شعرا لأنني أحبها. حاولت أن أبين لها أن هذا هو كل ما في الأمر؛ لقد تجمعت لديّ قصص تلك "التجربة"، فأحببت أن أكتبها، معتمدا على الذاكرة وليس على تحرير المحادثات الأصلية التي جرت بيني وبين أولئك النساء. في الحقيقة لقد مضى زمن طويل بين آخر قصة في الكتاب وبين الزمن الذي شرعت فيه بكتابة تلك القصص.

.....التتمة ص 11 .....

رحيل الكاتب والمفكر الكوردي الكبير

عزالدين علي ملا

د. جواد ملا

المرحوم عز الدين علي ملا من مواليد حي الاكراد 1930 وتوفي في 16-12-2020 وولد من أبوين كرديين يرجعان في جذورهما إلى بلدة بدوان العليا من أعمال چرموك التابعة لدياربكر، فكان يفكر وينتهج بما يفكر به كل كردي في كل جزء من وطنه وموقعه، وبنفس الوقت كان يناصر ويحترم كل شعب وكل مبدأ - مهما كان لونه من أجل الحرية والحياة الكريمة.

نشأ المرحوم عز الدين علي ملا في حي الأكراد بدمشق ببيوته الطينية المتساندة والمتراصة على مجرى نهر يزيد وسفح جبل قاسيون، في مرحلة صعبة جدا حيث كان الحي يعاني العوز والفقر والعزلة والبطالة والإهمال والتخلف المخطط له في أعلى مستويات السلطة في سورية وليس لسبب سوى كون أن أهالي حي الأكراد ينتمون للشعب الكوردي، ولذلك كان لابد للاستاذ عزالدين علي ملا من التسلح بإرادة فولاذية ليشق طريقه كرجل عصامي اعتمد على نفسه في كل شئ وخلال أعوام قليلة عرف ان الانسان الذي يتسلح بالعلم والمعرفة هو الانسان الناجح في حياته المهنية والاجتماعية.

أنهي الاستاذ عز الدين علي ملا المرحلة الابتدائية في مدرسة الملك العادل والإعدادية والثانوية في مدرستي الصناعة والتمدن العربي الإسلامي ومن ثم تخرج من دار المعلمين الابتدائية في دمشق وبعدها حصل على شهادة الصحافة من الدولة المصرية وزاول الكتابة في المجلات والصحف السورية واللبنانية والمصرية ثم حصل على الإجازة في التاريخ من جامعة دمشق.

في العام 1957 كان الاستاذ عزالدين علي ملا أستاذي حينما كنت في الصف الخامس الابتدائي وكان أستاذا متميزا يشرح دروسه شرحا وافيا وجميلا، وكان محبوبا من قبل التلاميذ والأساتذة لأنه كان يعامل الجميع معاملة الأخ لأخيه وبنفس الوقت كان العدل والانصاف عنده من الامور التي لا هوادة فيها.

وفي يوم كان التلاميذ يتوافدون على المدرسة (مدرسة الملك العادل) وكان مرحاض المدرسة عند المدخل الرئيسي مباشرة وإذا بصوت مدير المدرسة يصرخ من المرحاض فتدافش التلاميذ إلى المرحاض وكنت بينهم لنرى سبب الصراخ فكان مدير المدرسة يطلب النجدة ويقول يا أبو حسين ويا أبو عنتر (كانوا حرس الباب الخارجي لكي لا يخرج التلاميذ بدون إذن) ويقول لهما خلصوني... خلصوني... فذلك المنظر لا يزال معلقا في مخيلتي حيث كان الاستاذ عز الدين يحمل مدير المدرسة (الذي كان سمينا جدا ولكن على ما بدا أن الاستاذ عز الدين كان قويا جدا حتى استطاع حمله) وساعيا لرميه في فتحة المرحاض وكاد مدير المدرسة ان يصل إلى البراز إلا إنه كان يمسك بيديه ورجليه جدران المرحاض لكي لا يصل إلى البراز... وفي تلك اللحظة وصل الحراس وخلصوه قبل ان يقع بالمرحاض بثوان... وكان سبب ذلك ان الاستاذ عز الدين كان يطلب مساعدة التلاميذ الفقراء في المدرسة من فائض الميزانية ولكن مدير المدرسة كان يرفض في كل مرة، فلم يجد الاستاذ عز الدين سوى استعمال القوة معه وعلى أثر ذلك تم نقل مدير المدرسة... وفيما بعد أصبح الاستاذ عزالدين مديرا للمدرسة مكافأة له على اهتمامه بالصالح العام وخاصة مصلحة التلاميذ الفقراء.

والاهم هو ان هذه الحادثة رفعت معنويات التلاميذ وبدا عليهم التضامن القومي مع الاستاذ عزالدين وبعد ان انتهى الدوام في ذلك اليوم جمعت أكثر من عشرين تلميذا متحمسا وتوجهنا إلى البساتين المجاورة وعقدنا اجتماعا وأسست أول جمعية كوردية في حي الاكراد... وكان الاستاذ عزالدين سببا في استعجال ظهور الجمعية وإن كان هو لا يعلم شيئا عنها.

وبالرغم من الظروف الصعبة التي عاشها أهالي حي الاكراد إلا أن الاستاذ عزالدين عمل بجد وبدون كلل أو ملل من أجل تأمين حياة أفضل لعائلته وبنفس الوقت لم يتوقف عطاؤه لخدمة الصالح العام ومجتمعه ومن خلال ثقافته العالية وهب جانبا كبيرا من جهده ووقته وماله في خدمة اللغة والثقافة الكوردية من أوسع أبوابها في كتابة دراسات وبحوث علمية وتاريخية وأدبية متزنة وراقية أخذت حيزا ومقاما واعتبارا من الدرجة الاولى في الأدب التراث والثقافة الكوردية.

كما إن كتاباته الرائعة عن اللغة والثقافة والتاريخ الكوردي في ظل النظام السوري القمعي والقومي العربي الذي لا يسمح بوجود قومية أخرى كان لا يستوجب من الاستاذ عزالدين شجاعة فائقة وفريدة من نوعها فقط بل يستوجب إرادة فولاذية أيضا.

لم يترك إبن عمي المرحوم عزالدين علي ملا فرصة إلا وكان فيها الباحث والدارس لكل صغيرة وكبيرة في المجتمع الكوردي... وكانت واحدة من هذه الفرص التي أتذكرها، حينما شارك أساتذة دمشق من أجل القيام برحلة جماعية في حافلة كبيرة إلى أوروبا الشرقية في العام 1972 وحينما عاد الاستاذ عزالدين من الرحلة اتصل بي وقال لي يا إبن عمي إن نشاطات الطلبة الكورد في البلدان الاوروبية أكثر من رائعة وأخبرني في أنه إلتقى بهم واستفسر عن أحوالهم وحياتهم ونشاطاتهم.. كما أخبرني في أنهم يرسلون تحياتهم لي وقسم منهم يعرفونني شخصيا... وأتذكر يومها تحدثنا طويلا بتفاصيل رحلته وتقييمه لما رأه الذي لا يدل على إنه قام برحلة ترفيهية وسياحية أبدا بل إنه قام برحلة معرفية واستكشافية لا يمكن لأي شخص عادي ان يقوم بها.

في أنه إلتقى بهم واستفسر عن أحوالهم وحياتهم ونشاطاتهم.. كما أخبرني في أنهم يرسلون تحياتهم لي وقسم منهم يعرفونني شخصيا... وأتذكر يومها تحدثنا طويلا بتفاصيل رحلته وتقييمه لما رأه الذي لا يدل على إنه قام برحلة ترفيهية وسياحية أبدا بل إنه قام برحلة معرفية واستكشافية لا يمكن لأي شخص عادي ان يقوم بها.

لقد كنت على اتصال دائم مع ابن عمي الغالي والعزيز ساكن الجنان الاستاذ عزالدين وبدون انقطاع عن طريق الهاتف وبالرسائل المكتوبة على طول سنوات غربتي... وبالحقيقة إن رحيله أحدث فراغا كبيرا في حياتي الشخصية والنضالية حيث لا يمكن أن أنساه أبدا لأني دائما أكرر ما كان يقوله لي حتى وفي أشد المسائل جدية وحساسية فلم تكن تتغير نبرة كلامه الحلو معي وحنانه الاخوي الرائع، وقد أحببته حبا كبيرا ومن القلب والفكر والوجدان كما أحبني بالضبط

ومن أعمال الاستاذ عزالدين التي أرسلها لي شخصيا كما يلي... ولربما هناك غيرها من النتاجات أيضا لا أعلم بها:

1. كتاب تاريخ حي الاكراد الذي كتبه حينما وجد التغيير الكبير في الوجه الجغرافي والحضاري لحي الاكراد ... وهو كتاب استوجب منه نضالا ميدانيا وجهدا كبيرا جدا من أجل إستحضار صور الماضي بما يحويه من أحاسيس ومشاعر وتاريخ وشخصيات حي الاكراد وفي كافة الميادين.

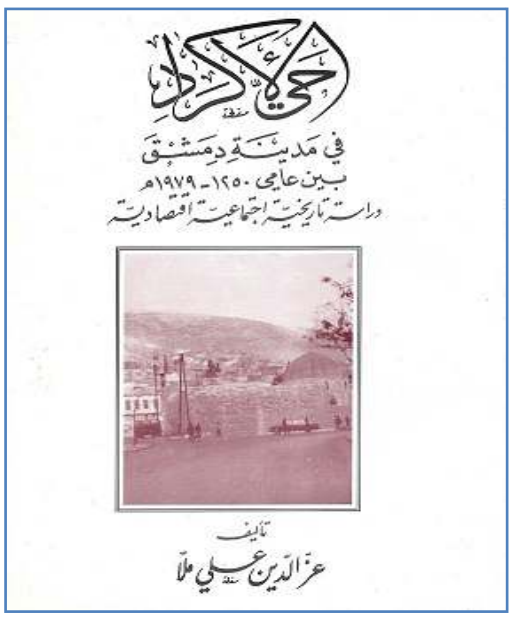

2. الموسوعة اللغوية والمعرفية بين اللغتين العربية والكوردية (قاموس عربي - كوردي) وكل عمل ضخم مثل هذه الموسوعة بحاجة إلى عدد لا يستهان به من الاختصاصيين بينما قام الاستاذ عزالدين به لوحده.

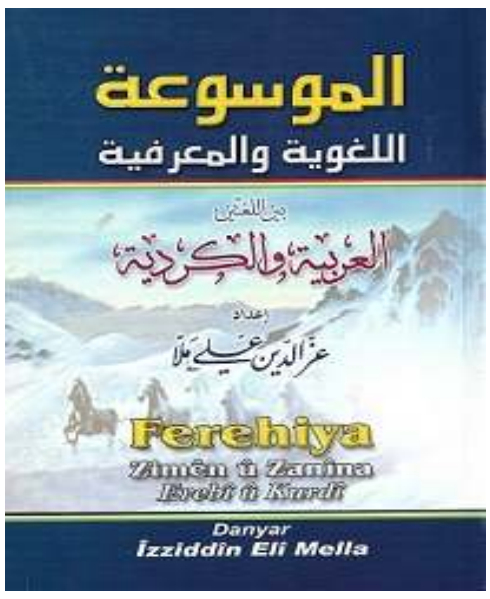

3. كتاب من الأساطير الكوردية الذي كتبه الاستاذ عزالدين بإسلوب أدبي سلس وشيق.

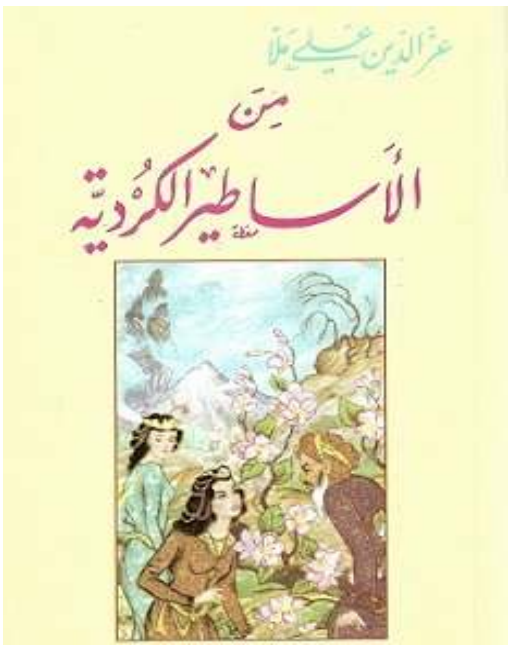

4. شجرة العائلة حيث عمل الاستاذ عزالدين سنوات على إخراجها وشرح جذورها في شمال كوردستان وتفرعها بعد الهجرات المتعددة إلى سورية.

والجدير بالذكر في إني حينما أجريت عملية جراحية في القلب في العام 2015 أخبرتني المشفى أن أجلب معي بعض الكتب للقراءة والتسلية لأن فترة النقاهة بعد العملية ستكون لعدة أيام بلياليها الطويلة جدا... فلم آخذ معي إلى المشفى سوى كتاب واحد وهو كتاب تاريخ حي الاكراد الذي ألفه ابن عمي وأستاذي عزالدين، أبو علاء... فكتاب تاريخ حي الاكراد لم يكن أنيسي وجليسي في المشفى فقط بل دائما أقرأ فيه ولربما قرأته أكثر من ستة أو سبعة مرات لأن الكتاب يسرد بإسلوب جميل الحياة في حي الاكراد وكأنه فيلم سينمائي رائع... ولربما لا يكون كذلك للذين يعيشون في حي الاكراد ولكن بالنسبة لي وكلما طالت غربتي تقدمت بي السن ازداد تعلقي بالكتاب وخاصة إن غربتي وبعدي عن حي الاكراد الذي نشأت فيه قد قاربت من الاربعين عاما على فراقه وفراق الاهل والاصدقاء الاعزاء فيه.

أما غربتي الطويلة فهي بسبب تمسكي ونضالي من أجل قوميتي الكوردية...، حيث حينما فشلت المخابرات السورية من إخضاعي كما أخضعت غيري (بعد أن اعتقلتني في ستينيات القرن الماضي ولاحقني في السبعينيات والثمانينيات) فقد عملت على فبركة الدعايات المغرضة ضدي والبعيدة كل البعد عن القومية الكوردية من أجل الاساءة إلى شخصيتي الفولاذية ولا تزال إلى اليوم تبث سمومها والاسوأ أن هناك الكثير من الاغبياء من يضع البهارات على دعاياتها أيضا تودادا للظلم والعدوان.

إن غربة بطل الملحمة اليونانية الشهيرة الألياذة لـ "هوميروس" استمرت عشرون عاما كما إن قصة "روبنسون كروزو" بعد غرقت سفينته إلتجأ إلى جزيرة خالية من البشر وبقي فيها بعيدا عن وطنه لما يزيد عن 27 عاما... إلا أن النبي موسى عليه السلام قد ضرب الرقم القياسي في الغربة هو وبني إسرائيل في ضياعهم أربعون عاما في صحراء التيه كما ذكرهم القرآن الكريم... والذي أرجوه من الله تعالى العودة إلى حي الاكراد وألتقي بمن بقى من الاهل والاقارب والاصدقاء الاعزاء قبل أن يأخذ الباري أمانته وخاصة وإني لست بحارا ولا يونانيا ولا من بني اسرائيل حتى أضرب الرقم القياسي للنبي موسى في الغربة... فالعيش في الغربة ظلم ما بعده ظلم ..... التتمة ص 10 .....

من أطفأ هذا الضوء؟!
إلى دهام حسن

إبراهيم اليوسف

كنت لما أزل ساهراً، حتى صباح هذا اليوم عندما أعلن الفنان الصديق سعد فرسو، على صفحته الفيس بوكية، انطفاء نجم مبدع أصيل من مدينتي، ومن بلدي، ومن وطني، ومن أسرتي الروحية، قبل أن تفرقنا الحرب وصناعها، ومنظروها، وملاحق حاناتها. كنت انتهيت للتو من - عمل كتابي إعلامي بين يدي- لأخلد للنوم ساعتين. حصتي اليومية، إزاء أية حالة نفير، وإذ بصورة أبي رشا. أبي جوان –إلى جانب اسم شقيقه سعد- ترسل ذبذباتها إلى عيني:

لا تنمْ يا إبراهيم!

دقَّ قلبي سريعاً. هلا من خطب يارباه، لتبتلع عيناي أسطر الضوء الأزرق. لا لا لا أصدق، لقد قال لي: سعد قال لي برزو أبو كاردو قالت لي أم كاردو شقيقة أبي جوان: إنه بخير. كتبت على هاتفه. على صفحته الفيسبوكية، واتصلت، لم أتلق الرد، عدت وسألت عنه:

إنه بخير، تعرض لنوبة قلبية وهو بخير!

مرات عديدة، رحت أطمئن عليه، وأعفو عن انشغاله الأخير، لندون اسمه قبل أيام في قائمة المدعوين لحفل افتتاح مقر للاتحاد العام للكتاب والصحفيين. قلنا: لنراع وضعه، فهو لن يحضر بسبب التزامه السرير، لكن علينا أن نعلمه، وقلت: سيكون مقرالاتحاد مكتبه، كما اقترحنا يوماً ما، وكان كل من الأخ كوني رش وبرزو ضمن ذلك المقترح – ولكن أؤكد كان ذلك قبل سنوات- إلا أن ظروف افتتاح مكتبنا لم تكن مهيأة، آنئذ، سنصبر

حسناً سنصبر!

والرؤى تتغير، وبورصة التموقعات، وغيرها في ظلال الحرب في مدٍّ وجزرٍ في علو وهبوط، وحده التقيُّ-أياً كان- يتقوقع في ظل ظروف الحرب على رؤيته، أبكم، أو مغامراً، ضمن حدود ما.

كان يتقلى على- منقل- من جمرات، عندما تعرضتَ للاستدعاء، أو حين مداهمة بيتك

تقول: أم كاردو الأخت الطيبة التي تسميني سادس الأخوة أو سابعهم!

عندما أخرج من - قامشلو- للمرة الأخيرة، يكون من عداد مودعي، ونتحدث عمن ألبوا علي، بأسماء معروفة أو مجهولة، لافرق، لعله كان ممن ودعوني على أنه آخر لقاء بيننا. قبل ذلك وبعده، أسأله عن ردة فعل من لدنه، يجيبني:

هلا عرفت أبا الفتنة!

أرد: كأنك نسيت توائمه؟

ونضحك!

كان لابد من امتداد العتبة - هذا- لئلا يخيلنَّ لأحد من المُوْقعين بالمقربين أنه مضى في عمق الفوز لا المفازة، حتى وإن كسب واكتسب- هناك وهنا- لمعة ضوء. يقول:

واكتسب- هناك وهنا- لمعة ضوء. يقول:

أنا أبٌ

أقول: أعرفك، ولهذا فإنني لأنسى كل شيء، حتى وإن أتبع المنسي بالموصوف، أو أن يتبرعم جرح عابر هنا أو هناك

هذا مايحدث في البيت الواحد

لن أنسى أنني خليفتك

لم أقلها في وجهه، إلا أنني أقولها هنا، فقد رأى فيَّ ذلك الصديق الذي يسلمه آخر قطعة، من آخر طبشورة كتب بها على سبورة المدرسة ذات آذار من العام 2006، لتغرورق عيني بالدمع، ولا أصمد في إتمام مهنة التدريس، بسبب كيد كتاب التقارير، والعيون التي كانت تراقب بيتي، ما أضطر لأن أيمم وجهي بعيداً عسى أن أستقر على هامش أراجع فيه ملامح الوجه وتضاريس اللوحة العظمى!

كان يحدثني عن العشى الليلي الذي أصيب به. عن اعتقاله وهو طالب مدرسة - شيوعي- من أجل القضية الكردية، من دون أن يقول لسجانيه وهم يعذبونه: لست في حزب كردي، ويطرد من المدرسة، ويتابع دراسته عصامياً. يحصل على الإعدادية، فالثانوية، فالجامعية،ويجد عملاً في الرميلان نلتقي في بيت - عبدالسلام نعمان أو عبداللطيف عبدالله أو بيتي- ثم يترك إغراءات العمل في حقل نفطي ليتوجه إلى عالم التدريس الذي حرم منه، ونغدو زملاء، كما نحن رفاق حزب، قبل أن نفترق تنظيماً، ونظل محافظين على ما بيننا من ود يعززه: سعد

كنت صديق فائق

قبل سعد

قبل أن نغدو صديقين!

لا أدري، لم منذ تلقيّ صباحاً، نبأ رحيل أديبنا، وشاعرنا، وكاتبنا دهام حسن أربط حياته وغيابه بالضوء، وهو صاحب - الحياة- التي تعد ملحمة كفاحية، على الصعيد الشخصي، فهو صاحب الموقف الذي لم يهادن، وإن كان مزاج الشاعر يهيمن عليه أحياناً، ويدفعه للمغالاة- ولكن غيابياً- إلا أنه في أعماقه لم يكن إلا مجرد طفل صغير، بريء، رقيق، وقد عايشته عن قرب، إذ إن هذا الواقع المرير الذي أصابه بالعشا الليلي، حاول عبر رؤيته المتقدمة للحياة مواجهتها، إلا أنه منذ اشتعال وطيس الحرب بات في صراع - العتمة- حيث انعدام الكهرباء كان سبباً في إصابته بكسر في - - عندما استيقظ، ونهض من سريره، وهو يتوجه إلى المطبخ"..." ليرتمي أرضاً، ويصاب بأكثر من كسر- أحدها ما يسمى كسر" "- لما أزل لا أجرؤ على لفظ المفردة، فلم أرد لكسره أن يكون من النوع ذاته، وها التزامه السرير، من دون حراك فاقم حالة معاناته مع أمراض القلب وحركة الدم، ما أدى إلى إطفاء ضوء حياة شاعر رقيق، أحب الحياة، وكتب لها، حتى آخر رمق !

بينما كنا لما نزل في غمرة دوامة الحزن برحيل الصديق الشاعر والكاتب الصديق دهام حسن، وقبله بأيام، برحيل الشاعر مومي ولات. أحد الذين نشروا مساهماتهم في بينوسانو- كردي، وإذ بنا وبعد ساعات- فحسب- نستيقظ على نبأ محزن آخر وهو رحيل الشاعرعلى جل آغا، أو علي رمضان، ابن جل آغا، إذ إن صدمتي به- هو الآخر- جاءت مضاعفة، لشعوري بتقصير جد كبير تجاهه، وبما يليق بسعة بوابات روحه ونوافذ قلبه المشرعة تجاهي- في أقل تقدير- من جهة التواصل، بعكس حالة صديقي دهام حسن الذي دأبت، وحاولت الاتصال به مرات، لاسيما بعد مرضه الأخير، ومتابعتنا لوضعه الصحي مع أقربائه!

إذا كانت علاقتي بدهام الذي لطالما رأيته- أخاً أكبرلي- ورفيقاً يومياً، كأن يشرح لأبنائي درساً في العربية، عشية الامتحانات، وأنا مدرس العربية قربه، وهوما لايقوم به إلا من هو جزء من البيت، بل كان الاسم السابق علينا عندما فتحنا أعيننا كما أسماء: عبدي يوسف وعبدالسلام نعمان وريمون معجون وحتى مجايلي عبداللطيف عبدالله وغيرهم كثيرون من المقربين إلي، فإنني تعرفت على علي- كما يقول في رسالة إلي- أننا تعارفنا منذ التسعينيات عن طريق ابن خالته محمود أيوب الذي عد- حقيقة- برغم ما بيننا من قطيعة الآن، ليس كلانا مسببيها- من أكثرمن وقفوا إلى جانبي في أمور اتصالاتي: البريد وتهريب الرسائل من الرقابة وإيصال خط الهاتف الذي لم أكن أستطيع سداده إلى جانب عم لي في دائرة الاتصالات- إلا أنه، ومع بدايات الثورة السورية كان من عداد أكثر الذين كاتبوني، ولعله لسوء الحظ، كنت آنذاك في الإمارات، أعمل في الصحيفة، وأوزع وقتي ما بين الكتابة للجريدة واستكمال بعض مخطوطاتي والكتابة السياسية بل والاشتغال لحدث الثورة كرهان كبير، إذ لم أجد غالباً، ما يكفي من وقت لأصدقائي، وهومن بينهم.

ما حدث، أنه كتب إلي ذات مرة، مامعناه: أنت"..." مهمل إلخ، وساتخذ منك موقفاً، ويبدو أن سبب ذلك كان في أنه صديق لإحدى صفحاتي الفيسبوكية التي لا أتابعها إلا نادراً- وهذه إحدى سلبيات وجود أكثرمن صفحة في هذا الفضاءالأزرق- وهوما فوت علي استمرارية التواصل به، إذ أقرأ رسائله إلي، الآن، لأستعيد ذكرياتنا. مكاتباتنا، التي انقطعت، أرمم من خلالها صورة العلاقة بيننا، وأعض على أصابعي، لأني لا أتابع كثيراً رسائل صفحتي تلك، كي أرد على محبي كافة، وهو منهم، إلا أن أمراً واحداً إيجابياً تم، على صعيد تواصلنا، وهوأن صديقنا المشترك الشاعر محمد شيخو جمع بيننا في مكالمة هاتفية- ربما منذ سنتين- وراح يشرح لي خلالها الغبن الذي لحق به، من قبل أحدهم في سياق العمل النقابي، ومواقفه من آخرين، نقدته عليها، ووجدته شخصاً آخر، انفعالياً، لم يتقبل رأيي، وإن كان صديقنا محمد أكثر تفهماً له، وأكثر إشادة بشخصه وآرائه، ودوره المستقبلي للم شكل الكتاب، أقولها للتاريخ، بالرغم من خلافات مفترضة- مفروضة- بيني و أكثرهاتيك الأسماء!

ما أذكره، عما هو إيجابي، بين لي بجلاء روح الصديق علي رمضان الذي التقيته في- أكثرمن ندوة وأمسية، ولكن على نحو عابر، إلا أنني رأيت فيه الصديق الشهم، الحريص على العلاقة مع الآخرين، بل إنه صاحب الموقف الذي التقينا معاً في بدايات الثورة، ولطالما جسر نحو منابر الاتحاد العام للكتاب والصحفيين- رابطة الكتاب والصحفيين، في جريدتي: القلم الجديد- بينوسا نو، من دون أن تعرقله الحدود الوهمية بين الاتحادات، والتي أطلق مخططها السياسي، وتلقفها بعض حملة الأقلام وأخص هنا العابرة منها، لا الأصيلة، المعوَّل عليها،

العض على أصابع الندم
و رسائل الراحلين!
إلى علي جل آغا *

لتكرس الفرقة مابيننا، ولن أكون في منأى عن ردة فعل هنا أو هناك.

أتذكر، أنني قرأت خبراً في وسائل الاتصال يفيد بعوة الشاعرعلي جل اغا إلى اتحاد الكتاب الكرد، وانهمامه، بوحدة أصحاب الأقلام، وإن كان وراء أكمة تلك الوحدة ما وراءها- بحسب"بعض" المخططين لها- لا من اندفعوا إليها بكليتهم، من خلال نوايا طيبة، باعتبارها لاتصمد أمام سؤال: وماذا عن تجاهل اتحاد وضع أول لبنة في معمار العمل"النقابي" المؤسسي لحملة الأقلام، ولاأقولها انطلاقاً من عقدة" الاتحاد العام" اتجاه أحد، باعتبار هذا الاتحاد الأخير يمتلك مقومات عدة –أراها وقد أكون مخطئاً-لاتتوافرفي سواه، ليس من جهة استقلاليته- ونحن مستقلون- ولا من جهة تاريخيته- ونحن في أقدم اتحاد- بل من جهة حضوره، وكذلك من جهة: لم استهدافه بغرض الإجهاز عليه، لاسيما أمام سؤال من قبيل: لم استهدافه من قبل بعضهم تحديداً!؟

وإذا كنا قد خسرنا، خلال أسبوع- فحسب- ثلاثة مبدعين من بيننا، منهم من رسم ملامح صوته، بلغة غيرلغته الأم، كما حالي، وكان لما يزل يعطي، وتجرع الألم حتى آخرلحظة من حياته، وكتب مقالات فكرية عميقة، بل وقصائد موقعة، رومانسية، شفافة، عذبة، فإن الشاعرين الآخرين- ولكل منهما مساهماتهما في بينوسانو- كانا يرسمان ملامح صوتيهما، بلغتهما الأم، وكان من الممكن أن يعطيا الكثير، ما جعلنا نخسر أصواتاً إبداعية، في غيرأوان الرحيل، بحسب روزنامات أمنياتنا، كما إن أمراً أكثرأهمية يطرح ذاته، وهو يتعلق بنا. بي أولاً، معاشر من نزعم أننا كتاباً، وننخرط في هياكل مؤسسية- كبرت أو صغرت- وكان كاك علي مع قلة آخرين في اتحاد خاص كما فهمت أثناء مكالمتنا الأخيرة تلك- وإننا أحوج إلى أن نتخلص من كل ما يعيق عملنا تحت مظلة موحدة، بعيداً عن أية تبعية، إذ نستطيع بعدها فرض صوتنا على السياسي الذي وإن كان أمياً، وعديم الحيلة، عالة على العمل السياسي- وهنا أخصص جداً ولا أعمم-ولربما على القضية الكبرى، ويعود مساء إلى بيته قائلاً"يالغباء من حولي حتى بعض المثقفين منهم ممن يرونني معلماً" وهوما يفعله بعضنا ممن يخاطب السياسي ولو كان قزماً وما أكثرمناضلينا السياسيين، قائلاً: Libê، أو لبيك، Ez benî، وليس في بالي أحد، بل إن تنمر بعضهم- من الشذاذ المارقين- علينا هو موضع أسف، وإن كنت- لمزيد من التوضيح- أميز بين سياسيين: متفان من أجل قضيته وآخرمستقتل من أجل ذاته ولذاته!

أعتذر من روحك، ياعلي، وأنت العليُّ، مادمت اخترت الكتابة، وابن أسرة وطنية معروفة، وعاملاً ميدانياً من أجل قضيتك في حزب سياسي، ولدى أعلى العليين، كما دأبنا على القول،لأنه كان علي أن أعزز التواصل بيننا، وأسرق من خزان الوقت مايكفي للتواصل معك وآخرين من أحبتي، وإن كنت أهدرالكثيرمن وقتي، وأعمل ماهوممكن خارج الكتابة، ما دعا الشاعرة أفين إبراهيم تسالني" تحتاج إلى يومين كل يوم"، وهوشأن كل كاتب. كل سياسي. كل إنسان، يفكر بشأن سواه، وأرجو أن أكون كذلك!

وأوجه ندائي، إلي، إلينا، لأننا مع رحيل كل ذي قامة عالية، من كتابنا، حتى وإن كان بعضنا مختلفاً معه فإننا لنعض على أصابع الندم، آملين، لو أن الراحل تراجع عما ألحقه من أذى بنا- وليست أمام عيني هنا حالة ما- وفي المقابل نتمنى لوكنا أكثر استيعاباً لهذا الآخر.

* اعتذار متأخر عن تقصير لا أغفره لنفسي!

سخريات المعلم ششكار

سيامند ميرزو

ملاحظة

أعلن عن تخفيض أسعار مقالاتي إلى ربع لايك ! ومن ليس معهم فراطة.. إذا أعجبوا بلايك كامل فسأكون مديوناً لهم أو لهن بثلاثة أرباع من اللايك.. أدفعها بالتقسيط بمقالات ساخرة أقوى في كل مرة، ولن أعرض مقالاتي كبضاعة في سوق السياسة والمال والأعمال وفي غروبات واللايفات المعروفة والمكررة... إلا للبسطاء من امثالي.. وبسعر قريب للمجاني ودمتم

القصــة

اتهمت سيدة أوربية قطة سفير تركيا، ويدعى بجم بالتقرب من قطتها التي تدعى لولو بغير موافقتها ورضاها، وأن لولو قد حملت من قط السفير اغتصابها، ومن ثم قامت المرأة برفع دعوى مزدوجة في المحكمة ضد السفير شخصياً، من أجل إخضاع قطته لعملية إجهاض.. مع تحمله المسؤولية..اذا فقدت حياتها بأي خطأ طبي...

وثانياً لعدم مراعاة الآداب والقوانين الاوربية دبلومسياً، ومن جهة أخرى فقد رفض السفير هذا الاتهام الخطير رفضاً قاطعاً... وادعى ان معه حصانة دبلوماسية، ولا يجوز ان ينجر إلى الدعايات و الإعلام الأوربي على شاكلة تكرار دعايات الانفصاليين الكرد ضده.

و نشر بيانا يوضح فيه بأن القط بجم من أكثر القطط أدباً وأخلاقاً، وليس من شيمته فعل ذلك الفعل المشين خصوصاً أن سور منزلهم عال جداً، ومراقب بملايين الكاميرات، خشية من الكرد أينما كانوا.. لذلك فقد اتخذت دولته الاحتياطات اللازمة.. ومن غير الممكن ان قطه يجتاز بسهولة كل الحواجز،

ولحل هذه المشكلة الكبيرة فقد قامت السيدة بالاتصال بشركة مختصة لمعاينة المنزل الذي يقطن فيه بجم، فتم التأكد أنه من المستحيل خروجه من المنزل بسهولة، وبعد بحث طويل جداً، وجدوا سرداباً طويلاً قد حفره بجم ليصل بينه وبين لولو، ليقوم بفعل فعلته هذه، وعلى إثر ذلك فقد حكمت المحكمة المختصة على السفير وقطه بجم بدفع غرامةمالية كبيرة قدرها يوازي ملايين الليرات التركية المنهارة نتيجة سياسة حاكمها في غزواته الخارجية، واحتلاله للمناطق الكردية، تحت أنظار وعهر الدول الصامتة، وأعطت صاحبة القطة لولو درساً عبر الاعلام للسفير التركي قائلة له:

الذي لا يستطيع قيادة قط لايشرف أن يكون ممثلاً لدولة ويحمي مصالحها، وأكدت انها غلطة كبيرة ان تحمل قطتها من غير نوعها الأوربي،

وانقسم الترك بين التأييد والرفض، واستغل معارضو النظام التركي الحدث فكتبوا الكثير بهذا الصدد، وسود الله وجهك يا بجم لأنك تتوهم ان القطات الاوربيات عندك لعبة.. مثلما يلعب حاكمكم بشعوب الشرق الاوسخ. و..ووو...ووو...ووووا

لا بد من محكمة عادلة، إنها قطة اوربية وليست أرض روج افا.. في عفرين وسري كاني وكري سبي، يَوَلْ تركو يلّا راح نتفرج ونشوف شو بيطلع معهم المحاميين الأوربيين المدافعين عن لولولوولووو...

فلم ايراني ناقص!

كفاح محمود كريم

منذ أيّام تعرض وسائل التواصل شيئاً من إنتاج واحدة من الميليشيات التي تستخدم الكاتيوشا في التعبير عن رأيها، وهذا الشيء الذي أطلقوا عليه "فلماً قصيراً" بدا ناقصاً في فكره وأخلاقياته وتقنياته وتمثيله، ولم يتجاوز وظيفته الدعائية الساذجة، حيث عبر عن نمط تفكير ومستوى وثقافة الجهة التي أنتجته، والمتطابق تماماً مع سلوكها في التعبير عن الرأي وتشويه الحقائق، ويبدو أن العمل الدعائي هذا جاء كمحاولة لترجمة تمثيلية زعيم حزب اللّه في حديثه عن البارزاني أبان هجوم "داعش" على مخمور، والتي صرح بها قبل فترة مدعياً أن سليماني زار الرئيس بارزاني، مُبدياً استعداد بلاده للمساعدة، علماً أن سليماني هاتف الرئيس ولم يزره، وقد ذكر ذلك الرئيس بارزاني في أكثر من مناسبة وأمام الرأي العام، والفلم الناقص الأخير نجح حقيقةً في تحويل تصريحات نصر اللّه وادعاءاته التمثيلية إلى فلم قصير بائس لا ينقصه إلا الصدق والأخلاق.

ما يُستشف من هذه اللعبة هو إسقاطات سايكولوجية تُعاني منها هذه الجهات ليس مع البارزاني شخصياً فقط، بل مع البيشمركة كقوة أثبتت جدارتها عالمياً وتحولت من قوات لحماية الإقليم إلى رمز عالمي لمكافحة الإرهاب وتدميره، هذا الإسقاط هو مجموعات مركبات نقص متراكمة تاريخياً تُعاني منها كثير من القوى السياسية، التي تعاملت مع القضية الكوردية وخاصةً في السنوات الأخيرة سواء في العراق أو ايران أو بقية دول الجوار، التي فشلت في أن تقدم نموذج إنساني مزدهر لشعبها، أساسه قبول الآخر والتعايش السلمي الذي تميز به إقليم كوردستان منذ استقلاله الذاتي في 1992 وقيام مؤسساته الدستورية.

حرب "داعش" التي استهدفت كوردستان وتجربتها وكيانها كانت حرباً أيديولوجية عنصرية بالمطلق، وإقليمية تناغمت فيها الأهداف والوسائل وإن ظهرت إيهاماً بعض الاختلافات هنا وهناك؛ ومصيرية لكوردستان وكيانها، وقد أكّدت الشواهد ونتائج ما حصل على أن "داعش" ليست مجرد منظمة دينية عقائدية غرضها بسط نفوذ الدين وشريعته بمنظار قادتها، بل مشروعاً تدميرياً هدفه كل المكّونات العرقية والقومية والدينية المختلفة مع نهجه وفي مقدمة ذلك إقليم كوردستان وشعبه، حيث أدرك الرئيس مسعود بارزاني مدى خطورة هذه الهجمة، فلم يجلس في مكتبه ليدير حركات قواته ودفاعاتها، بل اندفع إلى الخطوط الأولى للقتال ولم يكن لوحده، بل أخذ معه كل من يستطيع حمل السلاح من أولاده وإخوته وأبنائهم، موزعاً إيّاهم على جميع خطوط المواجهة مع غزوات داعش، حيث شعر المقاتل ربما لأوّل مرّة في تاريخ الحروب أن القائد العام وأبنائه وإخوته يقاتلون جنباً الى جنب مع الجنود حالهم حال أي جندي في السلاح والذخيرة والمأكل والمشرب، حتى كتب اللّه لهم جميعاً النصر وحمى كوردستان وأرضها وشعبها من تلك الهجمة الهمجية المتوحشة.

لم يكن تنظيم الدولة الإسلامية حكراً كما يدعي لمذهبٍ بعينه، بل أنه نجح في جمع كل المذاهب تحت خيمة عنصرية متوحشة، مفعمة بالغرائز والأحلام المريضة، مستغلاً الخلافات ومندساً بين كل الأطراف، وليس عجيباً ما أظهرته وسائل الإعلام ومعلومات أمريكية مهمة عن تعاون وثيق بين جهات إيرانية وتركية وسورية وعراقية مع هذا التنظيم، الذي استُقبِلَ بالورود في كثير من المدن والبلدات من قبل أولئك الذين تلوثت أياديهم وجيوبهم بدماء الكوردستانيين وأموالهم في الأنفال وعمليات النّهب والسّلب التي رافقت كل حروب أنظمة العراق ضد كوردستان، حقاً كان فلماً ناقصاً بكل الاعتبارات أمام حقيقة ناصعة غدت رمزاً عالمياً في الحروب ومكافحة أعتى قوةً في الإرهاب عبر التاريخ، تلك هي بطولة البيشمركة وقائدها ولوحة النصر العظيم الذي رسمته دماء 1755 شهيداً و10 آلاف جريح من البيشمركة، حمّت فيها إقليم كوردستان وكسرت أسطورة "داعش" الإرهابية.

الربيع العربي واغتيال الشعوب!

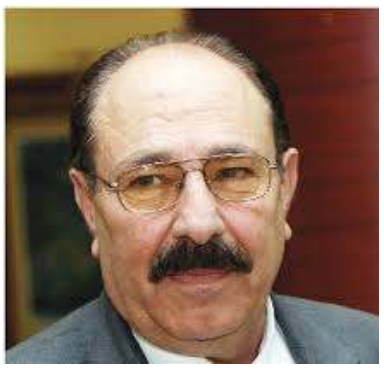

في مخرجات ما أطلق عليه بالربيع العربي، الذي بدأت بواكيره على الطريقة الأمريكية في إزاحة مؤسسة النظام في العراق، حيث نجحت القوة الأمريكية ومن حالفها، سواء في العراق أو بعده في ليبيا وسوريا واليمن، ومن تحت الطاولة في بلدان أخرى، نجحت في تدمير كرسي الحكم وهيكل الإدارة، حيث هرب الدكتاتور مخلّفاً وراءه أفواجاً من اللصوص والقتلة، كما شهدناه على أرض الرافدين، حينما أطلق رئيس النظام، حينها، سراح كبار المجرمين والسفاحين واللصوص والقتلة قبل هروبه بعدّة أشهر، وتحت شعار ناعم هو تبييض السجون، لكي يكملوا المشوار من بعده مع مجموعات إرهابية عقائدية تم استيرادها قبيل حرب احتلال العراق بفترة وجيزة، فيما أوصى أركان حكمه وقيادات نظامه بسرقة ونهب كل موجودات البلاد ومخازنها ومعسكراتها وآلياتها، من سيارات وأسلحة في أبشع عملية إفراغ للدولة من مكنوناتها المادية والعسكرية والوثائقية والفنية والمتحفية.

وفي الوقت الذي انكفأ دكتاتور العراق في حفرة تحت الأرض ليواري عورته وجرائم نظامه، حلّق دكتاتور تونس طائراً في الأجواء تاركاً منظومة متكاملة ممن تقع عليهم مهمة اغتيال الثورة أو الانتفاضة، حيث بدأت فرق الغوغاء بالانتشار في المدن والبلدات على طول البلاد وعرضها، لكي تثبت لتلك الجموع الثائرة ودول الجوار قبل غيرهم بأنّ ما يحدث هو نتيجة لغياب منقذ الأمة ومخلّصها الهارب، كما يفعلون في العراق منذ سنوات، في إحراق الأخضر واليابس تحت مختلف الشعارات الرنانة والجوفاء وبثياب دينية ومذهبية، وهم يستهدفون الأهالي العزل في الشوارع والأسواق والمساجد والكنائس والمدارس بنافورات من الدماء التي لم تنزف فيها قطرة من دماء المحتلين.

صحيح أنّ دكتاتور تونس شدّ الرحال هارباً إلى جنة أخرى بعيدة عن قصره وعبيده، إلا أنّه ترك نظاماً أشرف على تربيته وصناعته لأكثر من عشرين عاماً، بذات الفكر والنهج، كما فعل النظام هنا في العراق، وترك سلوكيات ونهجاً في الثقافة والتفكير تعمل على إبطاء التقدّم، وتعرقل تحقيق الأهداف النبيلة في بناء بلد ديمقراطي حر، حيث استغلّت تلك القوى البديلة سلالم الديمقراطية في مجتمعات غير مؤهلة بالكامل لممارسة هكذا نظام، وتحت ضغط الشعارات العقائدية المرتبطة بالدين والمذهب والفتاوى، لكي تتبوّأ ثانية مراكز القرار، كما فعلت في مصر، وحاولت كثيراً وما تزال في تونس وفي اليمن، ناهيك عما حدث ويحدث في سوريا، التي حصرت النظام في زوايا ضيقة وشتتت البلد بيد ميليشيات ومافيات وعصابات تعتمد في معظمها الغطاء الديني السهل لتنفيذ عملياتها الإرهابية، كما يحصل اليوم في عفرين المستباحة، وفي كثير من المناطق الأخرى ذات الإدارة شبه المستقلة، بينما تم تقزيم النظام وتقطيع معظم أذرعه، والإبقاء على هيكله لحين اتخاذ القرار بمصيره.

إنّ مجرد هروب دكتاتور لا يعني إنجاز الثورة أو التغيير المرتجى، فقد سجل التاريخ الكثير من عمليات الهروب والعودة، وما زالت ثورة مصدق الإيرانية وهروب الشاه في الذاكرة السياسية للشعوب الإيرانية، وفي تونس ما زالت قوى هذا الدكتاتور وغيره مهيمنة على كثير من المفاصل المهمة في الدولة والمجتمع، وهي قادرة على إحداث تغييرات بالاتجاه الذي تريده وبالضد من آمال وتطلعات الأهالي، فمعظم المؤسسات المهمة في البلاد هي من إنتاج وتصنيع ذات الفكر الشمولي الذي صنعه الدكتاتور علي زين العابدين، ابتداء من المؤسسة العسكرية والأمنية وانتهاء بالبرلمان وكثير من أوساط الطبقة المتوسطة، وبهذه المسطرة نقيس ذات الأبعاد، في العراق واليمن وسوريا وليبيا ودول أخرى لا تختلف عنها، كما في أفغانستان وإيران، ومع كل الاحتمالات الواردة في الصراعات الجارية اليوم في هذه الدول والمجتمعات، فإنّ ما يحدث الآن ورغم بؤسه وقسوته أيضاً إلا أنّه يؤشر تطوراً نوعياً في الأداء الشعبي المعارض الذي تمثّل في اندلاع احتجاجات وتظاهرات كبيرة وعفوية اخترقت حاجز الخوف وتمردت على الميليشيات ونظامها الحاكم من دمشق إلى طرابلس وصنعاء وبغداد وتونس والجزائر، وهي بالتأكيد واحدة من أولى ردود الأفعال لعملية التغيير الجارية في بلاد الرافدين منذ الاحتلال في 2003 وحتى اندلاعها في تشرين 2019، بكل ما رافقها من إيجابيات خلاقة ومن أخطاء أو تشويهات من قبل معظم الأنظمة السياسية وأجهزة إعلامها التي تنتمي لعقلية وثقافة الحكم الشمولي.

ويقيناً، إنّ ما يجري هنا في العراق من عمليات إرهابية وتعقيدات لتأخير أو إعاقة تطوّر العملية السياسية والبناء الديمقراطي، إنّما تتورّط فيه كثير من الميليشيات والأنظمة ذات النظم المستبدة والدكتاتورية، لأنّها تتقاطع وطبيعة التكوين السياسي والاجتماعي للنظام الجديد وفلسفته في التداول السلمي للسلطة والاعتراف بالآخر المختلف، ولكي تنأى بنفسها وأنظمتها عن نيران التغيير التي تصبّ في خانة الشعوب وتعيد تعريفات كثير من المصطلحات والتسميات لكي لا يكون الرئيس موظفاً يؤدي خدمة عامة حاله حال أي موظف آخر، بل ليبقى كما يريدوه في كل هذه المنطقة، زعيماً ومنقذاً وملهماً فوق الشبهات والشك والنقد، لا شريك له ولا معترض، وهذه المرة باسم الرب بدلاً من الأمة أو الشعب.

إنّ ما يحصل اليوم في العراق وتونس يمثّل رسالة مهمة جداً لشعوب هذه المنطقة، بعد أن ذاقت الأمرّين من حكم الطغاة المستبدّين لعشرات السنين، وهي تبشّر ببداية عمليات تغيير واسعة النطاق في معظم هذه البلدان، ترافقها عمليات تشويه وصراع خفي لوأد الحركة أو تقزيمها من خلال ما يحدث من تداعيات أمنية تقوم بها أجهزة الأمن المرتبطة بنظام الحكم كما يحصل على أيدي الميليشيات في تعاملها مع المحتجّين، في محاولة لاغتيال الحركة أو الانتفاضة بشتّى الطرق والأساليب، مستغلّة الكثير من نقاط الضعف والتناقضات التي أنتجتها الأنظمة السياسية المستبدّة على كل الصعد، إنّهم يرعبون الناس بمقولة "إنّ أيّ تغيير في البلاد وطبيعة النظام ستؤول فيه الأحداث إلى ما آلت إليه في العراق من حمامات للدماء وحرب طائفية أو عرقية، وإنّ النظام الحالي مهما يكن فهو أفضل بكثير مما سيحدث من فقدان للأمن والسلم الاجتماعيين"، وبذلك يغطّون على تورّطهم بكثير من تلك الحمامات، وحتى الحروب الداخلية في العراق وسوريا وليبيا واليمن، إنّهم يحاولون اغتيال مبدأ الثورة أو الانتفاضة لدى الاهالي، من خلال الترهيب والاغتيالات والخطف وإشاعة الفوضى وعمليات السلب والنهب وفقدان الأمان، لتكريس الاستكانة والعبودية لدى العموم من الأهالي.

كتابة...

إيمان البستاني

كلوديوس جيمس ريتش، ينادونه البغداديون ب (ريج) وأحياناً (رج) كما خطّ له نقّاش بغدادي ختماً كتب عليه :(كلاديس جيمس رج، بلغ العلى بكماله، كشف الدجى بجماله، حسنت جميع خصاله، صلوا عليه وآله"!) حين كان يشغل منصب (المقيم البريطاني) في بغداد خلال الفترة 1808- 1831 وكان ايضاً مندوباً لشركة الهند الشرقية في بغداد.

هو رجل استثنائي لمؤهلاته الفائقة؛ إداري، رحّالة، مؤلف، رسلم ، جامع مخطوطات وقطع أثرية، وذو موهبة فريدة في اكتساب اللغات منذ سن مبكرة. فحين كان في الثامنة أو التاسعة من عمره، ألهمته بعض المخطوطات التي رآها في مكتبة أحد النبلاء في المدينة الإنكليزية (بريستول) إلى تعلم اللغة العربية. وعند بلوغه الخامسة عشرة من عمره، كان قد ألم بعددٍ من اللغات الشرقية الأخرى، يتحدث عشر لغات من بينها العبرية والسريانية والفارسية والتركية.

عند عمر السابعة عشر سنة 1804 عُيّن ريتش كاتبًا في شركة الهند الشرقية وسافر إلى مصر ، حيث أصبح مساعداً للقنصل العام. أتاحت له هذه الوظيفة الفرصة لإتقان اللغة العربية واستكشاف فلسطين وسوريا. حتى أنه تمكن من دخول المسجد الأموي الكبير في دمشق متنكرًا، ما كان متعذرًا جدًا على زائر غربي آنذاك.

وعلى أثر زواجه من (ماري) ابنة حاكم بومباي السّير (جيمس ماكنتوش) بداية عام 1808، عُيّن في منصب المقيم البريطاني في بغداد، حيث أثبت ريتش تمكنه من الإدارة. والأهم من ذلك، تمكن في أوقات فراغه من تفحّص المواقع الأثرية القريبة منه، ومن جمع العملات المعدنية والمخطوطات الشرقية وغيرها من التحف. ونتج عن زياراته لآثار بابل في نهاية المطاف نشر مجلدين من المذكرات التي توثق ما شاهده هناك.

في سنة 1830، وريثما كان يعاني من وعكة صحية، قرر ريتش السفر إلى كردستان. وقد أثمرت هذه الزيارة عن أهم مؤلفاته (سرد لإقامة في كردستان) حيث شكّل الكتاب أول وصف جغرافي وأثري للمنطقة في القرن التاسع عشر.

و في سنة 1831 كان ريتش على وشك تولي منصب مهم عرضه عليه حاكم بومباي، عندما أُجبر على نقل المقيمية من بغداد بعد خلاف مع الوالي العثماني. وقام بعدها برحلة إلى شيراز، حيث زار آثار برسبوليس وقبر كورش الكبير. وفي شيراز، أُصيب بمرض الكوليرا. وعلى الرغم من (كل المساعدة والرعاية) التي نالها، إلا أنه توفي في الخامس من أكتوبر ولم يتجاوز (٣٤) عاماً من عمره ودُفن في جهان نما، وهي حديقة ملكية فارسية.

وفي سنة 1833 زار قبره (ويليام بروس)، المقيم البريطاني في بوشهر، فوجده (مدمراً تقريباً بسبب الثلوج والأمطار في الشتاء المنصرم). فأوصى بروس بإنشاء ضريح من الرخام بدلاً منه. ويذكر النقش فوق الباب أن الضريح أُنشئ (إعراباً عن الاحترام والتقدير لمكانة الراحل وإلمامه الواسع بالأدب الشرقي). وقد أعيد دفن رفاته في الكاتدرائية الأرمنية في أصفهان سنة 1836.

وبعد خمسة عشر عاماً من وفاته، نشرت زوجته في عام 1836 نصّ رحلته إلى كردستان وأضافت إليه خارطة لنينوى، ووصفاً لمنحوتات كان قد جمعها من الخرائب، كما أضافت مقاطع من مذكراتها هي في رحلتها من بغداد إلى السّليمانية في كتاب تحت عنوان (رحلة ريج المقيم البريطاني في العراق عام 1830م إلى بغداد - كردستان - إيران) نقلها إلى العربية سيادة اللواء (بهاء الدين النوري) عن الدار العربية للموسوعات، 2008 م.

الكتاب يقع قي (433) صفحة ومقسم الى أثني عشر فصلاً وستة ملاحق يبدأ ريتش مذكرات رحلته اليومية الى كردستان يوم (16) نيسان سنة 1830 وينهي سردها في (31) من تشرين الأول بتدوين يومي حين تنتهي الرحلة بدخوله الموصل والمرور على بئر في (داملاماجة) يعتقد الأهلون بأن مياهه شفاء لكثير من الأمراض كما يعتقدون بأنها مسكونة من الجان، سبب رحلته كان بهدف سياحي للترفيه عن النفس وهرباً من قدوم صيف بغداد القائض لكن السبب لم يكن مبعث اطمئنان لوالي بغداد العثماني (داود باشا) وظّن أن هكذا تحّرك لا يخلو من دسائس وتجسس تصب ضده لا لمصلحته.

تحركت القافلة فجراً مصطحباً زوجته (ماري) و(آغا ميناس) ضابط دار الإقامة و مستر (به لى نو) الطبيب الألماني الجنسية وسكرتيره الخاص محاطاً بحاشيته البالغة من (50 - 60 شخص) محملين بالمؤن و (14) خيمة يمتطون الخيول والدواب ماعدا حرمه خصص لها (تختروان) وهي مفردة تعني بيت مثل المحمل والمحفة يحمل على البغال بواسطة أعمدة وهو يكون في الوسط وبعض الأحيان حسب جغرافية المنطقة تجدها تقوم بامتطاء إحدى خيول زوجها المقتناة بعناية وعندما يتكلم عنهم يسميهم بالخيول البغدادية.

ريتش، ملتصق بالعادات والقيم الشرقية محافظاً عليها لا يشذ عنها احتراماً، من تلك العادات انفصال قافلة الحريم عن قافلة الرجال مسيرة نصف يوم وتصف زوجة المستر ريتش بكثير من التفكه كيف أن وصيفتها (أم ميناس) البدينة حشروها في إحدى الكجوات وهي عبارة عن قفص يحمل اثنين منها كل بغل على جانبيه في حين الجانب المقابل (تقي) خادمها المسكين يقبع كعصفور مما اضطروا الى وضع الأحجار معه لتعادل ثقل الجانب الآخر، وكم كانت كثيرة معاناتهم في التحرك وسط الأوحال لغزارة أمطار نيسان.

قصدوا (طوزخورماتو) وكان يومها عدد سكانها (5) الاف نسمة وأغلبهم من الترك، يطفو النفط الأسود على سطح الماء على شكل فقاقيع ويقوم الناس باستخراج الملح وتصفيته من النفط وبيعه لكردستان تاركين النفط بمقدار جرتين يومياً لاستخدامات القرية اضافة لمنابع الشب والكبريت لمعالجتهم من الجرب هم وأنعامهم كما يأتي ذكر منطقة (بابا كركر) ومدينة (كفري) المسّورة و كيف أن القرويين يدفنون محاصيلهم من الحبوب في آبار قريبة من قراهم حيث تستّر وتسّوى الأرض من فوقها خوفاً من إغارة القرى المجاورة.

عند وصولهم تلول كفري وسهل البيات استقبلهم رئيس عشيرة البيات وأحسن ضيافتهم وحكى كيف أن منطقة البيات اخذوها عطية من السلطان ولم يدفعوا فيها أي ثمن مقابل أن يخدموا عسكرياً اذا ما احتاجهم باشا بغداد أما عشيرة البيات الكبرى فموطنها خراسان.

يصف الرحلة إلى السليمانية وكيف أبلغه (محمود باشا) أن يدخل المدينة في التاسعة صباحاً لحسابات تنجيمية فأمتثل ريتش لرغبة والي المدينة وكانت يومها مدينة متواضعة لم يمض على إنشائها سوى ثلاثين عاماً ، نفوسها (10)الاف فيها (5) خانات وجامعين وحمام واحد أنيق شيده إيراني على غرار حمام كرمنشاه الحديث.

يتطرق لوصف مناخ كردستان وهو أمر دأب عليه في تذييل تقريره اليومي بدرجة الحرارة والتوقيت بدقة متناهية دون ذكر وسيلة القياس إلاّ مرة أخيرة قال عنه محرار وكانت قراءاته جميعها بوحدة قياس الفهرنهايت، كما يسهب في إغناء القارئ بشروحات وافية عن المحاصيل الزراعية من حنطة وشعير وقطن وتبغ و كروم ومنتجاتهم التي يترأسها العسل والجوز والمن والبلوط

تعلق الكرد برؤسائهم شديداً جداً واذا ما نفى باشا بغداد أحدهم لبغداد عقاباً، يلحق به أفراد عشيرته ومستعدين للعيش بتقشف في بغداد تاركين نعيم ممتلكاتهم وهو أهون عليهم من ترك رئيس عشيرتهم وحيداً في بغداد، ومن هنا نشأت كراهية الكرد من النفي لبغداد.

كان آغوات الأكراد يكرمون ريتش وحاشيته ويهيئون لهم مساكن أحيانا تكون تحت مستوى ذوق ريتش لكنه يتقبلها دون امتعاض ويجري تعميم بأوامر صارمة للسكان من التقرب أو مضايقة الضيف ويواظب الآغوات على زيارته صباحاً مساءً أو دعوته إليهم يقتلهم الفضول لمعرفة أحوال الأنكليز كيف يعيشون وكيف ينظمون أمورهم وكيف يبدو جيشهم وما تفاصيل أسلحتهم.

الكرد مهووسون بعراك الحجل، قاموا نزالات عديدة إكراماً لريتش وكل طير كان له اسم ويرجع الطائر لوحده الى القفص بعد انتهاء العراك وإذا ما خسر الطائر جولته لا يعود مطلقاً للعراك إلاّ بعد زمن.

الكرد مثل الأيرانيون يأكلون الطعام بتؤدة ولا يزدرونه مثل الأتراك، كما يمدون موائدهم على مرتفع من الأرض وبترتيب وأناقة وهناك من يقف خلف المحتفى به وعلية القوم ليسقيهم بالشنينة اللبن الرائب بحموضة يجفل منها الغريب.

والكردي متميز بامتلاكه بنية رياضية يعشقون الرياضة والفروسية والسيف، لكنهم يجهلون أصول الفروسية كما لا يهتمون بالخيل، بينما العرب فرسان فرسان مهرة هادئون، والكرد كشافون ماهرون وأكفاء في الحصول على المعلومات عن معسكرات العدو حيث يمتلكون مهارة التسلل، والطريف كيف انتبه ريتش أن الشيخ الكردي يتكلم ويوجه خدمه أثناء الركوع لذا أسمى صلاتهم أسلوبية. كما أنهم لا يلغطون او يتصايحون فيما بينهم عند الكلام كالإيرانيين

النساء جميلات المحيا لا يتحجبن كثيراً كالعربيات ويختلطن بالرجال في الحقول والأسواق وملابسهن زاهية خاصة اذا ما عقد عرس في الجوار فأنك ستشاهد أجمل منظر في تراصهن وهن يرقصن الدبكة، رقصة الكرد الفلكلورية. تصف (ماري) زوجة ريتش مجتمع النساء الكرديات وكيف يبدو الحزن عليهن لابتلائهن بوباء الجدري الذي يحصد أطفالهن دون علاج يصده، وعندما ذكرت لهم زوجة ريتش بأن لقاحه موجود وستقوم بطلبه من موطنها لينقذ أعمار أطفالهن، فرحن لحظة ورجعن لحزنهن بعدها مرددين الله كريم.

المشروب الذي تردد ذكره في كل الكتاب هو القهوة ولم يأت على ذكر الشاي ابداً، كما تدخين الغلايين سمة تجمع الكرد نساءً و رجالاً والتبغ المحلي الذي تنتجه مناطقهم يمتاز بهدوء طعمه.

ريتش في مذكراته يسهب في تفاصيل العشائر وأفخاذهم، أزيائهم وصفاتهم العامة، عاداتهم، حيث عرف عنهم بأن الكرد فرحون اجتماعيون لا يحسدون ولا يتشاتمون و الكرد هم الشرقيون الوحيدون الذين يسهرون إلى ساعة متأخرة من اللّيل، و ينهضون في ساعة متأخرة صباحا، و قليل من سادة السليمانية من يأوي إلى فراشه قبل الثانية أو الثالثة بعد منتصف اللّيل ومن يخرج من داره قبل التاسعة أو العاشرة صباحا، و تكون زياراتهم عادة في الليل فإذا خيم الظلام بدأوا يتزاورون في دور بعضهم البعض حيث يستأنسون بالسمر والتدخين والموسيقى، ذكر عشيرة الجاف رئيسهم كيخسرو بك وكيف يضعون ريش المالك الحزين على عمائهم، كما جاء على ذكر من صادفهم من اليهود والنصارى النسطوريين والأيزيديين و عندما سألوه ماذا يود ان يُهدى أجاب: كتاب الشرفنامة للمؤرخ شرف الدين البدليسي الذي يعتبر أول كتاب عن تاريخ الإمارات الكردية، ووعدوه خيراً.

بعد مدينة السليمانية رحلوا عبر مضيق كويزة و دخلوا إيران من جهة بحيرة (زه ري بار) و عبروا جبال (زاغروس) للوصول إلى (سنه) عاصمة الأكراد الإيرانية، والكرد بطبيعتهم يكرهون الايرانيين ولو استغل ذلك الأتراك لكان لهم أواصر ثقة مع شعب جسور. ثم زاروا المواقع الأثرية في (شهرزور) رحلة في الجبال المنيعة المنقطعة التي تسكنها عشائر الكلدانيين المسيحيين ومن ثم إقامتهم في قرية العمادية و وصفه لعشيرة البهدينان وهم من أشرف العوائل، لا يقدم أحد على استعمال أنية او غليون أميرهم، ويقضي الأمير يومه في عزلة وعندما يُقدم له الطعام يقوم بتسوية الجزء الذي أكله حتى لا يلاحظ أحد أنه قد أكل، البهدينان انيقون على الطراز الموصلي يعتمرون شالاً وطربوشاً أحمراً، أمّا عند الصيد يرتدي الأمير لباس خشن ليمكنه من الاستلقاء على العشب.

بعدها عبروا (التون كوبري) وصولاً إلى أربيل وقلعتها حيث استقبلهم قرب المدينة نائب حاكمها على رأس خمسين خيالًا ويمزح ريتش عندما يصفهم حيث يقول:"كاد الغبار يخنقنا قبل ترجلنا من كثرة عددهم و حركة خيولهم"، يستمر في رحلته وصولاً إلى جبل مقلوب و نهر الخابور إلى أن دخلوا الموصل من جهة كرمليس.

لا يغيب على القارئ الحصيف ان للرحلة عذاباتها لتقشي الأوبئة وكثير ما صادف اعتلال صحة القافلة بكاملها، وقد فارق الحياة بعض من رجالاته من شدة مرضهم، و في بعض الصفحات تجد ريتش نفسه يشكو مرضا يمنعه من كتابة يومياته بإسهاب.

الكتاب ممتع في كونه عين ثالثة عن العراق في حقبة يندر أن تجد عنها ما يروي ظمأ القارئ الباحث، وقد أثنى عليه الدكتور (علي الوردي) عالم الاجتماع المعروف رحمه الله، وقد أثرى المترجم ترجمته بجهد زخر بهوامش غنية من إيضاحات وأسماء الامكنة التي تبدلت بفعل الزمن والوصف الجغرافي للمنطقة في وقتنا الحاضر و حسابات المسافات بين القرى ومعاني الاسماء الكردية التي يأتي على ذكرها ريتش، مستمداً خزينه المعرفي من ثقافته الواسعة المنحدرة من أصوله الكردية الكريمة، كل هذا ساهم في إخراج الكتاب بحلة قشيبة.

تتمة: كلمة العدد

الهيئة التي تقودها، ناهيك عن زميلاتنا وزملائنا الذين كانوا شهوداً، سواء هؤلاء الذين كانوا في الوطن، وتعرضوا للضغوط لترك الرابطة/ الاتحاد، والانضمام إلى الهيئات المولودة بالإضافة إلى من لم ينضووا في هذه الهيئات المستولدة لدواع حزبوية، أو هؤلاء الذين كانوا خارج الوطن، وكان صوتهم أعلى، ولعلنا جميعاً شركاء في اتخاذ هذا الموقف التاريخي في مسيرة العمل النقابي لحملة الأقلام، بعد أن تم- على عجل وعلى إيقاع سقط جدار الخوف وتلاويح و دنو ساعة الصفر- جمع"بعض" من لاعلاقة لهم بالكتابة، ومن قال في قاعة المؤتمر "الانشقاقي" وإن رمم بأسماء جديدة:

"مواضيعي التعبيرية في الإعدادية كانت جيدة وسأبدأ بالكتابة"، أو غير ذلك من الأمثلة التي لا أريد إيرادها لئلا تحال إلى أحد ما، ما أثرعلى هيبة المؤسسة النقابية بعد أن باتت في سباق من أجل تضخيم أعداد المنضوين تحت أجنحتها!

الخارج والداخل: قراءة جديدة!

بدهي، أن حضور المرء في وطنه، لاسيما في اللحظات العصيبة من تاريخه أمر على درجة كبيرة من الأهمية، كما أنه وفي ظل الدكتاتوريات فإن كثيرين يضطرون لتجرُّع علقم الهجرة، او التهجير بعيداً عن وطنهم، ولعلنا راينا كيف أن أصحاب الرأي كانوا الأكثر استهدافاً، بعد الثورة السورية المغدورة2011، من قبل أمراء وفراعنة الحرب، و أن معادلة البقاء في الوطن، أو الخروج منه، لايمكن أن تستثمر لترجح كفة من هو داخل أو خارج، فوجود الكاتب في الخارج يمنحه فضاء الحرية، وهذا ما يجب ألا يلوح به كامتياز على قرينه، وفي المقابل، فإن من استطاع التكيف مع ظروف الحرب، مغامرة ولاأقول نتيجة ضمان فلا ضمان في زمن الحرب لأحد، لهذا السبب أو ذاك- عليه ألا يجعل من ذلك بطاقة مواطنة ذهبية رقم"1" وقد قرأنا لبعضهم- ومن المثقفين الذين تقاسمنا الحلم والرغيف والهواء- من يقول: غداً، لن تقبل أرضنا أجساد من هاجروها، وأمام عيني أكثرمن حالة لمن قال مثل هذه العبارة وهو خارج الوطن أو من حاول الخروج، وهوما لا نضعه في ميزان المواجهة، باعتبارأن كثيرين منا، وفي لحظات الحرب والحصار انفعل، وجانب الصواب، إلا أن من يغادر وطنه لأن رأسه كانت مستهدفة نتيجة موقفه حين يقابل بأمر من لم يغادر وطنه باعتباره لم يقدم أسباب ذلك،ولاأفصل -وما أكثرمن بقيوا هناك وقدموا ولايزالون يقدمون الكثير- أو أوجد لذاته موطناً تحت ظلال بندقية- هذه البندقية التي تقدس في لحظة ذودها عن الكائن والمكان لاسيما في مواجهة الإرهاب، بتدرجاته، داعشياً وما قبل داعشي وما بعد داعشي، ناهيك عن أن الكاتب، أو الإعلامي اللذين هما خارج الوطن إلا أنهما لم ينفصلا عن أهلهما، وأحوال أهلهما، عبرخطابهما، وليسا بعيدين عنهم، لاسيما إذا قورنا بحالة من لا يقول- داخلياً- إلا ما هومسموح له- وهو معذور- ولعلي إن كنت هناك لربما ما قدرت أن أقدم أكثرمنه، إلا أن علي ألا ألغي سواي!

إنني-هنا- أتحدث عن عينات فقط، ممن تبتهج بابتعاد أقرانها، عن الساحة، وترى أن هذه الساحة مطوبة باسمها، ويكون الأمر أكثر درامية أو حتى كاريكاتيرية، عندما نكون أمام اسم- الاتحاد العام للكتاب والصحفيين- الذي كان له حضوره الفاعل في أصعب لحظات مواجهة الطغاة، عندما لم تكن هناك بندقية كردية تسنده، ولا مقاتل بطل يحرسه، بل كانت قوته في كلمته وارتباطه بأسئلة وتطلعات شعبه، وما كان لهذا الناكرعليه حضوره الحالي، أي دور ميداني في المواجهة المباشرة، ولا أقول في الكتابة الجمالية، أو حتى التراثية، أو التي لاتستفز!

أسماء تحفر عالياً

أشير، إلى مثل هذا الأمر، لأن خلطاً كبيراً تم في المشهد الثقافي، وإن كانت أسماء كثيرة تقدم أو ستقدم-إعلامياً مثلاً- أكثر من واحد مثلي، وقد ظهرت بعد العام 2011، في حقول الإبداع، أو الإعلام، وأنظر إلى هؤلاء بعين الإعجاب، بينما المهيمنون على المشهد من بينها أسماء، مهرولة للظهور، من دون أن يشفع لها رصيد إبداعي ماخلا رصيد تكرار العبارات الممجوجة، في إهاب إدعاء الثقافة. لاضير، لقد تم خلط كبير، بعد انشقاقات صفوف الكتابة، والتموقعات الطارئة المؤسسة، ليس على الخلاف الفكري، وإنما على خلاف تقديم الذات، وما يلحق بذلك من مكاسب معنوية أو ماعداها، وإن كان حق التفكيربتأمين الرغيف مطلوباً، بل مفروضاً، ولكن ليس على حساب أي تنازل!

وسط مثل هذه الحالة، وظهور بعضهم تسلل إلى- رابطة الكتاب- اسم ما أو أكثر، من بينهم، بتخطيط ودراية، في إطار شق مؤسسات المثقفين، تم الاستعداء علينا، ووجدت الرابطة ذاتها معزولة، ولم يبق حولها إلا أقل من عشرين زميلة وزميلاً- تحت التهديد؟- لم نرد أن نسبب مزيداً من وجع الرأس لهم، فلم ينخرط هؤلاء في المؤسسات الطارئة التي باتت تنظف ذاتها، تدريجياً، من هؤلاء الذين أرادوا منها مطايا- وأتحدث هنا عن الكتاب الذين صمدوا قبل العام 2012- وقبل ظهور المؤسسات التابعة للإدارة الذاتية، وباتت أعداد هؤلاء تتضاءل، بسبب الهجرة أو التهجير من الوطن: وهكذا بالنسبة إلى زملاء آخرين في الوطن، وتم افتتاح مكتب لهم. مكتب غيرمعلن، قررنا تعليق أنشطته أمام التهديدات التي تمت بحق الرابطة، وصرنا نقرأ اللوحة الجديدة، بدقة، إذ كان يجمعنا- خارج الوطن وداخله- رؤية الحرص على إنساننا، ومكاننا، ناهيك عن روح التعاون التي يمكن استشفافها، وقراءتها، منذ عشر السنوات الأخيرة- على سبيل المثال- بالرغم من أن لكل منا رؤيته، إلا إننا نتفق على القواسم المشتركة، وما أكثرها!

هذه اللوحة، التي أتناولها بشفافية، لابد منها كمقدمة لرؤيتنا، كاتحاد عام، للعلاقة الناظمة بيننا وأهلنا الكتاب، إذ نشيرإلى هفوات تمت، وإلى متسلقين انكشفت أوراقهم، وها هم ينسحبون تدريجياً- وهم ندرة الندرة وقد يكونون أقل من عدد أصابع يد واحدة- إلا أنهم استطاعوا بدهائهم، شل العلاقة بين الكتاب، كي يشكلوا- أرضيات- لمؤسسات جديدة، تتجرأ على انتهاك وجود مؤسسة جامعة لحملة الأقلام، وبالرغم من كل هذا، فإن من أول الخطوط التي نعتمدها مدّ أيدينا للكتاب جميعاً، على أمل أن نترفع كلنا عن ردود أفعالنا تجاه بعضنا، بعضاً، لتكون لنا هيبتنا، وإن كنا ندرك أن من ينتفع من هنا أو هناك ليس من مصلحته أن يوفرالسبل لإقصاء الآخر، وإن ليس بيننا أحد يفكر بمس طريقة أحد في تأمين لقمته، على أن تكون نظيفة، وألا يتحول إلى أداة للاستعداء على أقرانه الكتاب!

جبهة ثقافية!

لم أرد أن أتوغل في هذه المحاكمة، البتة، وإن كنت أستخدم في ذلك ما هو عياني، بعيد عن شخصنة أحد وذلك لأننا جميعاً، مطالبون، في هذه المرحلة التي عاثت فيه السياسة، بل وآلة الحرب، وشوهت كل ماهو جميل، بل وتقدم كل ماهو قبيح، في ظل تصاعد دخان وسخام وألسنة نيران الحرب، فاستطاع كثيرون ممن تماهوا مع تلك العتمة تحقيق مكاسب ما، عبرطرق نعرفها جميعاً، لذلك فقد تطلعت الأنظار إلى المثقفين، إلا أن المثقف الذي لم يعط المجال للمشاركة في صناعة أي قرار كردي في سوريا، إما بسبب تبعية بعضهم وتزلمهم: حاجة، أو استظلالاً، أو خشية من التأثيم، أو إعدام سبل الوصول إلى مراكز إبداء الرأي، وإقصائهم، أنى جيء ببعضهم ديكورياً، ناهيك عن أنه مثلما تم إفساد السياسة من خلال الدخلاء عليها في زمن مابعد سقوط آلة الرعب، فهو ما حدث في المشهد الثقافي، إذ إنه بات يخيل إلى أوساط هائلة من المبحرين عبر شبكات التواصل الاجتماعي أنهم غدوا: كتاباً، ونقاداً، وشعراء، وقاصين، ومحللين سياسيين، وصحافيين، وإعلاميين، وفي ظل غياب النقد، والجرأة في مواجهة الأدعياء، لذلك فإن الكتاب الحقيقيين، على أصناف إبداعاتهم ومعهم الفنانون، في المجالات الإبداعية كافة، مطالبون بأن يعملوا ضمن أطر مؤسسية، كخطوة للتنسيق تحت مظلة جامعة، للعمل على جبهات عديدة، من بينها مواجهة أعداء تطلع شعبنا للحرية والتحرر، بالإضافة إلى العمل على التئام الجروح التي خلفتها السياسات الجائرة، لاسيما في سنوات الحرب العشر، ليس لتكريس التمايز، وإنما لإعادة روح الوئام أبناء شعبنا، بعد أن غدا ضحية استبدادات متوارثة، متتالية!

تتمة: هل سنعود إلى الوطن

عام نرجح، وفي الواقع النظري، الحنين إلى كوردستان كوطن، قبل الأهل، علما أن الحقيقة فيما وراء اللاشعور، وحسب جميع الدراسات السيكولوجية تؤكد أن معظم المغتربين حنين إلى حيث مرابع الأهل، والمكان الذي ولدوا فيه، بغض النظر عن الوطن الذي ينتمون إليه، قومياً كان أم لا، فعلى سبيل المثال عندما يتربى الطفل في أوروبا ويذهب به أهله إلى الوطن، فإنه يحن إلى المكان والأصدقاء الذين قضى معهم السنوات الأولى من العمر، ولكننا ككرد وعلى خلفية غياب كوردستان، وبشكل خاص الحراك الثقافي الكوردي نفرض على ذاتنا الواجب الوطني على العاطفة اللاشعورية، وربما هذه صفة تنامت معنا نحن الجيل الأول في الهجرة، كإحساس بتأنيب الضمير، رغم أن ما قدمناها في المهجر حتى الآن له صداه العالمي، وتأثيره الكبير على القوى المحتلة لكوردستان، رغم أنه لا يرقى إلى سوية القضية والثقل الديمغرافي الكوردي إن كان في الوطن أو المهجر.

على خلفية هذا الإحساس بالواجب الوطني، إلى جانب التضارب الفكري والنفسي، بين تقديمها في المهجر أم في الوطن، أغلبنا نفرض على ذاتنا العمل وبشكل متواصل على ترسيخ رابط العلاقة ما بين المكانين، وهو ما دفعنا أن نضع مسألة افتتاحنا لمكتبنا في قامشلو من أولويات نشاطاتنا، بل ونعتبره اليوم أحد أهم إنجازاتنا، ونقومه على أنه الخطوة الأولى نحو العودة، علما أنه كان لنا مكتب في قامشلو وديريك في السابق، ولن أتحدث عن دواعي أغلاقهما فهي مؤلمة، لكلية حراكنا الثقافي.

المهاجر رغم ما يعانيه داخليا، يواجه صراعاً مع إشكاليات الانتقادات، ما بين التقصير في النشاطات كسفير لوطنه وشعبه، ونعته بأنه يريد قيادة الداخل، أو التسلط على الداخل من الخارج، وهذه الاتهامات من أهم الأسباب المؤدية إلى الانشقاق الأول في الإتحاد العام، وإغلاق مكتبنا في قامشلو، عندما كانت تسمية هذه المؤسسة لا تزال رابطة الكتاب والصحفيين الكورد في سوريا، علما أننا في المهجر نسخر معظم إمكاناتنا لرفع شأن أمتنا وحراكنا الثقافي والسياسي في المحافل الدولية، وتحسين الوضع الداخلي، من الناحيتين الاقتصادية والسياسية على الأقل.

علماً أننا على دراية ومن خلال دراسة تاريخ الهجرات، أن قضايا العودة تكاد تكون أكثر من معقدة، ونادرة حدوث عودة جماعية، حتى في حالات الغزوات، وأنها كانت على مر التاريخ شبه معدومة، والاستثناءات تشبه الطفرات في تاريخ الجينات، وأنا هنا لا أود أن أنشر حالة اليأس بين شعبنا، بل أود تبيان الحقيقة علناً، وكشعب كوردي عانى ويعاني من الضياع أكثر من معظم الشعوب التي حصلت فيها الهجرات الكبرى، أخذ العبر والخروج باستنتاجات نفيد بها ذاتنا وقضيتنا.

فكما نعلم أن معظم دول الشرق الأوسط الحالية تنحصر انتماءاتها إلى الشعوب المهاجرة الغازية، كالعالم العربي، وتركيا، كما وأن واقع الأمريكيتين وأستراليا ومواطن البيض في جنوب أفريقيا، هي نتاج هجرات، تأذى منها الجيل الأول، وكانت الأغلبية المطلقة تحلم بالعودة، وهو ما نراه الآن بين الكورد وغيرهم من المهاجرين إلى أوروبا أو الدول الحضارية الأخرى، ويكاد يكون من شبه المستحيل عودة نسبة 5% من الذين نتوقع منهم العودة، في أقصى الاحتمالات، وهذه النسبة تكاد تنعدم عند الجيل المولود في تلك البلدان، بل ولن نبالغ إذا قلنا إنها معدومة عند الأغلبية المطلقة للجيل الحالي أيضاً، في واقع الظروف الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وحيث الحروب في أوطاننا، وحيث الفروقات المعيشية، والتي تغطي على الحنين والصراعات النفسية في اللاشعور.

جميعنا (الذين نعمل بشكل متواصل على ألا ننفصل عن الوطن، إن كان من خلال المساعدات الاقتصادية أو السياسية، أو الدبلوماسية، أو عبر فتح مراكز ثقافية أو مكاتب؛ كالخطوة التي أقدمنا عليه نحن في الإتحاد العام للكتاب والصحفيين الكورد في سوريا، في قامشلو بمساعدة أعضاء الإتحاد في الداخل، وغيرنا من مجموعات المثقفين والسياسيين ومنظمات المجتمع المدني) من الجيل المهاجر الأول، المتعايش مع الواقع النفسي المؤلم، وحيث الاضطرابات من كل الأنواع، والتي لا تغطيها الراحة أو لنقل الرخاء في الحياة اليومية، مقارنة بالوطن، قد لا تكون نشاطاتنا بثقل القضية، ولن تملأ كل الفراغ بين الداخل والخارج، لكن هذه الخطوة الأولى تقوي أواصر العلاقة بيننا فى المهاجر والوطن، وتزيد من احتماليات العودة لشريحة ما من المهاجرين، وقد تخلق حالة استثنائية فى واقع الهجرات.

نحن لا نتحدث عن الغزوات وهجرات شعوب بأكملها، والتي رغم الصراع مع واقعها الجديد، فقد أفاد أبناؤها وبنوا لأجيالهم اللاحقة دعامات وأسس مستقبل باهر، بل عن هجرة شعبنا الكوردي والتى شملت قرابة نصف شعبنا فى جنوب غرب كوردستان، الذي ورغم وجود إمكانيات الاستفادة منها، ولعدم درايتنا فى تسخيرها بالشكل المناسب، عمقنا خلافاتنا السياسية والثقافية، وخلقنا منطقاً جديداً فى تاريخ الهجرات البشرية، وهو اختراع مقياس الوطنية ما بين الداخل والخارج، بين المهاجر والمقيم في الوطن، ولا شك معظم المتمسكين بالأرض لهم تقديرهم، ولكن لا تعنى ذلك الطعن فى مصداقية المهاجر الذي يكتب ويدافع بما يملك عن قضيته ووطنه، إن كان بشكل فردي أو ضمن مؤسسات، كالاتحاد العام للكتاب والصحفيين الكورد ذوي الحضور المعروف محلياً وكوردستانيا وأكاد أقول أكثر من ذلك، وهكذا بالنسبة إلى الذين فتحوا مراكز ومؤسسات في عدة أماكن في المهجر، كالمجلس الوطنى الكوردستانى فى سوريا، سعينا إن يكون مركزه فى واشنطن لدواع من وجهة نظرنا، وهناك العديد من الجمعيات والمؤسسات التى تربط جالياتنا مع الشعوب المحتضنة لنا، كمؤسستنا الكوردية الأمريكية فى مدينة هيوستن، ولاية تكساس، ومثلها العشرات فى كل المدن الأمريكية، جميعها وبدون استثناء عملت وتعمل لخدمة القضية والوطن، لهذا ولأن احتماليات العودة شبه معدومة فعلينا إن كنا فى الداخل أو الخارج دعم المجموعات التى تسخر هذه المراكز لقضيتنا الكوردستانية، لا أن تطعن فيها، وتهاجمها على خلفيات حزبية. هذا بالنسبة إلى أمريكا، وهو ما يقال عن سوانا في مجمل الخريطة الأوربية، وغيرها خارج الوطن.

لا خلاف على أن التهجير أو الهجرة خلفا وراءهما ضعفاً ديمغرافياً سياسياً، وأثراً وبشكل سلبي على التنظيمات الثقافية والسياسية والاجتماعية فى الداخل لكنهما وبالمقابل خلقا إيجابيات اقتصادية وثقافية وسياسية ودبلوماسية، كحالة روج آفا الجارية، فمجموعات من الشريحة المثقفة المهاجرة وبشكل فردي أو تنظيمى سعت وعملت وتعمل على تخفيف آثار الغربة والضياع فى العالم الجديد، بفتحها أقنية التلاقى مع الأصل، والتلاؤم مع المجتمع الحاضن، وهو ما قد يحافظ على ارتباط نسبة من الأجيال اللاحقة بالوطن، وكما ندرك أن أسباب الذوبان مثلها مثل أسباب الهجرة، متنوعة، وأعدادنا فى الخارج بلغت الملايين، من البعد الديمغرافى، وحلت مكاننا فى الداخل ملايين من أبناء الشعوب الأخرى كما حدث لأجزاء أخرى من كوردستان الكبرى، أي أننا عملياً نخسر الوطن ديمغرافياً، فبدون هذه الخطوة التى أقدمنا عليها، وأمثالها، والتي يجب أن تشجع وتتوسع وتساند كما أنها تسند، نكون قد ساهمنا في الضياع، وزدنا من حالة اليأس والعودة إلى الوطن حتى عند الشريحة الطامحة.

ولنكن منطقيين، ونتعلم من التاريخ، فإنه لا بد من الاقتناع بأن عودة المهجر أو المهاجر، شبه مستحيلة، يستثنى منها الحالات الفردية، أو فى حال تجاوزت الدول المحتلة أو كوردستان المستقلة بديمقراطيتها وواقعها المعيشى الدول الحاضنة، وهذا وحسب الواقع المرئي تخمين طوباوي، لذا المفروض والمطلوب من منظماتنا في الداخل والخارج، ومن الحراكين الثقافي والسياسى، العمل معاً، ومساعدة بعضهم بعضاً من أجل تجميع طاقاتنا وتسخيرها لصالح قضيتنا، وأي صراع بين الداخل والخارج بقدر ما يضعفنا يزيد من إمكانيات السلطات المحتلة لكوردستان.

المآزق الكوردية الجديدة

جان كورد

بإيجاز: هل الكورد في مأزق؟

نعم، نحن في مآزق وليس في مأزقٍ واحد.

ربما يتساءل المرء: كيف تقول هذا ونحن نسجّل الانتصارات ونحقق الإنجازات كل يوم؟

وأنا أجيب:

لننظر إلى خارطة كوردستان التي لا اعتراف دولي بها حتى اليوم، كيف يحاول أعداء الكورد اقتطاع أجزاءٍ أخرى منها، هي أكبر من "كوردستان الحمراء" التي ضاعت في الحروب بين الآذريين والأرمن، بل قبلها في مرحلة النظام الستاليني الذي هجّر الكورد في قطاراتٍ دون تدفئة في الشتاء القارس ووزّع ما بقي من الكورد المهجرين في البرد القارس ومن جراء الجوع والعطش أحياءً على 9 جمهوريات سوفيتية، فها هم العثمانيون الجدد يسعون لبناء قواعدهم العسكرية في المناطق المحررة من جنوب كوردستان، مثلما يسعى الحشد الشعبي ومن وراءه للقضاء على الوجود الكوردي في مناطق محتلة من كوردستان، أطلق عليها سياسيون كورد وعرب اسم "المناطق المتنازع عليها" وكذلك في منطقة "شنغال" بالتعاون مع وحدات مليشيا تابعة للحزب الأوجلاني الذي يمنح الذريعة تلو الأخرى للتمدد الشيعي مثلما يفتح راياته وصور رئيسه وشعاراته الأممية الفضفاضة شهية الجيش التركي أيضاً، وكأن بينهم (الحزب الأوجلاني، الحشد الشعبي، الجيش التركي) اتفاق سرّي، فنجد كركوك التي ضحى من أجل تحريرها البيشمركة البواسل تصبح في طرفة عين لقمة سائغة في فم الحكومة البغدادية بسبب الأداء الخياني للجاش الكوردي الجديد المتعاون مع الحشد الشيعي.

وها هو البرلمان العراقي والحكومة في بغداد في حالة الطرشان لايكاد يسمعان أو يقبلان أي مقترحٍ كوردي مهما كان إيجابياً وواقعياً بصدد المحكمة الاتحادية التي نص عليها الدستور العراقي ولا بصدد حصة الاقليم الكوردستاني في ميزانية الدولة... فهل هناك مأزق أضيق على القلوب الكوردية من هذا الوضع في جنوب كوردستان؟ وهل نحن في هذه الدرجة من الغباء لأن لا نأخذ التهديدات الأردوغانية باحتمال الهجوم المفاجىء على الاقليم محمل الجد؟

لقد وصل الأمر بنا إلى درجة أن هناك من يدعو للقضاء على فيدرالية الاقليم بضم السليمانية إلى إيران أو فصلها عن الاقليم، كما أن صعاليك من زعماء الحشد الشعبي مثل الخزعلي بدؤوا يهددون باحتلال هولير وتقديم القيادة الكوردية للمحاكم بتهمة الخيانة للعراق، وهم ليسوا سوى أقزامٍ تعيش على فتات موائد الملالي في إيران.

في غرب كوردستان مأزق أيضاً، فالحوار الكوردي – الكوردي لم يحقق آمال شعبنا، والاحتلال التركي جاثم على صدور أهلنا، والمرتزقة الإرهابيون لا يتوانون عن كل الانتهاكات المحرمة حسب القوانين الدولية، وبخاصة في منطقة عفرين التي يتناقص فيها الوجود الكوردي السكاني كل يوم لدرجة أن الكورد قد أصبحوا "أقلية" في موطنهم الذي كانت نسبتهم فيها 98% من السكان قبل الغزو التركي العسكري في عام 2018. وقد لا يتقدّم الحوار الكوردي رغم الوساطة الأمريكية، بل سيهزل الدفاع الكوردي في مواجهة العديد من الطامحين في دفن الوجود القومي لشعبنا بقوة السلاح..

فالنظام الأسدي المدعوم من قبل الروس والفرس، والنظام الأردوغاني المدعوم من قبل المعارضة السورية الإخوانية وجهاتٍ هامة في حلف النيتو وفي الاتحاد الأوربي، وكذلك السياسيون الخونة من قومنا الذين يلتحفون بلفاح الدولة التركية العميقة، كلهم يتعاونون سراً أو علانيةً على إضعاف الكورد وتشتيت قواهم وضربهم بعضهم ببعض، في غفلةٍ من أصحاب القرار الكوردي الذي لم يتحد في يوم من الأيام مع االأسف. إن التغيير الديموغرافي الذي بدأ في عهد الرئيس حافظ الأسد بتأسيس أكثر من 40 مستعمرة "كيوبتز" عربية في منطقة شمال الجزيرة على طول الحدود التركية – السورية مستمرٌ في المناطق التي تخضع الآن للاحتلال العسكري التركي. وزعماء غرب كوردستان في نقاشاتهم التي لن تنتهي حتى انتزاع المنطقة كلها من بين أيدي شعبهم..

أفليس الكورد في غرب كوردستان في مأزق بين كل القوى الدموية المحدقة بهم وببترولهم وبأرضهم وبوجودهم؟

وماذا عن شمال كوردستان؟ هناك تبدو السياسة هي الغالبة على الأجواء، ولكن ثمة مأزقٍ كبير، فجميع من يعمل بالسياسة "إرهابيون" من وجهة نظر رئيس الجمهورية طالما يتطرقون في كلامهم وخطبهم ومطالبهم لحقوق الشعب الكوردي، ونواب البرلمان كرؤساء البلديات المنتخبين من الكورد ديموقراطياً يتم طردهم أو عزلهم أو زجهم في السجون، فالكورد لم يتمكنوا خلال عقودٍ من الزمن من دحر الطورانية العدوانية بالقتال الدموي ولن يتمكنوا من فعل أي شيءٍ لصالحهم عبر ما يسمى مجازاً بالبرلمان الديموقراطي، وفي الشارع تتقلّص دائرة استخدام اللغة القومية الكوردية ولا زالت أغلبية واضحة من كوردنا تصوّت للحزب الحاكم الذي يجهد للقضاء على الوجود القومي الكوردي واستئصاله تماماً باتباع أساليب ملتوية ومتناقضة أحيانا... وكأن الحزب الأوجلاني لم يتمكّن خلال أرلعين عاماً من إزالة عثرةٍ واحدة من طريق الشعب الكوردي.

وماذا إذا سقطت حكومة اللاعدالة واللاتنمية وفاز أولئك العنصريون من أبناء وبنات البورجوازية والعسكريتاريا الطورانية؟

هناك أيضاً نحن في مأزق...

أمّا في شرق كوردستان، فالبلاء أعظم، ففي عهد الشاه كان هو شخصياً ضد الطموحات القومية الكوردية، إلاّ أن مركز عقيدته كان عرشه الذي حاول دائماً الحفاظ عليه بكل ما أوتي من قوة، أمّا في عهد ملالي الشيعة، فالحرب على الشعب الكوردي فارسية –مذهبية، وكل يوم تضيق مساحة التعبير عن الذات بالنسبة للكورد، فالتعليم والجيش والدستور وكل ما في أيدي الملالي من قوى بطش وقمع ضد الشعوب الإيرانية من كورد وعربٍ وآذريين وبلوج، وإن فلسفة الأجداد العظماء تتداخل مع الآيديولوجية الدينية الطائفية لتنتج مجتمعاً يكره الكورد (الذين غالبيتهم من المسلمين السنة) ويسعى للقضاء بمسلسل الإعدامات التي تأخذ طابعاً احتفالياً على الروح الوطنية الوثابة لدى الناشطين منهم.

فالفكر الشيعي في ظل الخمينية أخطر على الوجود الكوردي من دكتاتورية الشاه ومن الفكر البعثي – الصدامي، بل من الأتاتوركية الطورانية، ورغم ذلك يظهر من زعماء الكورد السنة مثل علي بابير من يعتبر الهجوم على جمهورى ئيسلامي ئيران هجوماً على الدين الإسلامي... وعليه فالمأزق الكوردي هناك يظهر بمظهر ديني برّاق...

ناهيك عن مآزق ثقافية واجتماعية ومالية للكورد في الجمهوريات التي نجمت عن سقوط النظام الشيوعي والكورد الذين تشرّدوا في بلدان العالم الحر الديموقراطي الذين قد ينصهر أولادهم وأحفادهم في بوتقة ثقافاتٍ ولغاتٍ قوية وعميقةٍ كالبحار...

فكيف نتخلّص من مآزقنا العديدة من دون اتحادٍ ووضوح في الهدف القومي وفي النهج والسلوك الواقعي المستند إلى العلم والمعرفة والإطلاع الواسع على السياسات الاقليمية والدولية؟

تتمـة:

رحيل الكاتب والمفكر الكوردي

لكبير عزالدين علي ملا

يجب ان يكون له حدود... والحقيقة إني لم أعد أستطيع تحمل توديع الاعزاء الواحد بعد الآخر وعن بُعد أيضا بدون ان أراهم النظرة الأخيرة.

ابن عمي الدكتور جواد ملا المحترم

أشواق وحنيات ، وتهاني بعيدي رأس السنة الميلادية وعيد الفطر السعيد أبعثها اليك راجيا الله تعالى أن تكون بخير وعافية وسعادة قويا في نضالك ومضطلعا بمسؤوليتك التي أنت وأقرانك جديرون بها . وفقك الله وسلمك ....

هاتان الصورتان جزء من قرية أجدادنا وهي بدوان Bekeem Beg التابعة لقضاء جرمو Cermo من أعمال دياربكر . وهذا بيت جدنا وأهلنا الذي تطل منه هذه الناقة . أما الصورة الثانية فهي منظر عام لجهة الجنوب الغربي للقرية التي تراها لابن عمنا مصطفى بن عثمان وهي تضم إلى جرمو . وهذا النهر الكبير فيها هو بين أجدادنا . وهذا الوضع الذي ترينه كان قبل ١٢٥٠ عاماً وهما صورتان تذكاريتان احتفظ بهما . وأنا أصور كان الجماعة الفرنجة يتفرجون مني من أين أنا . ولتعلم ان قريتنا بعيدة عن الطريق الرئيسية إلى مدينة جرمو بـ ٢٠ كم . وهي تبعد عن مدينة جرمو بـ ٤٠ كم . والمسافة بين جرمو وكركوك ٢٠٠ كم . وسنتابع الكتابة في القريب والسلام

ابن عمك

٢٠٠٠/١١/٢

وإني أعتقد أن الانسان لا يموت دفعة واحدة بل يموت بالتدريج كلما فقد عزيزا... وإني فقدت كثيرا من أعزائي الذين عرفتهم شخصيا وهذا يعني إني فقدت الكثير من كينونتي ووجودي وإقتربت كثيرا من النهاية.. ومن الذين فقدتهم في السنوات القليلة الماضية فقط، كل من الاعزاء البروفيسور جمال رشيد أحمد أستاذ التاريخ الكوردي القديم في جامعة هولير والبروفيسور جمال نبز والمهندس فرهاد بهلوان والبروفيسور محمد صالح گابوري وعبد العزيز الحجي زعيم جبل الاكراد في شمال اللاذقية وأخي الكبير زياد ملا و إبن عمي الغالي عزالدين علي ملا... وجميعهم وإن رحلوا إلا إنهم تركوا لنا تراثا كورديا حقيقيا وقيما ستفتخر الأمة الكوردية به إلى الأبد.

رحمهم الله جميعا وأسكنهم فسيح جناته وألهمني وعوائلهم وأقربائهم ومحبيهم الصبر والسلوان على فراقهم.

ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فيما يلي صور لابن عمي عزالدين علي ملا ومؤلفاته وإحدى رسائله لي..

تتمة:

بين الحلم والواقع في عصر الإرهاب البيولوجي

كما أن هناك حراك فرنسي – تركي يهدف إلى اقتطاع جزء هام من سوريا (لواء اسكندرون) وضمه إلى تركيا... وإذا بمشروع سوريا الكبرى يتقلّص وينفرط، فذهبت لبنان وفلسطين والأردن من أيدي السوريين ولربما إلى الأبد ووجد زعماء سوريا أنفسهم مضطرين لمطالبة عصبة الأمم في تلك المرحلة ب"دولة سوريا" التي ذكروا في مطالبتهم الخطية أن نهر الفرات يحدّها من ناحية الشمال، ويبدو أن زعماء الكورد هم الذين لم يعملوا شيئاً ضد وحدة سوريا، فظهر منهم رجالٌ مشهورون بوفائهم لسوريا وعملوا من أجل بناء دولتها الحرّة الديموقراطية ذات السيادة التامة على ما تبقى للسوريين من أراضي، أخضعها الفرنسيون لممتلكاتهم ومستعمراتهم.

واليوم، ساد صمتٌ عجيب على موضوعي لواء اسكندرون والجولان المحتل من قبل اسرائيل منذ عام 1967 في حرب خاسرة نجمت عنها صفقة تجارية سرية، ونجد أن أقطاباً من "المعارضة الوطنية السورية بامتياز" لاتجد غضاضة في أن تحلّ العملة التركية محلّ العملة السورية، ودوائر البريد التركي عوضاً عن البريد الوطني وأكشاك البنوك التركية في المدن والبلدات السورية والتعليم والتربية في أيدي تركية عنصرية واستعمارية عوضاً عن المدرسة "العربية السورية" وأن تقوم تركيا بكل ما يعنيه الاستيطان والاحتلال في شمال سوريا، كرهاً بالكورد وغمطاً لأمانيهم في انتزاع حقوقهم القومية ضمن حدود الدولة السورية، وحيث التغيير السكاني في المنطقة الكوردية يجري على قدمٍ وساق في وضح النهار، والروس الذين كانوا يحلمون بأن يجدوا لهم موضع قدمٍ على شواطىء البحر الأبيض المتوسط، صار لهم حق الكلام كمحامٍ عن النظام الحاكم في دمشق، ومستوطنات على الساحل الشرقي من البحر الأبيض، وبإمكانهم لعب دورٍ وسيط بين القوات الكوردية التي تسمي نفسها ب"قوات سوريا الديموقراطية" تفادياً لإظهار أي علاقة لمقاتليها بقضية الشعب الكوردي العادلة وبين ما تبقى لنظام الأسد من قوات عسكرية وتنظيمات حزبية في الجزيرة السورية.

وإذا ما نظرنا إلى الخارطة اليوم فسنجد أن دولتين من سوريا الكبرى وهما سوريا الحالية ولبنان في تشقق وانهيار، والعراق بجانب سوريا في تمزّق وتصدّع ولربما نجد في المستقبل القريب عراقين (العراق العربي والعراق العجمي أو الكوردي) وقد تنشأ إلى جانبهما دويلة سنية في حال اتساع الخرق العراقي. ونرى لبنان في قبضة حزبٍ لا يخفي ولاءه الأيديولوجي لملالي إيران فلا يعترف بأي حكومة وطنية في لبنان لا تتشكّل في ظله، حتى أنّ لبنان وصل إلى شفا حفرةٍ من الحرب الأهلية ثانية، فانعدام السيولة المالية وتعاظم القوى المتخاصمة والضرب على الأوتار الطائفية وعدم وجود دعم دولي لتحقيق الأمن والاستقرار يفضي إلى الحروب الأهلية عادة، ونجد سوريا الحالية ذاتها أبعد ما تكون عن شعارات "المقاومة" و"وحدة التراب السوري" و"بترول العرب للعرب" والاحتلال التركي يقضم من البلاد ما يحلو له على مراحل، فإن مدينة حلب حسب الرغبة الطورانية مدينة "تركية" وجبل الكورد "كورد- داغ" ليس إلاّ مقاطعة تركية مثل كلس وأنطاكية وسواهما، والاسرائيليون يقصفون القوات الإيرانية ومرتزقتها من حزب الله وفصائل الحشد الشيعي، حتى في منطقة الجزيرة البعيدة عن جنوب سوريا وحدودها مع اسرائيل...

ولا أحد يدري هل ستبقى سوريا واحدة موحدّة في ظل نظامٍ يسلخ جلد النظام الحالي، فيتحوّل شمال البلاد إلى محافظات تخضع للنظام الإداري التركي وجنوب البلاد يتحوّل إلى ملعب كرة نارية بين الفصائل الايرانية المتطرّفة والاسرائيليين الطامحين إلى القضاء على التمدد الإيراني في سوريا، حيث تجد خطراً حقيقياً لأمنها القومي... بل ثمة همسات عن إمكانية انضمام الساحل السوري الذي تتحكّم به روسيا إلى كانتون شبه مستقل أو ينضم إلى شمال لبنان كما كان يحلم به زعماء العلويين أثناء الانتداب الفرنسي وطالبوا بذلك في وثيقة رسمية مرفوعة للمستعمر الفرنسي آنذاك... أما في العراق، فلا ندري هل ستبقى القوات التركية إلى ما شاء الله في مواقعها المنتشرة في العديد من مناطق كوردستان، أم أنها ستنهي استيطانها واحتلالها في حال التوصّل إلى حل ما مع حزب العمال الأوجلاني بالتخلّص من قيادة "قنديل" وإعادة الحزب إلى السيطرة التامة للسيد أوجلان أو المخلصين له.

وهكذا نجد أن أحلام العرب والكورد قد لا تتحوّل إلى واقع في عصر زوال شبه تام للحدود الوطنية واشتداد قبضة القوى العالمية التي تمارس "الإرهاب البيولوجي" الذي وصل إلى ذروته مع ظهور وباء كورونا (كوفيد 19) وما يليه، وفي عصر الانترنت الذي كاد يغيّر الكثير من ملامح الحضارة البشرية بعد قرونٍ طويلة وعديدة من سيادة القلم والدفتر... وتبقى نقطة إيجابية واحدة لعصر الانترنت بالنسبة للشعب الكوردي، فقد أفسح لهذا الشعب المغدور المجال للتلاقي والتعارف والتعاون والتضامن سياسياً وثقافياً في كل بقاع العالم وفي سائر المجالات من خلال انتهاك الحدود التي رسمها المستعمرون قبل قرنٍ من الزمن، فالكورد يتمتّعون بوحدتهم القومية بشكلٍ لم يسبق له مثيل في عالم التواصل الاجتماعي الرحب الكبير، وهذا يدعم طموحهم وأملهم في أن يحققوا يوماً ما وحدة ترابهم الوطني فعلياً وليس في عالم الانترنت وحده...

تتمة: دور المثقف الكردي في المجتمع

حزب سياسي كردي على أيدي مجموعة من الشباب الكرد، من مختلف المناطق الكردية في سوريا. هدفه النهوض بالأمة الكردية والمطالبة بحقوقها القومية والثقافية.. وما أن تبلورت الحركة الكردية، حتى تعرضت إلى ضغوط الحكومات الإقليمية، والملاحقة والنفي والاعتقالات ، وكانت الشخصيات المتمثلة بالقيادة محط إعجاب وتقدير من قبل الشعب الكردي المتعطش للحرية وذلك لجهودهم وتضحياتهم التي لم تلن، مقابل آلة التعذيب النفسي والجسدية والترهيب، التي مارستها تلك السلطات، وإقصاء أبناء الشعب الكردي من تسلم المناصب الوظيفية الرفيعة، بحجج واهية وبتهمة الدعوة إلى الانفصال ، وهذا مما أدى إلى انضمام أغلب الشباب المثقف والجامعي إلى الأحزاب التي رأت فيها إمكانية توظيف الطاقات والتطلع إلى مستقبل واعد، بتحقيق البنود المثالية الوارة في النظام الداخلي للحزب، والأمل بتحقيق الأحلام المبتغاة للجيل المؤمن بعدالة قضيته،وبأن الثورات التي أطاحت بحكامها المستبدين والطغيان الممارس بحق شعوبهم وحققت النجاح كالثورة الإنكليزية والأمريكية والفرنسية والروسية والصينية والجزائرية، وآخرها "الثورة الإسلامية" في إيران، ويالياتها ما كانت..

وسرعان ما عملت السلطات فعلتها بتشرذم القيادات ونشر صلاحية تشكيل أحزاب أخرى سرياً وفق قاعدة (فرق تسد) وبذلك فاق عددها العشرات، في زمن الأسدين، على مستوى سوريا، وهذا مما أدى بدوره إلى البحث عن مكانة اجتماعية لانقة لما أثارت له من مقومات الشخصية خفية، دون علم الجماهير لروابطها السرية مع أجهزة الأمن السورية.

إلا أن كما يقال: ذاب الثلج وبان المرج واتضح للجماهير مدى خذلان بعض تلك القيادات التي تمثلها في المحافل الدولية والإقليمية ناهيك عن مدى الخساسة والردة والمساومة اللامجدية، لدى أنفار، فقط للاحتفاظ بالألقاب حتى ثارت مدينة القامشلي بربيع 2004 في وجه الفتنة التي افتعلها النظام لغايات ميتة، وكانت ردة فعل الشارع الشعبي والعفوي أقوى من طبول القيادات المنتصبة، وهنا استيقظ الشعب من غفلته وتبين له مدى سذاجة القيادات المتحكمة دون جدوى ويبدو أنها كانت مرهونة تحت الضغط والتهديد والاعتقال..

ورأت الشريحة الواعية والمثقفة الصادقة عدم القدرة على الاستمرار في المساومة أكثر من ذلك وهي التي تعيش على أمل الإصلاح، ومن هؤلاء من اختار سبيله إلى الكتابة بأشكالها المختلفة لتفريغ هواجسه بأسلوب أدبي بعيدا عن لغة التسيس والتخوين.

ومازالت تلك الشريحة الشريفة تمارس مهامها ونشاطاتها فأصبح منهم اسماء لامعة أثبتت حضورها على الساحة الدولية في جميع المجالات، وبذلك أيقن الشارع مدى مصداقيتها، ووسع آفاقها في قراءة التاريخ والأحداث، وحتى كما يقال قبل الحدث نتيجة الخبرة في التقاطعات للسياسة الدولية والإقليمية.

وبكل أسف ابتعد الكتاب والمثقفين الكرد والمختصين بالعلوم المختلفة عن إيدلوجيا السياسة الملعونة للأجندات المقيدة التي تحاك خلف الكواليس وخاصة بعد قيام الثورة السورية في عام 2011 وديمومتها بلا غالب ولا مغلوب، سوى التدمير وظهور تجار الحروب في كل صوب وحدب، والمتاجرة بدماء الأبرياء على مساحة الوطن، بشكل كامل حتى باتت سوريا مقسمة على أرض الواقع وكلما مر الزمن ازداد الشرخ والجرح من دمار وتخريب وسلب ونهب بأشكاله المختلفة وأصبح العيش فيها لا يطاق، وخاصة لندرة المواد وشحها وغلاء أسعارها وبالأخص المواد الضرورية، نتيجة ارتفاع سعر صرف الدولار مقابل الليرة السورية التي باتت لا تصدق..

والآن ونتيجة الصحوة وما آلت إليه الأحداث القائمة في المناطق الكردية بشكل خاص والسورية بشكل عام ،مما أدى إلى هجرة العقول بشكل خاص والسوريين بشكل عام خوفا على اولادهم وحياتهم ومستقبلهم.

ومن هنا لخصوصية القضية الكردية على الساحة الدولية، فالدعوة قائمة إلى حل جميع الأحزاب السياسية إن أمكن، ودمجها بأيدلوجيا واقعية تحت مسمى حزب أو اثنين على الأكثر، وفق أجندات تخدم القضية وبمشاركة الشريحة الأعظم من المثقفين من جميع الاختصاصات بحيادية مطلقة، ومن لهم الباع الطولى بالممارسة والتمكين والنزاهة للنهوض لتطلعات الشعب والقضية الكردية في الأجزاء المحكومة بأنظمة الدول الإقليمية المتحكمة بمصير أبناء جلدتهم، ولكن ضمن قانون ودستور يصون الأهداف المنشودة بشكل قانوني دون تمجيد شخصيات صورية بذاتها ونظريات منسوبة دون اساس .وتشكيل لجان مراقبة ممن يمتازون بالقدرات والشخصية الاعتبارية لمحاسبة من تسول له نفسه للانقياد لأجندات خارجية مشبوهة تضر بالأهداف والقضية.

وما أكثر الشخصيات التي يمكن التعويل والاعتماد والتوكل عليها في صيانة وصياغة هكذا مهام وقيادة الأمة إلى الخلاص ورد الاعتبار، وإيصال معاناة الشعب والقضية إلى المحافل الدولية بمصداقية، ولا يخفى على أحد بأن المثقفين الكرد انتشروا في بلاد الغرب والغربة، نتيجة المعاناة في بلادهم، وها هم يمارسون قناعاتهم ونشاطاتهم دون رقيب ولا عتيد، ولديهم إمكانات الوصول إلى الغرف السرية في الدول التي يقيمون فيها ، والتعريف بقضية شعبهم ومدى إمكانية العون والمساعدة في المرحلة الراهنة على الأقل. ولا يخفى بأن حل قضيتنا أصبح بحاجة ماسة إلى الدعم الدولي لفرضها كحلول على الدول الإقليمية المتقاسمة.. وبالتالي تكاتف القوى السياسية الكردية على قلب رجل واحد، وهذا ما نأمله من الأيادي البيضاء والغيورين اللذين يقولون ويفعلون..(كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون) صدق الله العظيم ....

تتمة:

الانتخابات العراقية والنزاهة!

أجهزة دعاية تقدمها مجموعة كبيرة من الفضائيات المؤدلجة التي تستثمر نزعات طائفية وقبلية وعرقية في توظيف إشكاليات محلية ودينيّة وخارجية ومن بينها الخلافات بين إقليم كوردستان والحكومة الاتحادية بما يتناغم مع إذكاء الشعور بالمظلومية، جرّاء فشل تلك الأحزاب من إحداث تغيير نوعي في طبيعة حياة مواطنيها، وتعليق الأمر بشماعة الإقليم، للتغطية على كميات الفساد الهائلة التي رافقت حكمها منذ إسقاط نظام البعث وحتى يومنا هذا.

وفي خضم هذا المشهد المعقد من الصراعات السياسية البينية والخارجية، والتورط في إشكاليات إقليمية ودولية لا مصلحة للعراقيين فيها، يبدو أن إجراء انتخابات مبكرة ونزيهة صعباً إن لم يكُ مستحيلاً في هكذا بيئة ومجتمعات تغصّ بالأمية الأبجدية والحضارية، وتتحكم فيها الأعراف القبلية والطائفية، وتفتقد إلى أبسط مفاهيم المواطنة الجامعة، وتُشرف عليها هيئة انتخابية مرتهنة لطبقة سياسية، أثبتت فشلها الذريع وتسببت وبعد أكثر من خمسة عشر عاماً في وصول البلاد إلى هذا المستوى من الانحدار، حيث الأزمة الاقتصادية الخانقة، وعدم وجود محكمة اتحادية دستورية مكتملة، ناهيك عن طبيعة المجتمع ونسيج عاداته وتقاليده التي تؤثر بشكل بالغ على نوعية من يصل إلى هيئة التشريع، فإذا كانت الديمقراطية حلاً لكثير من مشاكل النّظم السياسية في العالم، فإن أحد أهم أدواتها ووسائلها في تداوّل السلطة بواسطة صناديق الاقتراع ليست حلاً لمشاكل مجتمعنا، بل بالعكس تماماً غدّت كارثة أكثر إيلاماً من الشموليات التي انفرد فيها حزب قائد ودكتاتور أوحد، وما يجري اليوم في معظم بلداننا الشرق أوسطية تحديداً وفي العراق خاصةً منذ 2003، يؤكد على فشل استخدام هذه الآليات وأدواتها في هكذا بيئة، وضرورة البحث عن وسائل وأدوات أخرى غير تلك المعتمدة في دول الديمقراطيات العريقة والمجتمعات التي تختلف كلياً في تركيبتها الاجتماعية والقيمية عن مجتمعاتنا، مع الحفاظ على روحية النظام الديمقراطي والعمل على تكريسه تربوياً وتعليمياً واجتماعياً، بدءاً من الأسرة والمدرسة لإحداث تغييرات نوعية في بناء المجتمع وتهيئته لتطبيقات ديمقراطية ناضجة.

تتمة:

في تأمّل تجربة الكتابة

ثمة جوانب إيجابية كثيرة في كتاب "نسوة في المدينة" على الصعيد الشخصي العاطفي، وأشارت إليها القراءات النقديّة المنجزة حول الكتاب. لماذا لا تريد "حبيبتي" أن تراه، وتصر فقط على أن تجعل بيني وبينها مجموعة أجساد عارية تحوّلت إلى مجرد "قصص وسرد"، انتهت عمليا ولم تعد موجودة. آمل أن تعيد التفكير مليّا بهذا، من أجل أن يكون لتلك التجربة أهميتها العاطفية والكتابية، ولنكون أقدر على الكتابة في المرات القادمة بحرية شاسعة الحدّ دون خوف من أنفسنا، قبل الخوف من الرقباء والجلادين، فأول درجات الحرية التحرر من أوهام الذات وحصارها، وعلى رأي (إيتيان دو لا بويسي): "الحرية خالصةً لا يتمناها الناس البتة، لا لسبب آخر على ما يبدو إلا لأنهم إن يتمنوها ينالوها، فكأنهم يرفضون الحصول على هذا المكسب الثمين، لا لشيء سوى أن الحصول عليه يسير جداً". (مقالة العبودية الطوعية، ص152-153). فهل سنستهلك الكثير من الوقت لنعيد ترميم العلاقة من جديد؟ وهل يمكن لهذه المرأة التي تحصنت وراء الجدار أكثر من قبل أن تفهمني وتستوعب ما تمّ وتكون أكثر حرية مما هي عليه الآن؟

من ملفات جريدة "القلم الجديد-Pênûsa nû" وبالتعاون مع موقع "ولاتى مه" عن الأدباء والكتاب والفنانين الكرد

ملف الدكتور نورالدين زازا - الحلقة(5/4)

في ذكرى مناضل وأديب:
الدكتور نورالدين زازا
خورشيد شوزي

باقتراح من المفكر الصديق إبراهيم محمود رئيس تحرير الجريدة السابق، وبالتعاون مع موقع "ولاتى مه – welatê me" - استطعنا في "بينوسا نو" أن نعد ملفاً عن مناضلنا الكبير الدكتور نورالدين زازا- لنشره على أربعة أجزاء- نجلي خلاله بعض الحقائق، لاسيما أنه ومنذ أن وطأت قدما الدكتور زازا هذا الجزء من تراب وطنه تعرض لحملة شعواء من قبل الأنظمة المحتلة لأرضه، بعد أن ألظت نيران الحقد أفئدتهم، لأنهم لم يستطيعوا أن يغيبوا كردستان عن قلوب أبنائها، ولا استطاعوا أن يخمدوا جذوة الحب بين الأرض وجذورها أبناء الكرد.

حاول الإخوة والأخوات الكتاب أن يلقوا بعض الضوء على ما تركه مناضلنا وراءه من إرث نضالي و ثقافي، ومن معاناة شاهدة عيان المثقف الكردي فيه، وأي تاريخ سُجّل باسمه حتى الآن، وكيف تم التعامل معه، ونظرة كل منهم في هذا التاريخ، وفي شخصه باعتباره شاهداً على مأساة نضال، و ثقافة، ومأساة مثقف ظهر في الزمن الكردي الصعب، ولا زال هذا الزمن مستمراً، وأريدَ له أن يكون خارج ديموغرافية كردستانيته، ليموت وفي روحه حسرة من كرديته، وكيف يتم التعامل مع ذكراه إلى الآن هنا وهناك... كل حسب نظرته.

وفي الجزء الأخير من الملف لايسعنا إلا أن نشكر كل من ساهم في إغناء هذا الملف الهام، كما نأمل من جميع المثقفين عند تناولهم السيرة النضالية لشخصيات كردية أن يلتزموا الحياد في أفكارهم و أبحاثهم ليكون النقد والتحليل دقيقاً وموضوعياً، وأن لا يطلقوا أحكاماً جزافاً في وسائل التواصل الاجتماعي أو غيرها من المنابر، فالدراسات النقدية يجب أن تكون معمقة ومستندة إلى مصادر موثوقة، ومراعاة الأوضاع العامة للزمان والمكان في والظروف المعاشة في تلك الفترة، كي تكون الاستفادة من تجارب هذه الشخصيات النضالية معنوياً وسياسياً، وبذلك نكون قد خطونا خطوة نحو تخطي عتبة الجهل بما حدث في الماضي؟ لأن التشتت والتخوين وخلق الحجج في توسيع شرخ الخلافات وتصعيد الصراع الداخلي بين القوى الكردية ستكرر نفسها بأساليب مغايرة؟

الصورة أكبر من إطارها:
عن نورالدين زازا غير المقيم بيننا طبعاً
ابراهيم محمود

نور الدين ظاظا / حياتي الكردية "بالفرنسية "

هذا العمل نشِر لأول مرة في عام 1982، وهو ينتمي إلى ذاكرة الشعب الكردي، وسيكون دائماً على علاقة بالحاضر. ويتتبع الرحلة السيرة الذاتية للكاتب والزعيم السياسي الكردي نور الدين زازا، الذي توفي في لوزان عام 1988 بعد أن تعرض للسجن والتعذيب في معظم دول الشرق الأوسط. فمن تركيا إلى العراق ومن سوريا إلى سويسرا، عبر لبنان، لن يتوقف هذا الرجل عن المواجهة حتى ينال شعبه أبسط الحقوق الثقافية والإنسانية.

ولا تقتصر شهادة نور الدين زازا على كردستان. فهناك أكثر من 120 شخصية من أصول مختلفة - أرمن ويهود ويونانيون وعرب ودروز –حيث يشكّل الضحايا والجلادون قوة هذه الشهادة التي تلقي الضوء على التاريخ المعاصر في جميع أنحاء الشرق الأوسط

وقد وُلد نور الدين زازا في كردستان التركية تحت حكم الإمبراطورية العثمانية، وواجه، وهو في السادسة من عمره، الدراما الكردية. ولقد دعا هذا الديموقراطي المتحمّس، الذي أصبح سويسرياً في عام 1978، الشرق الأوسط إلى كونفدرالية دول على الطراز السويسري.

www.culturactif.ch

غلاف كتاب نورالدين زازا "حياتي الكردية"، وفي الاسفل إيجاز محتواه، بدءاً من ولادته في مادن، وانتهاء بوفاته ودفنه في لوزان السويسرية، وفيه بحث عن خلاص الشعب الكردي، باللهجة الزازية.

(كما هي الصورة السالفة الشبَه، هي هذه الصورة ولو في اتجاه آخر. الجهات كانت تظر إليه حباً. المترجم)

صوت كردستان "بالفرنسية والانكليزية، في الأسفل" والتي كان يصدرها في أوربا، كماهو معلوم

(الصحيفة عينها، والحياة عينها، والحياة المنشود عينها. بمقاييس نورالدين زازا، وليس سواه. المترجم)

الدكتور نور الدين زازا، كما لو أنه يحلم وبوجه وسيم، والابن جهة اليسار، وهو بادي الإبتسامة، كأنه يترجم ملامح وجه الأب.

(صورتان تكمّلان بعضهما بعضاً، يقول الابن الناضج ما كان الأب الناضج كما هو حق النضج أن يكون عليه شكو الولد الصالح، أباً ناضجاً. المترجم)

(في أي عمر كانت جيلبرت مع صورتها ببهاء أحمرها المشع، وابتسامة تؤمم حياة لطالما اشتهاها نورالدين زازا؟ ! المترجم)

حلمي للشرق الأوسط Mon rêve pour le Proche-Orient " رأي الكاتبة جيلبرت فافر زازا ": بالفرنسية "

29 حزيران2015

رأي

تشير جيلبرت إلى أن الحلم بالسلام لم يعد من الممنوع، حتى في المناطق التي تشكو من الحروب والصراعات بين الأديان، كما تعتقد جيلبرت فافر، تلك الكاتبة السويسرية وزوجة الراحل نور الدين زازا، الكاتب والزعيم السياسي الكردي.

وفي رأي لها.

وقد ولدت في سيون في 2 تشرين الأول 1945، حيث باشرت الكتابة في سن الثانية عشرة وتنشر (القصائد وتنشط في الصحافة جنباً إلى جنب مع دراستها) في السادسة عشرة.

وتكتب جيلبرت تحت عنوان :حلمي للشرق الأوسط

في صحيفة يومية ناطقة بالفرنسية في أيار 1984، دعا الكاتب والزعيم السياسي الكردي نور الدين زازا * إلى شرق أوسط على غرار النموذج السويسري. إذ سوف يتعايش العرب واليهود والكرد والدروز والفرس والمسيحيون والمسلمون هناك في وئام إذا تم الاعتراف بحقوقهم. وقد توفي زوجي في عام 1988 دون أن يرى مشروعه قيد التحقيق، ومن دون أن يشهد كذلك تدهور هذه المنطقة من العالم. ولم يكن مصير الشرق الأوسط دون اهتمام بالنسبة لي، كان لدي حلم ...

إذ حرصاً منه على رفاهية شعبه وتحريره من العقوبات، كان النظام الإيراني يتحاور بكل صداقة وصراحة مع حكومة أوباما. وعلى أساس قوة هذا الاتفاق الجديد، ستتخلى طهران عن دعم بشار الأسد وحزب الله اللبناني. سيُطلب من القلة المتحمسة الذين يدافعون بانتظام عن تدمير إسرائيل التزام الصمت.

وتظهر عنف النظام السياسي في دمشق، وما ينتظره الجزاء العادل من قضاء دولي مرتقب.

وتستدرك جيلبرت قائلة:

في حلمي، يتفق السوريون على أن داعش والمتطرفين الإسلاميين الآخرين يجدون السبب. إنهم معًا، سيصنعون سوريا جديدة حيث يتمتع كل من العرب والكرد والأرمن والمسلمين والمسيحيين والدروز والعلويين بالحقوق نفسها. ويمكن للاجئين العودة إلى ديارهم وإعادة بناء بلدهم.

في العراق، إقليم كردستان المتمتع بالحكم الذاتي لم يعد يطمح لأن يصبح "دبي جديدة". وسيواصل تطويره وفقاً لمعايير أكثر إنصافًا وديمقراطية حقيقية.

في أماكن أخرى من العراق، سيتمكن الشيعة والسنة من التصالح، إما معاً أو على أساس مقاطعتين محددتين، إحداهما مخصصة للشيعة والأخرى للسنّة.

لن يكون لبنان غارقًا بعد الآن من قبل اللاجئين (الفلسطينيون موجودون هناك منذ عام 1948 ... والسوريون منذ عام 2011) وسيتم الاستقرار السياسي أخيراً. وكان سيؤسس دستوراً جديدًا وضعه الفرنسيون بعد أن عفا عليه الزمن تمامًا. كيف يمكن للمرء أن يتمالك نفسه دون أن يضحك على الزعم عام 2015 أن رئيس الدولة ماروني ورئيس الوزراء سنّي ورئيس مجلس النواب شيعي؟ هذا الدستور في زمن آخر، والذي يرتكز بشكل مخجل على أساس طائفي، حيث حرم لبنان من القادة السياسيين الذين كانوا سيتجنبون الكثير من الحروب والمصائب في لبنان. وكان الخطأ

الوحيد في هؤلاء أنهم ليسوا من "الدين الصحيح" مثل غسان تويني المحرر والصحفي صاحب الرؤية، الذي كان يوناني أرثوذكسي وبالتالي لا يستطيع حكم بلاده.

لكني لم أخرج من حلمي بعد.

في القدس، سيعترف الإسرائيليون أخيراً بالظلم الذي عانى منه الشعب الفلسطيني. وستقوم الحكومة بتعويض الفلسطينيين الذين طردوا من أراضيهم عام 1948 حيث تم تعويضهم من قبل الألمان. ستعاد المستوطنات لأصحاب الأراضي الأصلية.

لن يخاف البعض من الآخرين. لم يعد الآخرون يرهبون البعض الآخر. ودولة فلسطين ستكون موجودة.

يمكن أن يختبر اليهود والفلسطينيون والمسيحيون والمسلمون روح التعايش تلك التي نادى بها غسان تويني يومياً.

في جميع أنحاء المنطقة، سوف يبدأ عصر الازدهار. فالعلاقات الثقافية والتجارية ستكتف أو بالأحرى تنعش، كما كانت موجودة في وقت واحد وفي جميع البلدان، كما كان الحال في لبنان قبل الحرب، ازداد عدد الزيجات المختلطة.

وسيذهب الإسرائيليون لاكتشاف جمال البتراء وبعلبك وتدمر وبرسيبوليس "عاصمة الإمبراطورية الأخمينية، وتعني بالفارسية عرش جمشيد، وباليونانية المدينة الفارسية. المترجم".

وقد يرى الإيرانيون والسوريون والعراقيون واللبنانيون مرتفعات الأرض المقدسة الثلاثية...

وتقول مختتمة مقالها بالتالي:

وعندما أستيقظ، عندما أسأل ابني الكبير: "ما رأيك في حلمي؟" ، كان يجيبني: "أمي، أنت مثالية، ذلك ما لا يمكن إصلاحه... ألا يمكنك أن تري أن العالم قد تغير؟"

سوى أنني أرفض اليأس ولن أتغير. ولست الوحيدة. إذ من الشرق الأوسط إلى أوربا، وفي كل مكان، يتشارك الناس في اليوتوبيا.

في 22 أيار، أبلغتني صحيفة "ليبراسيون" أنه في هذا العام ومرة أخرى في برلين ستولد أكاديمية الديوان، التي سيكون رئيسها مصريًا وأستاذ الفلسفة الإسرائيلي. كان دانيال بارنبويم هو المحفّز. وسيعمل هناك عشرات الطلاب صحبة آلاتهم، بالإضافة إلى البيانو، وستتم دعوتهم لأخذ "دورات تعليمية فلسفية".

للموسيقى كأداة للسلام، حيث أضاف القائد هذه المرة الفلسفة.

ولا شك أن الموسيقي الكبير قد رأى بالفعل أن السلام كفاح طويل. ولن تكون الفلسفة أكثر من أن تفتح العقول والقلوب.

وفي عام 1999، أنشأ دانييل بارنبووم مع صديقه الكاتب الفلسطيني إدوارد سعيد أوركسترا الديوان الغربي الشرقي، وهي أوركسترا سيمفونية تجمع موسيقيين عرب وإسرائيليين. وبعد الأداء في جميع أنحاء العالم - في جنيف ورام الله والدوحة والمغرب والولايات المتحدة وأوروبا - تشارك الأوركسترا في برنامج مهرجان لوسيرن القادم. في 16 آب، وسيلعب دور ديبوسي وبوليز وتشايكوفسكي. أما بخصوص الحفل الموسيقي يوم 17 آب، مع بيتهوفن وشونبيرج، فسيكون غي براونشتاين وكيان سلطاني عازفين منفصلين.

لهذا لم نفقد كل شيء. لم يعد من الممنوع الحلم بالسلام في الشرق الأوسط وفي العالم. * في سيرته الذاتية، "حياتي الكردية"، يسترجع مسار رحلته من كردستان من تركيا إلى سوريا، ومن لبنان إلى سويسرا. وقد ترجم هذا الكتاب بعد حجْبه إلى التركية والكردية والعربية.

لقد قال لي ابني "أمي، أنت مثالية، هناك ما لا يمكن إصلاحه". إلا أنني أرفض اليأس.

وقد ألفت جيلبرت فافر حوالي عشرة كتب، آخرها، لغة الآلهة " La Langue des dieux"، نشرت دار L'Aire

وتأتي الآراء التي نشرتها: الزمن Le Temps من شخصيات تتحدث عن نفسها. وهي لا تمثّل موقف بأي حال من الأحوال.

الحكايات والقصائد الكردية

مكتوبة أو إعداد من جهة نور الدين زازا، الرسوم التوضيحية من قبل جانكلود رويلر، إصدارات الشعوب والإبداع "بالفرنسية".

ملاحظة من المترجم: اخترت نقل المقدمة مع حكاية وبعض القصائد ومقال لزازا في نهاية الكتاب بالاسم المذكور، وهو في "60" صفحة إلى العربية، من باب الاطلاع، ودون رسوم.

تمهيد

ليس من فصل قطعي بين مبتدعي القصص والخرافات في التاريخ ، كما يقول كلود روي. حيث إننا هنا في قلب الموضوع. ونور الدين زازا، دكتور في العلوم الاجتماعية والتربوية من جامعة لوزان، نسخ حكايات عرقها وقاوم بشجاعة من أجلها. وقد أسس في عام 1957 الحزب الديمقراطي الكردي في سوريا، وذلك لحماية ثقافة ووحدة مهددة للغاية. سوى أنه أعتقِل بل وحُكم عليه بالإعدام. لهذا فإن كردستان ليس لها وجود سياسي خاص بها، إنما هي موجودة فقط في مجابهة الاضطهاد، في حرب البيشمركة البارزانية وفي تقاليدها الثقافية. اسحق واحداً وامحُ الآخرين وستعيش كردستان. هذا ما يعمل أعداؤه بموجبه. "لا يوجد شيء كردي، لا شيء "! يقولون. إنما ستعيش كردستان. ومن أجل إنقاذ ثقافة، أي هوية متنازع عليها، من الضروري الذهاب إلى الأصل، والذهاب إلى مركز هذه الحرارة: فالأساطير. كانت تنتقل شفهياً من عصر إلى عصر، وكانت في البداية تعويذة سحرية، رغبة، أملاً يتحقق بفعل تكرارها. إنها ضرورية على مختلف مستويات الحضارة، فهي تأتي من ذلك المصدر الأبدي الذي تغمر فيه كل الحياة. وإذا انتهت، كما نرى في الغرب، فإنه حتى أغنى البلدان ستتجمد حتى الموت. لأن اللغة تميز شعبًا، ربما أكثر من حدوده ودياناته.

التعبير المباشر والشعبي هو عبقريته. كنز حكاية نور الدين زازا يكشف عن الروح الخاصة للكرد. إننا في عالم الشجاعة والحب والتحدي. يستحضر فيلم: سيامند "Siyamend" جبل سيبان Sipan المرتفع المضاء بشمس سوداء. يطلق الراعي الشاب سيامند النار بقوسه، ويرمي الرمح، ويمتطي حصاناً مثل جميع رفاقه، والأفضل من ذلك. يركض مع الريح فوق السهول، ويمسك بشاة أو عجل أو رجل دون أن يقطع مساره. بلحية الإخوة السبعة الذين رفضوه، يسعد حبيبته خديجه بعينين أرجوانيتين، ويخفيها في كهف. ونجح ببراعة للغاية، حيث نجح في تشتيت القوافل وأصبح ملك البلاد. إنما كان شديد الشغف بالصيد، فهو لا يعرف كيف يحترم حب الغزال لأنثى ويقتله بسهم. والحيوان، الذي يهز قرونه، يدفعه إلى الهاوية. ثم ترتفع صرخة خديجه:

- يا سيبان! يا صخور وجبال ووديان! لا تقف في طريقي! أوجِد لي طريقة افتح لي طريقة اسمح لي بالانضمام إلى سيامند! وأن أكون قبراً له ولم أعد زوجة!

كما نرى، المرأة الكردية محبة وطوعية. في قصيدة جاسمي جليل "خطبة عروس" هي وردة برية: إذا لم تلمسني فلن أكون سعيداً. تعال، اصطحبني خذني إلى الجبل... لا تخشى أن تقول لوالديها: أريد من أحب.

أما بالنسبة للرجل الكردي فهو مقدام دائما. "كانيب يلدريم" نور الدين زازا، بإيقاع فخور ورجولي للغاية، يعبر عن ذلك بشكل جيد للغاية. والأم الكردية رزينة. اضطرت الأم إلى التعرف على رأس ابنها المقطوع الذي سقط في الثلج، ونظرت الأم بعيدًا نحو الجبال وأجابت:

- إنما رأس الخروف هو الذي يحمي الله الكباش التي في الجبل! هكذا تنتهي أغنية ملحمة "حفيد موسى بك مختار". لكن الفكاهة؟ إنه بالكامل في قصة "الله والبارودة". والحنين إلى ينبوع الشباب على الذهب المدفون؟ في "أسطورة بنجول" و "القبر الأبيض". وما الحيلة ، الذكاء؟ في "البصل والثوم "Pîvaz et Sîro" ، الأخوان اللذان كان يُطلق عليهما اسم البصل والثوم. الإلمام بالحيوانات وهبَة مراقبتها؟ هذا السر في أن الشعوب الرعوية لديها أكثر من غيرها، ينفجر في "مزمار تشيكو"؛ نجح في صنع كبش، وهو رأس قطيع، يتسلق سلمًا رأسيًا، على الرغم من الاحتياطي الهائل من الدهون الموجودة في ذيله على شكل مروحة. نتذوق هذه التفاصيل، حيث نتحرك لنجد هنا شجيرات الورد التي تتفتح في الوادي حيث مات صيامند وخادجي، هذه المعجزة المزدوجة، هذه النباتات، هذه الأشجار التي لا تزال ترتفع على قبر العشاق. لكن فراشات تحلق فوقهما وانقسم نجم سيبان أيضًا. يبقى فقط أن نتمنى للكرد بلدهم الحقيقي: كردستان معترف بها بكل حقيقتها الرائعة.

س. كورينا بيلّي

الكلب والرجُل

منذ زمن بعيد، كان الكلب، مثل كل الحيوانات البرية، يعيش بمفرده في الغابات والمروج، بدون رفيق أو صديق. وفي يوم من الأيام عندما تضغط عليه الوحدة، انطلق بحثًا عن صديق، عن رفيق يمكن أن يشاركه أفراحه وأحزانه. وهكذا، كان يسافر طوال اليوم، في الريف. وقرب المساء، قابل الأرنب وسأله:

- يا الأرنب الصغير! ألا تريد أن تكون صديقي وتعيش معي؟

- نعم لمَ لا ؟ يجيب الأرنب.

فيتجول الصديقان الجديدان في الغابة معًا ويجدان منزلًا محميًا جيدًا لقضاء الليل. لم يكد يجلسان هناك عندما يمتد الأرنب ليقع في نوم عميق بينما يظل الكلب مستيقظًا. وقرابة منتصف الليل، يبدأ بالنباح. وعند نباحه العالي، يستيقظ الأرنب ببداية:

- ماذا تفعل لتنبح هكذا؟ يسأله. هل فقدت عقلك؟ ألا تعتقد أن الذئب يستطيع سماع صوتك، ويكتشف ملجأنا، ويسرع إلينا ليلتهمنا؟

عند سماعه يتكلم هكذا، أصبح الكلب متأملًا: "اخترت لنفسي صديقًا غريباً"، قال في نفسه. إنه خائف جدًا، هذا الأرنب الصغير. يجب أن يكون الذئب شجاعًا. وهو الذي سأجده ليكون صديقي. سيتم التنفيذ قبل الانتهاء من سرد طلبك.

يترك الأرنب ويذهب صعوداً وهبوطاً بحثاً عن الذئب. بعد فترة، وجد نفسه في الغابة في مواجهة ذئب. عند رؤية الكلب، يستدير الذئب ويستعد للإقلاع. لكن الكلب يناديه بلطف ويقول: - يا ذئبي الشجاع! أرى أنك تنوي الهروب مني، ألست مساوياً لكم وأستحق أن أكون ضمن مجموعتكم؟ أعلم أنني أبحث عنك بالضبط لأقدم لك صداقتي. لذا ابقوا معي، فأصبحوا أصدقاء وعاشوا معاً. ويشعر الذئب، متأثراً بحنان الكلب، بالاطمئنان والاسترخاء. ويلتفت إلى الكلب، يتفحصه، ويتمعن فيه بعينيه الناريتين، ويجيب:

- أجدك طيبًا ومخلصاً؛ أنا سعيد بقبول الصداقة التي تقدمها لي.

ومع اقتراب الليل، سعى الكلب والذئب إلى ملجأ آمن. بعد العثور عليه، يقضيان شطراً من المساء هناك يرويان القصص ويضعان الخطط. وأخيراً، ينام الذئب فجأة. ليبقى الكلب مستيقظًا حتى وقت متأخر من الليل، ثم ينبح. وعند نباح الكلب العالي، يستيقظ الذئب مرتجفًا وغاضبًا، ويقول للكلب:

- من طلب منك أن تنبح هكذا؟ إذا بذلنا الكثير من المتاعب للعثور على منزل، كان ذلك لحماية أنفسنا من خطر الدب. مع نباحك، سوف توجهه إلينا.

عند رؤية رد فعل الذئب، يفكر الكلب:

- كان يعتقد أن الذئب مصاب بالفعل، لكنني كنت مخطئًا في حسابه. في الواقع، ليس لديه قوة ولا شجاعة. إنه يخاف من الدب ويرتعش عند التفكير فيه. يجب أن يكون الدب قويًا وشجاعًا. سوف أذهب إليه.

يتخلى الكلب عن الذئب ويركض ليقطع الغابة والريف على أمل مقابلة الدب هناك. ليراه بالقرب من الكرم ويقترب منه بهذه الكلمات:

- يا أيها الدب القوي الجسور! ألا تريدنا أن نعيش معًا لنشارك في نكسات الحياة ومتعها؟

يرحب الدب باقتراح الكلب بتعاطف. يقضيان اليوم في الصيد والأكل. وفي الليل، يحتميان في كهف. فيختار الدب قاع التجويف وينام على الفور. ويبقى الكلب عند المدخل، وكالعادة، يباشر في وقت متأخر من الليل بالنباح. فيوقظ صوت الكلب الدب من نوم عميق ويدفع به إلى القفز. ويرتجف في كل مكان، يتوسل الدب للكلب ليصمت:

- من فضلك توقف عن النباح، وإلا ستدع الرجل يكتشفنا. إذا سمعك هذا، فلن يفشل في مفاجأتنا وقتلنا.

- كلمتي ! صرخ الكلب لنفسه، هذا الصاج ليس لديه معدة. إنه خائف من الإنسان. إنه الرجل الذي يجب أن يتحلى بالشجاعة. سأذهب لرؤيته دون تضييع وقتي.

يتخلى عن الدب في الكهف ويركض بحثًا عن الرجل. يستكشف الغابات والموج والغيضات والشجيرات ليجده يقطع شجرة.

– أوه أيها الرجل! لنصبح أصدقاء ونعيش معًا.

يقاطع الرجل عمله ويفحص الكلب بلطف ويبتسم له:

- حسنًا. دعونا نعيش معاً ونصبح أصدقاء. قال بثقة تعال اتبعني. والرجل يأخذ الكلب إلى المنزل. في المساء، يذهب إلى الفراش وينام على الفور.

لكن الكلب يظل مستيقظًا ويبدأ في النباح حوالي منتصف الليل. يستمر الرجل في النوم. ويضاعف الكلب نباحه. ودون أن يتحرك الرجل. يبدأ الكلب من جديد. ثم يستيقظ الرجل، وينهض من سريره، ويتجه نحو الكلب، ويضرب رأسه وأذنيه ويسأله بلطف:

- هل هناك شيء خطأ يا صديقي؟ هل تخاف هل ستشعر بالوحدة لكن ها أنا... آه، فهمت، أنت جائع بالتأكيد. انتظر لحظة. سأحضر لك بعض الطعام.

يذهب الرجل إلى المطبخ ليجد طبقًا مليئًا بقطع اللحم والخبز. يضعه أمام الكلب ويستدير إلى سريره. يتكئ الكلب على الطبق، ويأكل بعض اللحوم والخبز، ثم يستغرق في النوم. في تلك الليلة أصبح الكلب صديق الرجل ولم يدعه مرة أخرى.

في أسفل الصفحة، تقول الحكمة: من لا يخاف من زوجته، لا يكون له بيت.

خطبة عروس La déclaration d'une fiancée

(وردة برّية أنا
لا يزال برعمي مغلقاً
الشمس والندى
طرحا المخصب علي
إذا لم تلمسني
لن أزهر
إذا لم تلمسني
أنا لن أعطّر
وردة برّية أنا
وردة جبلية أنا
بعيدة عنك !
يتفتح الحب مع المداعبات:
الارض تلين من جذوري
مع حبك
إذا لم تلمسني
لن أزدهر إذا لم تلمسني
أنا لن أعطّر
وردة برية أنا
وردة جبلية أنا
بعيدة عنك !
أيها البستاني المجدّ، المغرم بالورد
تعال، اصطحبني، اصعد بي فوق الجبل..

د.جاسم جليل **(1960)**

كانيب يلدريم Canip Yildirim *

"تركيا المتحضرة "
"تركيا الأوربية"
أدانت كانيب يلدريم
بالسجن ستة عشر عامًا
كانيب يلدريم
أربعون عاما
طبيباً
للحق
لديه شعر أبيض
أبيض مثل القطن
كانيب يلدريم
أربعون عاما
ممَّن تتفاوت أعمارهم في السجن
تركيا "الديمقراطية"
لم يقتل ولم يسرق
طلب الحرية
باحترام الكرامة
لشهدائه
لحبه للعدالة
رمتْه
بين براثن معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا
تسمي نفسك كردياً
أنتَ تدعي أن هناك شعباً كردياً !
صرخ في وجهه المدعي العام
للمحكمة العسكرية في دياربكر
الجمهورية
أسسها أتاتورك
تعترف في هذا البلد
بشعب واحد فقط:
الشرطة السياسية التركية.
الشعب التركي.
ليس من شعب كردي
ليس من لغة كردية
ليس من موسيقى كردية ،
ليس من شيء كردي
ليس من شيء
أعلن كلمة "كردي"
فهي تريد انهيار
وحدة البلاد
فهي تهدف
إلى تصفية تركيا
كما أنني أتهمك
بالخيانة العظمى
واسأل عن رأسك
و 90 متهماً هم شركاؤك.
كانيب يلدريم
أربعون عاماً
حيث شعر أبيض
أبيض مثل القطن
أدانته
المحكمة العسكرية
بستة عشر عاماً في السجن
وطوال الوقت
لن تراه زوجته وولا أولاده
فقط من خلال القضبان
يوم الأحد
سيحضرون له البرتقال ...

نور الدين زازا (1973)

*- محامي، سياسي عاش بين عامي1925-2015، درس في باريس، وعاد للعمل في تركيا، فكان رئيس تحرير صحيفة "İleri Yurt"، أي "وطن متقدم"، ونشر قصيدة ذات صيتها، هي "Qimil"، أي "نقل" وهي لصديقه الكاتب الكردي المشهور موسى عنتر، اعتقِل وحوكم في محاكمة "49"، بتهمة العداء للدولة وكونه كانت يخصص عدة صفحات لنشر قصائد بالكردي، وكان ذلك يعني تحدياً سافراً للدولة، وكتب عنه محمد أوزن، على أنه شاهد على مختلف الحكومات التركية المتعاقبة.. (المصدر: tr.wikipedia.org، واللافت هنا أيضاً، أن المفكر وعالم الاجتماع التركي الكبير، صديق الشعب التركي كتب مقالاً وفاء لنضالات يلدرم، باسم Canip Yıldırım Kütüphanesi: أي: مكتبة كانيب يلدرم، موقع www.zazaki.net، وهذا يؤكد نباهة زازا . المترجم).

أمي العزيزةMa chère mere

أمي العزيزة، والدتي المحِبَّة
لا أريد بطلاً
ليس من بطل
لا أريد نبيلة
النبيل مستبد
أمي ، والدتي المحبة
لا أريد شيخاً
صحيح أن زيه نظيف برّاق
سوى أنه أسود
كقاع المقلاة
لا أريد راعي غنم
سرواله ملطخ بالطين دائماً
لا أريد راعي بقر
باطن قدميه مشقوق
لا أريد عالماً
إذ يشوّه بالحبر والقلم
وهو فخور بذلك
لا أريد رجلاً ثرياً
ثروتهم تكون جرح قلبهم
لا أريد رجلاً فقيراً
لا يجرؤ على النظر في الوجه
أمي ، والدتي المحبة
أريد أن أتبع طريق وعدي
أريد ما أُحبُّه

من مقال لنور الدين زازا، عن الوضع الكردي وتمزق وطن الكرد، في نهاية كتابه "حكايات وقصائد" وبالفرنسية، كما نوهَّتُ:

في تركيا، الكرد غير موجودين

خلال المحادثات في مؤتمر لوزان، حاولت أنقرة استرضاء الكرد، فذهبت إلى حد إعطائهم لمحة عن دستور دولة اتحادية تركية - كردية. إنما عندما تم توقيع معاهدة لوزان، لم يكن مصطفى كمال - أحد الأتراك الشباب السابقين الذي أصبح رئيسًا للجمهورية التركية الجديدة بطيئاً في خرْق وعوده والتزاماته التعاقدية. حيث أمر بإغلاق المدارس الكردية واعتقال الوطنيين والمتنفذين. وبدأ الاضطهاد مجدداً، وتم تطبيق إجراءات صارمة في كردستان. فثار الكرد. لكن بدون أي مساعدة ودعم، وتم ذبحهم. وقد كتب ارمسترونغ في كتابه "مصطفى كمال "في ذلك الوقت" كردستان دمَّرها الحديد والدم Le Kurdistan fut dé¬ vasté par le fer et par le sang". وبعد القمع الوحشي لحركات التمرد، طورت حكومة أنقرة عقيدة عدم وجود الشعب الكردي. فلم يعد يشار إلى كرد تركيا إلا بالتعبير الشهير "أتراك الجبل". وهكذا أصبح وصف المرء نفسه كردي جريمة لا تغتفر. وتم اعتماد إجراءات بحق من يتحدثون الكردية.

الأمة التركية الوحيدة لها الحق في المطالبة بالحقوق العرقية في هذا البلد، كما قال رئيس الوزراء عصمت إينونو في عام 1930: "لا يحق لأي عنصر آخر" ذلك. وعلى الرغم من سياسة الإرهاب والترحيل والمجازر العنصرية هذه، فإن الحكومات المتعاقبة في الجمهورية التركية لم تنجح في إبادة الكرد ولا في تركيا ذاتها. وفي السنوات الأخيرة، كانت الصحوة القومية بين الشباب الكردي لدرجة أن الجيش التركي عاد مرة أخرى إلى الحياة السياسية، إلى درجة أنه أعلن حالة الحصار وإخضاع المناطق الكردية لرحمة الجند. واليوم، تقاضي المحاكم العسكرية آلاف المثقفين الكرد بتهمة تسمية أنفسهم كرداً. وهم يتعرضون إلى السجن من 10 إلى 15 سنة.

هناك مصدران خاصان بالفقرة المذكورة، وهما:

1-صحيفة "ميليت" التركية 30 آب 1930.

2- صحيفة الجمهورية التركية بتاريخ 11 و 13 تشرين الثاني 1971

في العراق، استقلالية معينة

وكيف يعامل كُرد العراق؟ في عام 1918، احتلت بريطانيا العظمى كردستان العراق، المعروفة باسم كردستان الجنوبية. وبغية الحفاظ على مصالحهم النفطية، لم يتردد الإنجليز في ضمه إلى الجزء العربي من العراق وإيجاد دولة موحدة تحت رعاية الأمير فيصل. ومع ذلك، فإن هذا الضم لم يجر دون شروط.إذ تعهدت الحكومتان البريطانية والعراقية بمنح الحكم الذاتي للشعب الكردي واحترام حقوقه. وفي هذا البلد كذلك، لم يتم الوفاء بالالتزامات. فقد تعرض الشعب الكردي هناك لسياسة خيبة الأمل والقمع. وفي مواجهة هذا الوضع، اضطر الأكراد إلى المواجهة. ومن عام 1919 إلى عام 1945، تبعت سبع ثورات بعضها بعضاً. وقد تم قمعها جميعًا بالتدخل الهائل لسلاح الجو الملكي البريطاني. فاندلعت آخر ثورة كردية في العراق عام 1961 في ظل دكتاتورية عبد الكريم قاسم. وعلى الرغم من تدمير البلاد من حهة الجيوش العراقية المسلحة بأحدث الأسلحة، فقد تمكن الأكراد من لجْم قوتهم. وفي 11 آذار 1970، أوقفت السلطات في بغداد الأعمال العدائية واعترفت بالحكم الذاتي للمناطق الكردية.

إنها وعود مكتوبة جميلة... واليوم تماطل بغداد في تطبيق الاتفاقيات التاريخية لعام 1970 حرفياً وتسعى لاستفزاز الكرد. وهكذا، فإنه في 29 أيلول 1971، نجا مصطفى برزاني، الزعيم الأسطوري لكرد العراق، بصعوبة من هجوم خبيث دبرته القيادة العراقية. وفي كلتا الحالتين، فإن الموقف الذي حصل عليه كرد العراق قوي للغاية ولا يتعرض لخطر التضعضع بسهولة. حتى لو تم تشكيل تحالف ثلاثي تركي - إيراني - عراقي جديد.

في إيران، ديمقراطية للبلد في مجموعه

منذ القرن السادس عشر، كان الكرد في بلاد فارس ممثلين بإمارتين كبيرتين شبه مستقلتين: آردين ولورستان، وعدد من الخانات. لقد اعتمدوا على السلطة المركزية من خلال تبعية رمزية أكثر من تابعة حقيقية. كانت مدن مثل سنه وكرمنشاه وسعود بولاق مراكز للثقافة والأدب والفن الكردي. قرب نهاية القرن التاسع عشر، قامت الأسرة الحاكمة من الخجّار، بتعزيز مركزية الدولة، بوضع حد للاستقلال شبه الذاتي للمناطق الكردية.

استثمروا اللحظة المناسبة لتحرير مناطقهم من قبضة طهران. حتى أنه كان من الممكن بالنسبة لهم إرساء أسس جمهورية صغيرة تتمتع بالحكم الذاتي في منطقة مهاباد. إن هذه الحركة لا يمكن أن تظل طي الكتمان من قبل القوى التي كانت مهتمة بهذا المجال. ففي عام 1947، ساعدوا إيران في تدمير جمهورية مهاباد. واغتيل قاضي محمد رئيس الجمهورية ومئة من معاونيه دون أي شكل من أشكال المحاكمة.

وفي عام 1947، ساعدوا إيران في تدمير جمهورية مهاباد. حيث اغتيل قاضي محمد رئيس الجمهورية ومائة من معاونيه دون أي شكل من أشكال المحاكمة.

واليوم، تحاول طهران إعاقة الوعي القومي الكردي بإيديولوجية إيرانية شاملة. فتعتبر هذه الإيديولوجية كل الشعب الإيراني، بما في ذلك الشعب الكردي، أمة واحدة. وتلك ذريعة لوقائع علمية مثل التقارب اللغوي بين الكردي والفارسي والعلاقات العرقية والتاريخية بين الشعبين. سوى أن الشباب الكردي لا يقتنع بهذا الهراء. فينظمه الحزب الديمقراطي الكردي، وهو يقاتل من أجل الحكم الذاتي للمناطق الكردية في إطار الدولة الإيرانية. ومن أجل إقامة الديمقراطية في جميع أنحاء البلاد.

في سورية، ليست مدرسة وإنما الجيش

حتى ظهور الجيش إلى السلطة، عاش الكرد في سوريا على انسجام مع الأغلبية العربية في البلاد. فقد جلس الكرد في برلمان دمشق، وشغل كبار المسئولين مناصب حكومية ومن ثم ضباط خدموا في الجيش. وعلى الرغم من عدم السماح لهم بالدراسة في مدارسهم بلغتهم، كان للكرد الحق في نشر الكتب والدوريات باللغة الكردية. وقد تغيَّر كل شيء مع الانقلابات العسكرية وخاصة مع ظهور حزب البعث. لتتفاقم مخاطر القومية العربية وتتخذ منعطفاً عنصرياً، نازياً، وفاشياً. وبعد عام 1958، ركَّزت الأنظمة المتعاقبة في سوريا مهاجمة الأكراد بعنف مهمة لها. فتم فصل الضباط والمسئولين والمعلمين والأكاديميين الكرد بلا شفقة. وجرى حظْر أي منشور باللغة الكردية. فتعرض الكرد الذين ينتهكون هذه السياسة للتعذيب الوحشي والاعتقال لسنوات وللنفي. وفي مناطق الجزيرة الكردية، تم وضع خطة جهنمية لانتزاع الأراضي من الفلاحين الكرد وترحيلهم إلى داخل البلاد. وتم سحب الجنسية السورية من عشرات الآلاف من الكرد. ليحرَّم أطفالهم من الحق في التعليم. سوى أن مفارقة غريبة قامت، وهي أنه عندما يبلغون سن أداء الخدمة العسكرية، يتم حشد هؤلاء "البدون" على الفور في الجيش وإرسالهم إلى الجبهة السورية الإسرائيلية.

بحسب مقال بقلم نور الدين زازا نشر في الأسبوعية السويسرية: البناء "Construire".

نورالدين ظاظا: مسيرة مناضل

صديق شرنخي

نورالدين ظاظا ولد في مادن كوردستان الشمالية سنة 1919م في شباط من عائلة والده ينتمي الى الباشوات الكورد وأصحاب مناجم النحاس في تلك المنطقة، وقد ساهمت هذه العائلة في نشاطات ثورة الشيخ سعيد وتعرضوا بسبب ذلك الى اضطهاد الدولة التركية وقمعها وتشتيت أبنائها. حيث اصطحبه أخيه الدكتور أحمد نافذ معه مهاجراً الى سوريا، كانت دراسته الابتدائية في تركيا والثانوية في المدارس الداخلية في سوريا، وانتقل إلى الدراسة الجامعية في لبنان ودرس في بيروت العلوم السياسية، ثم أصبح مذيعاً بمحطة ناطقة باللغة الكوردية أطلقها كاميران بدرخان حتى سنة 1947م، وكان برنامج صوت كوردستان باللغة الكوردية.

ولارتباطاته المبكرة بالحركة الكوردية في جنوبي كوردستان حاول الوصول إلى حزب هيوى سنة 1944م، ولكنه اعتقل وأخفق بالوصول إلى هناك فاعتقلته السلطات العراقية وسلمته إلى الاردن حيث تم اطلاق سراحه، وفي لبنان بالترافق مع دراسته وعمله في الإذاعة الكوردية أسس جمعية الطلبة الكرد سنة 1947م مستفيداً من الاجواء الديمقراطية المساعدة في تلك المرحلة وكان يكتب ويراسل بنفس الوقت المجلات الكوردية الصادرة في لبنان وسوريا حين ذاك مساهماً بكل جهد يخدم لغته الأم.

وقد كتب في مقدمة كتابه "ممي آلا": أيها الكورد إذا أردتم صون وجودكم وحمايته من التمزق والضياع تعلموا لغتكم قبل كل شيء وعلموها للآخرين، وإذا أردتم أن تعرفوا أنفسكم وتبنوا المعرفة الصادقة على طريق التقدم والازدهار مع الشعوب الأخرى وتحيوا بكرامة وعزة أيضاً تعلموا لغتكم وعلموها للآخرين.

شاركت عائلته عبر الدكتور أحمد نافذ الانضمام إلى جمعية خويبون سنة 1937 م، والتي كانت المنظمة الأم للحركة السياسة الكوردية في سوريا، والمصدر الذي جسد الفكر القومي، والحاضنة الأولى للمناضلين الكورد، ولم يكن ظاظا بعيداً عن أجواء تلك المنظمة التي حاولت استئناف الثورة في شمالي كوردستان.

وتضامناً مع شعبه في شمالي كوردستان/تركيا أسس أيضاً جمعية هيفي وهو ما يزال طالباً في سوريا حيث قامت بالكثير من النشاطات وأيقظت الشعور القومي لدى الكورد هناك ومهدت عملياً لتأسيس حركة كوردية منظمة في سوريا.

إزاء رؤية نورالدين للأمور طلب أخاه الأكبر منه سناً أن يدرس الطب لكنه قرر الخوض في العمل السياسي قائلاً: (حرصت أن أعيش بين الكورد محاولاً تنظيمهم وتثقيفهم لاستقبال اليوم الذي يتغير فيه الوضع في منطقة الشرق الاوسط حيث كان من الواضح أن خارطة الشرق الأوسط التي كانت مرتبطة بسلسلة متوالية من الظروف ستتغير) ما أشبه اليوم بالأمس.

خلال مرحلة دراسته للعلوم السياسية والاقتصادية في الجامعة الفرنسية في بيروت فتح نورالدين في عام 1946 مدرسة ليلية لتعليم اللغة الكوردية قراءة وكتابة حتى علم 1947م. وخلال تواجده في لبنان أسس مع عصمت شريف وانلي وآخرين (جمعية الطلاب الكرد) أواخر عام 1947م. وبعد حصوله على الإجازة الجامعية سافر إلى سويسرا لتحضير رسالة الدكتورة، وفي أوروبا باشر بعدة نشاطات صحفية ومحاضرات منها تقديم مذكرة الى الأمم المتحدة عام 1948 يشرح فيها القضية الكوردية حيث لم تلقى اذاناً صاغية سوى من مندوب يوغوسلافيا حين ذاك قال لهم: سيأتي اليوم الذي ستحصل فيه كوردستان على استقلالها.

يسجل لهذا المناضل تأسيس أول رابطة للطلاب الكورد في اوروبا عام 1949 م، وقرروا حينها إصدار صحيفة (صوت كوردستان) باللغة الكوردية والإنكليزية والفرنسية، حُوربت هذه النشاطات من قبل الحكومات المسيطرة على كوردستان وبمساعدة أحزابها الشيوعية واليسارية بدعوى أنها تعبر عن الشوفينية الكوردية وتخالف وحدة الطبقة العاملة.

ففي مؤتمر بودابيست للشباب الديمقراطي العالمي حضر نورالدين وتمت محاربته من جانب الأحزاب الشيوعية في كل من تركيا والعراق وإيران وسوريا خلال حرب كلامية عنيفة، وعملوا ما في وسعهم لمنعه من تقديم تقريره باسم الكورد. ورغم ذلك تم قبوله في الاتحاد الدولي للطلبة كممثل لكوردستان.

وخلال مرحلة بقائه في أوروبا لم ينقطع عن أية نشاطات كوردية كوردستانية سواء في أوروبا أو متابعاته في أجزاء كوردستان حيث أسس ودعم الكثير من الجمعيات والنشاطات للطلبة الكورد الأوائل في أوروبا.

وفي نهاية شهر حزيران 1956 م حينما أنهى شهادة الدكتورة في العلوم التربوية وقبل رجوعه الى سوريا أحيا مرة أخرى في ذلك الصيف (جمعية الطلبة الكورد في أوروبا) التي تعرقلت أنشطتها كما ذكرنا بسبب محاربة الأنظمة الغاصبة في كوردستان والجو الدولي الذي كان لغير صالح الحقوق القومية للشعوب بسبب تأثير طيف الأحزاب الشيوعية في المنطقة الكوردية والعالم.

ورغم ذلك عقد المؤتمر الأول للطلبة الكورد في أوروبا ما بين 10- 16 آب 1956 في مدينة فيس بادن الألمانية وذلك باسم (الجمعية الثقافية للطلبة الكورد في أوروبا) بدلاً من (جمعية الطلبة الكورد في أوروبا). والظروف الآنفة الذكر أجبرت الطلبة على إطلاق هذه التسمية بسب المد اليساري وعقلية كل شيء من أجل الثورة العالمية.

عودة نورالدين ظاظا من أوروبا وانضمامه إلى الحزب الديمقراطي الكوردستاني في سوريا:

يعود الدكتور نورالدين إلى سوريا في صيف 1956 حيث رحبت به الصحف السورية الصادرة حين ذاك كشخص سوري نال شهادة ومكانة عالية يفتخر به الوطن السوري حيث تصدرت عناوين بعض الصحف خبر عودته من جامعة لوزان. وبمجرد وصوله إلى سوريا بدأ يعد العدة لتنظيم جهود الكورد في إطار الدفاع عن وجودهم وتأمين حقوقهم حيث لم يكن لهم وقت ذاك تنظيم يجمعهم سوى بعض النوادي والمحاولات الشبابية، وكان العديد من الكورد منتمين الى الحزب الشيوعي السوري الذي كان متقدماً آنذاك. وينافس حزب البعث العربي الاشتراكي الشوفيني وليد النازية الذي أسسه ميشيل عفلق. فكان الكورد مهددين من قبل حزب البعث ومخدوعين من جانب الحزب الشيوعي الأممي نظرياً.

إذاً فنتيجة الوعي القومي خلال الصراع الدائر في سوريا حين ذاك بين القوى العربية والشيوعية في المنطقة، ولتأثير بقايا قادات خويبون وفكره القومي، ولتواجد نواة تنظيمية هنا وهناك على أرض كوردستان سوريا، وكذلك غياب آية قوى تعترف بالحق الكوردي المشخص حيث بدء أبناء الشعب الكوردي يشعرون بقوة وبصورة واضحة بهويتهم القومية وشرعية حقوقهم وديمقراطية طموحهم، تنكب القادة الأوائل لمشروع بناء حزب كوردي ديمقراطي قومي تصادف ظروف نضوجه مع عودة الدكتور ظاظا، حيث شارك مباشرة في كتابة نظامه الداخلي على أساس المركزية الديمقراطية وبرنامجه السياسي بعد أن طرح عليه ذلك أوصمان صبري ورشيد حمو وحميد درويش والآخرين.

يقول حميد درويش في ذكراه سنة 2006 (تعرفت على الدكتور ظاظا عند عودته من أوروبا سنة 1956 بعد أن أنهى دراسته في علم الاجتماع من جامعة لوزان، توطدت العلاقة معه عن طريق روشن بدرخان وكذلك أوصمان صبري، وعندما طرح أوصمان صبري فكرة تشكيل حزب سياسي كوردي أواسط 1956، كان ظاظا حينها في مقدمة الذين ساهموا بدور في وضع البرنامج السياسي للحزب المقترح، وآثر في البداية أن يكون خلف الستار، وحض الناس على الانخراط في الحزب).

وفي فترة قصيرة من انطلاقة الحزب 14 حزيران 1957 شهدت كل المدن والقصبات الكوردية التفاف منقطع النظير حول الحزب الوليد حيث وصل عدد أعضائه إلى الألوف من مدينة دمشق وحلب وعفرين وكوباني والجزيرة، وتلقت آرائه ومطبوعاته كل مجاميع شعبنا كأداة عصرية منظمة ذات برنامج وتنظيم قومي كوردي هرمي على أساس المركزية الديمقراطية.

قيادته للحزب الوليد:

بعد مساهمته الفعالة كما قلنا في كتابة البرنامج السياسي والنظام الداخلي للحزب والذي تضمن فيه الهدف النهائي "تحرير وتوحيد كوردستان" كشعار أساسي. ومن أجل كورد سوريا النضال لرفع الاضطهاد عن كاهل الشعب الكوردي والاعتراف بالحقوق الثقافية الكوردية حسب قول خليل محمد وهو أحد مؤسسي الحزب.

أعلن الحزب من منزل محمد علي خوجه في حلب وهو أيضاً من المؤسسين والموقعين على بيان الحزب في 14 حزيران 1957 م، وبعد سنة من اجتماع اللجنة المركزية عام 1958 م يقول حميد درويش بأننا طلبنا منه الانضمام رسمياً إلى صفوف الحزب، وانتخب بنفس الجلسة باقتراح أوصمان صبري بأن يكون رئيساً للحزب. وكان يؤمن بدوره كما يقول حميد درويش أن القضية الكوردية في سوريا لا يمكن حلها الا في ظل نظام ديمقراطي برلماني. وسوف يرد في دفاعه أمام المحكمة فيما بعد رؤيته هذه.

وهكذا ظل في منصب رئاسة الحزب من 1958 حتى 1961، وفي هذه السنوات الثلاث من عمره وعمر الحزب حصلت تغيرات كبيرة على الساحة السياسية السورية من الانقلابات والفوضى السياسية وكذلك على الساحة الكوردية السورية وضمن البارتي نفسه، كما شهدت سوريا في تلك الفترة تحولات بارزة في الأوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وكذلك انفجر الخلاف في حزب البعث الحاكم حول القضية الديمقراطية ومستقبل سوريا والبناء الاشتراكي فيما بعد.

وبالعودة إلى برنامج الحزب وبرنامجه الداخلي نرى منذ قيامه بتشكيلاته الاجتماعية والسياسية يحمل بذور انقسامه لكن ظل متماسكاً بفعل النشوة القومية حتى واجه أول امتحان له في حملة تصفية الحزب عام 1960 والتي شملت في البداية آلاف المعتقلين حتى غربلتهم عند 80 عضواً من قياديين وكوادر الحزب المتقدمة. ولإبراز بعض هذه المفارقات الاجتماعية مثلاً التي تدل على ان هذه الشخصية كانت متقدمة على عصرها يقال بأنه ذات مرة سافر رشيد كورد إلى دمشق، وحين عاد سأله الشاعر جكرخوين هل التقيت نورالدين ظاظا وكيف تراه :؟

أجاب بأنه رجل مثقف وذكي ونزيه للغاية لكنه لا ينفعنا، فساله جكرخوين مستغرباً وكيف ذلك؟ أجاب رشيد لأنه مثقف كبير إشارة الى موقف مجتمعه من المثقفين آنذاك.

وفي مرة أخرى عند زيارة دكتور نورالدين للقامشلي قال لأحد رفاقه (ربما عبدالله ملا علي) قال له أرجو أن تأخذني لأرى بعض رفاق القاعدة فأخذه مرافقه الى سوق القامشلي يشير الى بعض الحمالين وبائعي الأرصفة والعربيات والعمال الزراعيين بأن هؤلاء هم رفاقنا.

استغرب نورالدين ظاظا وقال: ابهؤلاء نعمل ونحقق الانتصار ؟ باستفهام استنكاري.

وأمام مد الحزب في كل خلية مجتمعية كوردية وتفاعل الوعي القومي الديمقراطي المتنامي لدى الكرد مع التيار الوطني الجارف المعادي للاستعمار والداعي الى استقلال البلاد وتطورها الوطني الديمقراطي. ازاء ذلك لم يبق أمام سلطات الوحدة التي كان يقودها عبدالحميد سراج الذي بنى جهاز أمنياً رهيباً لا يتوانى عن قتل وسجن الأبرياء، وانشأ المكتب الثاني لجهاز مكافحة الحركة السياسية مهمته الأساسية إيذاء وتدمير الحركة الوطنية السورية وخاصة الحزب الكوردي الفتي.

بدأت الاعتقالات من 5 – 12 آب 1960 حيث تم اعتقال حوالي 5000 شخص كوردي ثم أطلق سراحهم ما عدا القيادة والكوادر وطبعاً على رأسهم نورالدين ظاظا.

تجربة الاعتقال والسجن وبداية الافتراق:

بداية أستذكر قول المناضل أوصمان صبري بأن (الشعوب الحية تحيي أمواتها، أما الشعوب المتخلفة فتدفن أحياءها)

بعد اعتقالهم مباشرة تم تحويل نورالدين و أوصمان صبري إلى المحكمة العسكرية في حلب 8 آب 1960، وطلب ملازم التحقيق من ظاظا كتابة تقرير يبين فيه سبب تأسيس الحزب، وكان هذا تقريره في اليوم الثاني من وصوله الى حلب (إذا كنا قد أسسنا الحزب الديمقراطي الكوردستاني في سوريا فهذا يعود الى انه منذ 1949 لم تفعل السلطات المتعاقبة سوى أنها داست بقدمها على الديمقراطية في سوريا والغت الحقوق التي كان يتمتع بها الكورد تدريجياً. ومنذ 1955 لجأت السلطات التي تسيطر عليها البعثية الشوفينية إلى تحطيم أشرطة الكاسيت والسجن لمن عثر معهم على كتب باللغة الكوردية، إن وحدة مصر وسوريا ..... جعلت هذه السياسة أكثر عنصرية وفاشية واستبدادية. واليوم ليس هناك ضباط كورد في الجيش ولا موظفون بمستوي عال والمستقبل يبدو لنا مظلماً وهكذا... مما دفعنا ان نؤسس الحزب الديمقراطي الكوردستاني في سوريا).

ملاحظة: يبدو انه كانت هناك هيمنة بعثية على السلطة الحاكمة حتى قبل وصولهم الى دست الحكم في سنوات 1955 الذي يذكرها الدكتور هنا.

ورغم موقف ظاظا الواضح والجريء أمام التحقيق الأول والذي يقر في نهاية إفادته -مما دفعنا أن نؤسس الحزب الديمقراطي الكوردستاني في سوريا- ولم يقل بصريح العبارة بأننا جمعية ثقافية أو غيرها. ومع ذلك ظهر الخلاف وتطور شرحه بين القيادة (المعتقلة) وهي أمام المحكمة العسكرية فيما بعد في دمشق حول ما ورد عن إجابتهم أثناء الاستجوابات والافادات والدفاع، فلقد انقسم الرفاق في السجن بين فريق يلتزم حرفياً ببرنامج الحزب ونظامه الداخلي تزعمها اوصمان صبري الذي يقول (إننا حزب سياسي بحت) ومجموعة أخرى تصدرها نورالدين ظاظا اقترحت التكتيك المرن تحت ضغط التهديد بالإعدامات الجماعية، فما كان يصر على تعريف (حزب سياسي بحت) تجنباً للأحكام القاسية رغم انه كان الالتزام شاملاً من قبل الطرفين بأسم الحزب الديمقراطي الكوردستاني وحتى شعاره تحرير وتوحيد كوردستان، وكان الاختلاف شأن تكتيكي لم يتعدى تبعات الاحكام القضائية.

يقول حميد درويش: هو أراد أي الدكتور ظاظا ان يحافظ على زملائه من الشعارات القومية لحمايتهم داخل السجن من الاحكام القاسية وبذلك أراد التضحية بنفسه وسمعته. ويبدو كذلك ان نورالدين ظاظا كان يصرح لرفاقه

في السجن كما قال لي ذلك خالد مشايخ بأنه ليس حملنا وحدنا تحرير وتوحيد كوردستان. اما اوصمان صبري فكان عكس ذلك الطرح ومع حرفية ما جاء في برنامجهم السياسي

من جهتي أعتقد انه كان في داخل السجن وكذلك بعض القياديين الذين ظلوا بمنأى عن الاعتقال في الخارج ساهموا في توسيع الخلاف وحرض أحدهم ضد الآخر بدلاً من رأب الصدع وذلك لمصلحة حزبية آنية ضيقة. وبالتالي كانت تقودهم هذه الجدالات التي لم يتوقف عندها سابقاً المؤسسون قبل إعلان الحزب منها:

هل الحزب يعبر عن شعب يقيم على أرضه التاريخية أم هو أقلية قومية مهاجرة ؟... ويتبع ذلك هل الحزب تنظيم فكري سياسي ثوري أم جمعية إصلاحية ؟

رغم أنه في المذكرة المقدمة من قبل ظاظا الى المحكمة العسكرية في دمشق -والتي سنناقشها بتوسع- لم يذكر فيها ما ينفي المفهومين السابقين من الناحية السلبية. إضافة لأسباب الأزمة البرنامجية التي جاءت في ظروف هيمنة المفاهيم الشوفينية السائدة للعدو حين ذاك والشعارات المغالية التي رفعت بالضد منها أوقعت الحركة في مأزق نظري برنامجي، ولم تنجح في رسم الأهداف القريبة ولا البعيدة والعلاقة بين الخاص الكوردي والوطني السوري العام، والبرنامج الاجتماعي، وتحديد العدو والصديق داخلياً وخارجياً، بالإضافة إلى البعد الكوردستاني المحتمل.

فشكل الخلاف في إطاره النظري ظاهرة تخلف فكري عام حيث تمظهر بالطعن الشخصي والكيدية إزاء مساوئ البعض والتكتل الشللي.

جميعها انطلقت بعد اختلافات المحكمة العسكرية في دمشق، ولم تصل إلى القواعد حقائق غير هذه الحوارات بحيث لم يتسنى إطفائها في المهد والتي عبرت مرة أخرى عن عجز قيادة الحزب في حل أزمتها بالطريقة المناسبة.

بدء الانشقاق نظرياً من خلال المذكرة التي قدمها نورالدين ظاظا إلى محكمة آمن الدولة العسكرية العليا في دمشق:

إذاً بدأت أزمة الرفاق الأولى وهم داخل السجن، وذلك من خلال التقييمات والتحليلات النظرية التي قاموا بها إزاء الوضع الجديد الذي وجودوا أنفسهم مجبرين على التعامل معه، فإما أن يقودهم إلى الإعدام ربما أو أقلها إلى الأحكام الطويلة الأمد في ظل سلطة عنصرية قومية شوفينية لا تتوانى عن فعل أي شيء، وهكذا نرى أن تطور لهجة الخطاب تتغير حسب نجاح السلطة في تدمير معنوياتهم. فلو لاحظنا لهجة الدفاع في يوم 8 آب 1960م أمام المحكمة العسكرية في حلب. غيرها عن المذكرة المقدمة في دمشق أمام محكمة أمن الدولة العسكرية العليا. يتجلى هنا الفرق بين الحزم والإدانة في المحكمة الأولى والثانية للنظام.

أما في تاريخ 1960/12/31م أمام محكمة أمن الدولة العسكرية العليا في دمشق نقتطف بعض المفردات منها للمقارنة مع المرحلة الاولى، وكذلك نلتمس منها مدى التكتيك الذي مورس في هذه المذكرة للتهرب من الأحكام المحتملة، مما شكل ذلك بعض الابتعاد عن روح المنهاج والنظام الحزبي الموضوع سابقاً رغم اقترابه هنا وهناك من الأهداف الأساسية المطلوبة كوردياً. فلقد أشار في بداية التقرير:(أقدم لكم بياناً بالوقائع والحوادث التي تثبت سياسة التمييز العنصري تجاه الشعب الكوردي) وهذه جملة مفتاحية بنيت عليها الوقائع فيما بعد لشرح المظالم الفجة من قبل النظام ضد شعبنا. حتى يشير بوضوح إلى وجود شعب كوردي يعيش على أرضه التاريخية حيث يؤكد (وجود الشعب الكوردي الذي كان ولا يزال يعيش في أرضه ضمن نطاق جمهوريته العربية المتحدة) وهذين العنصرين تم تضمينهما في الدفاع وهما مقررين في برنامج الحزب، يقدم أيضاً في الصفحة الأولى واجب الدولة في حماية مقومات وخصائص ولغة الشعب الكوردي من خلال ضرورة التزام الدولة بمجموعة القرارات الصادرة من الأمم المتحدة ومؤتمر باندونج ومؤتمر تضامن شعوب آسيا وأفريقيا والتي ورد فيها (استنكار كل سياسة ترمي لإذلال الشعوب واستعبادها) أن إسقاط هذه المفاهيم الدولية على مسألة معالجة قضيتنا حين ذاك كان من الترف الفكري والسياسي مقابل إرادة عدوّ غاشم. فحينما تحصر المذكرة (حقوق الشعب الكوردي لغوياً وما إليها حقوقاً مشروعة وطبيعية للكورد المستوطنين في الجمهورية العربية المتحدة) نلاحظ هنا استعماله الحقوق اللغوية مرة واستعماله كلمة مستوطنين وليس شعب كوردي يعيش على أرضه التاريخية كما كان قد ذكر سابقاً أمام التحقيق في حلب وهذه مقارنة سلبية لغير صالحه.

وفي ما يلي من المذكرة يتحدث عن الدمج والتعريب مما (يؤدي الى سياسة العنصرية بالضرورة وبشكل حتمي) هنا يورد السياسة العنصرية فقط دون الفاشية والاستبداد.

فيما بعد في البندين الأول والثاني: يحاول أن ينصح هؤلاء العنصريين بأن يلتزموا بالقرارات الدولية مثل غيرهم من الدول التي حلت مشاكلها الداخلية.

يقول في البند الثاني: (ترك هذه السياسة وإعطاء الكرد حقوقهم) هنا تعودنا أن نستعمل صيغة الشعب الكوردي وليس الكرد كي لا يكون هناك خلطاً بين كرد مستوطنين أو مقيمين وشعب يعيش على أرضه التاريخية، ولقد تم تداول هذه التعابير في حينها بين أعضاء الحزب أيضاً لم يفسر ها أية حق للأكراد هل هو حق تقرير المصير مثلاً ؟ أم حقوق لغوية ؟ أو سياسية أو ثقافية ؟ هذه النقاط تداولت أيضاً في الشارع الكوردي بقوة كأحد أسباب الخلاف حين ذاك.

يقول في البند الثالث: عن اللغة الكوردية (وكونها لغة شعبية حية) لم يقول لغة قومية ثانية في البلاد. للوهلة الأولى حسب تركيزه على النضال الكوردي من أجل لغته يخال لنا انه نضال لغوي فليس إذاً بهذه الوسائل فقط نحقق نضالاً من أجل بقاء أمة ونيل حقوقها كاملة. وفي جوابه للمحكمة عن الحوادث والوقائع التي طلبوها منه يقول: (اولاً 1- عدم الاعتراف رسمياً بوجود كيان للشعب الكوردي في الإقليم الشمالي) في هذا الطرح يتوخى اعترافاً سياسياً للشعب الكوردي وهذه نقطة قريبة من المطلب السياسي في المنهاج، ويرفقها بأمثلة تغيير الأسماء الكوردية للقرى والمناطق، ومنع تسجيل الولادات بأسمائها الكوردية، وكذلك منع تداول الصحف للمسألة الكوردية.

وفي الفقرة ثانياً يعود الى التركيز على منع اللغة الكوردية ومصادرة الكتب ومحاربة الثقافة الكوردية، وعدم السماح بفتح النوادي بكل أنواعها. دون الأقليات الأخرى.

وهنا نجحت المذكرة في تقديم صورة واضحة وشاملة لمجموعة ممارسات النظام القمعي ضد الكورد والتي ما تزال سارية الى يومنا هذا كخط ثابت للأنظمة المتعاقبة.

أما فقرته ثالثاً من المذكرة المقدمة يعرض فيها (إن النظرة العنصرية تؤدي إلى حرمان الكرد من حقوقهم كمواطنين ومن الدلائل على ذلك) يكمل هنا ممارسات السلطة في سوء توزيع أو حرمان الكورد من أراضي أملاك الدولة وحصرها بالعرب، وكذلك في تنازع العقارات بين الكورد والعرب حيث يساند القضاة العربان دائماً، ثم يعرج على حرمان الكورد من التسجيل في دوائر النفوس والتي كانت فيما بعد سبب ظهور ما يسمى أجانب الحسكة. وكذلك طرد وترسيب الطلاب الكورد عمداً. ومن الناحية السياسية عدم تمثيل الكورد في البرلمان إلا بنسبة رمزية لا تتماشى مع عددهم أبداً.

حقيقةً نجح في استعراض مجمل آلام شعبنا في تلك المرحلة وهو لم يكن إبن المنطقة، مما يدل على أنه كان هناك تشاركية من قبل الجميع في السجن حول عرض المظالم فليس من حق أحد أن يقول أن المذكرة وبنودها أغفلت عنا حين ذاك. ولو قدمنا نحن الآن مذكرة مماثلة الى النظام لما استطعنا أن نفصل أكثر في تلك المعاناة لشعبنا.

اما البند الرابع فتضمن: (إن سياسة التمييز العنصري تدفع بعض المسؤولين الى القيام بأعمال تجاه الكرد تمسهم في كرامتهم وطنياً وتشعرهم بأنهم أناس غير موثوقين، ومن هذه الأعمال) لاحظ هنا استعمال كلمة التمييز العنصري أو العنصرية ولا يتعدى في التعريفات مرة ثانية إلى الشوفينية أو الاستبداد كما أورد في تقرير حلب الى المحقق العسكري. كما يتناول في هذه الفقرة بنجاح اشتداد وتيرة التصفية وتسريح الموظفين الكرد والمعلمين ومنع تسجيلهم في المعاهد والكليات العسكرية والشرطة، بالإضافة الى نقل من ظل موظفاً الى أماكن بعيدة أو غير مهمة، وكيف ان النظام شكك في وطنيتهم ليسحب منهم أسلحة المقاومة الشعبية، ومن تجربته الشخصية يعرض حادثين إثباتاً على تلك الممارسات الممنهجة.

آخر المذكرة: ينتقل الى المطالب ليقول: (آمل وضع حد لها والنظر الى الكرد نظرة واقعية تتناسب مع واقعهم الموضوع كمواطنين عاديين في الجمهورية العربية المتحدة ولكنهم أكراد) هنا إشكالية كبيرة في استعماله لتعابير الكرد وليس الشعب الكوردي ثم تسميتهم كمواطنين عاديين في الجمهورية، هل نفهم هنا بأنه كان يطرح مبكراً مفهوم المواطنة كحل حيث لم يكن موجوداً مثل ذلك في المنهاج والبرنامج السياسي لهذا الحزب، فأين من هذا وشعار تحرير وتوحيد كوردستان؟

في موضوع مقترحات الحل يقول:

(ان القضية تتطلب نظرة جديدة لهذا الواقع الذي نحن فيه، وحلاً جذرياً لرغبات ومطالب الكرد العادية والطبيعية) الغموض والتهرب يكتنف هذه التعابير إذ أنه لم يقدم مطلباً واضحاً ومحدداً يتطابق مع ما كتب في البرنامج فيلخص مطالب الكرد بالعادية والطبيعية فماهي ؟؟ يورد في النهاية (إن محكمتكم الموقرة سوف تلعب دورها الإيجابي في هذه القضية بمساندتها للمظلومين والمحرومين وكشفها الحقائق المرة والدوافع الشريفة المخلصة لأعمالنا موضوع الاهتمام).

جاءت خاتمة البيان ضعيفة ودون مستوى حزب جماهيري وقائد كبير عجز أمامه جلادو دمشق صارخين في وجهه "ها آلم يحن الزمن أيها الكوردي القذر لتصبح عربياً"، فيعتبر هكذا طلب لمساندة المظلومين والمحرومين بمثابة طلب استرحام غير مقبول موضوعياً من قائد كبير حوله الآلاف من الكورد المستعدين لعمل أي حركة من أجلهم وهم في السجون. بسبب هذه المذكرة وما انبثق منها من رؤى وأفكار جديدة في تناول القضية الكوردية ومخاطبة العدو الذي لم يكن لا ديمقراطياً ولا حتى إنسانياً في تعامله الطويل مع الشعب الكوردي ومسألته منذ ما قبل إنشاء الحزب وحتى الآن. ومن خلال الجدل الذي انطلق داخل السجن تم اكتشاف الكثير من نقاط الضعف في المفاهيم التي بني عليها الحزب والشخصيات التي حملت رسالة هذه المفاهيم. غدا الصراع قوياً داخل جدران المعتقل ولكنهم صمدوا معاً حتى إطلاق سراحهم جميعاً في 8 آب 1961 م تحت ضغط الشارع الكوردي السوري والضغط الأوربي الذي شكله أبناء الجالية الكوردية في الخارج، وكذلك مساهمة الوضع الدولي والإقليمي الذي ساعد أيضاً في انطلاق ثورة أيلول في جنوبي كوردستان/العراق فيما بعد. ورغبة الحاكمين في تقديم الوجه الملمع من سلطتهم التي نخرتها خلافات الوحدة السورية المصرية.

تحت جميع هذه الأسباب وجدت هذه القيادة نفسها طليقة في الشارع الكوردي وبين رفاقهم الذين كانوا قد تلقفوا الخلافات الحاصلة التي تسربت إليهم من غير المنضبطين والمسؤولين أنفسهم. وهكذا لم يكن موقف رفاق الحزب من قيادته وموقف القيادة من بعضهم مثلما كانوا يوم اعتقالهم قبل سنة ونصف. ولكنه رغم ذلك التفت الجماهيري حول قائدها في 20 من تشرين الثاني 1961م حينما جرت انتخابات مجلس الشعب ورشح فيها الدكتور نورالدين ظاظا ونال جميع الأصوات الكوردية التي اكتسحت الصناديق في الجزيرة مما أرهب سلطات الانفصال حين ذاك فزورت النتائج ومنعت وأوقفت جميع فعاليات الانتخاب.

المرحلة الأكثر إيلاماً في حياة هذا المناضل وحزبه:

المرحلة الأكثر إيلاماً في حياة أول تنظيم كوردي سوري هو إنه لم يحافظ على قيادته موحدة، ولم يحافظ على جماهيره الوطنية الواسعة، ولم تستطع هذه القيادة تحمل بعضها البعض بحيث لجأت الى الخيار الأكثر قساوة وهو الإجراءات ضد بعضهم نتيجة مجريات المحاكمات السابقة في السجن واختلاف التحليل والموقف.

يقول حميد درويش: اتخذت اللجنة المركزية قراراً متشدداً ضد نورالدين ظاظا وطرده من الحزب، وعلى أثرها دفع الحزب الى الهاوية العميقة. وكان هذا الإجراء هو أحد الأسباب التي دفعت نورالدين لأن يترك سوريا ويقيم في لبنان لبعض الوقت، ومن ثم الذهاب الى سويسرا حتى وفاته في 7 تشرين الاول 1988م).

والسؤال الذي يطرح نفسه: ألم يكن من الأفضل عقد مؤتمر حزبي مباشرة بعد الخروج من السجن لتقييم الوضع و الخروقات للنظام أو المنهاج، والمحاسبة الجماعية في ذلك المنبر الذي لا بد انه كان سيحافظ على وحدة الحزب بأقل تقدير، وذلك بوسيلتين:

أ – إما تعديل البرنامج حسب ظروف المرحلة الجديدة.

ب – أو الابقاء على البرنامج وإيجاد أشخاص يتحملون تبعة الالتزام، واختيار قيادة جديدة بإرادة جماعية وصيانة كرامة الآخرين من القادة بشكل ديمقراطي.

ذلك الانقسام الأول كان لعنة ظلت تلاحقنا حتى الآن بشكلها المتراكم والمتمثل بالانقسامات اللامتناهية....!

رحم الله المناضل الفذ الدكتور نورالدين ظاظا ولتبقى ذكراه خالدة في مسيرة شعبنا الى يوم النصر.

الدكتور نورالدين زازا، صاحب الفكر الحر والإرادة الطليقة

قهرمان مرعان آغا

عندما يأتي ذكر اسم الراحل د. نورالدين زازا وسيرته الشخصية والسياسية بين أبناء الشعب الكوردي وبخاصة في غرب كوردستان، يصعد إلى الذاكرة فكرتين، أولاها صورة رجل متعلم ومتنور و ليبرالي. ثانيها، الشخصية السياسية القيادية الأولى، لأول تنظيم سياسي قومي، رئيس الحزب الديمقراطي الكوردستاني/ الكردي في سوريا ويصاحب الفكرتين شعور وأسى وأسئلة أخرى، لماذا لم يكمل مسيرته السياسية في إطارها الجمعي وتنحى جانباً يعمل بمفرده في بلاد الغربة.

فمن جملة الأسئلة التي تطرح بمناسبة حالة الانقسام التي طالت الجسم التنظيمي للحزب السياسي الكوردي في سوريا واستمرت على مدى أكثر من نصف قرن، قصة اختلاف قيادة الحزب أثناء الاعتقال في زمن الوحدة بين مصر وسوريا، فيما يتعلق بأهداف الحزب وأسمه (الكوردستاني/الكوردي... تحرير وتوحيد كوردستان) وضرورة التمسك بها من عدمها في الاستجوابات أو الدفوع والمرافعات خلال المحاكمات التي جرت لهم آنذاك، حيث أصبحت منصة، لزعزعة الثقة والمصداقية بدعوى الحفاظ على المبادئ ومن ثم التشهير والاتهام بين تكتلين وأكثر فيما بعد (حيث انقسم الحزب على نفسه يساراً و يميناً) وعبرت بوضوح بين إراتين مختلفتين، أحداهما تمثل الواقعية السياسية الواعية حسب ظروف تلك المرحلة والتي مثلّها رؤية رئيس الحزب د. نور الدين زازا وإرادته الحرة الطليقة، عن تلك الإرادة المُقيَّدة بفكرة الايديولوجيا، التي أصرَّ عليها سكرتير الحزب (آبو) أوسمان صبري والتي تمثلت في المشاعر الثورية التي كانت سائدة تحت يافطة العناوين والشعارات الكبرى البعيدة عن الواقع، حيث تبدّلت الأمور عند تأسيس الحزب في حزيران/1957في ظل الجمهورية السورية وبوجود تعددية سياسية وحياة برلمانية وحريات مدنية ونقابية، منه...

وعند تشكيل الجمهورية العربية المتحدة في شباط /1958، التي أنهت الحياة السياسية من خلال حل الأحزاب في سوريا وتسخير مقدرات الإقليم الشمالي (سوريا) لدعم الخطاب القومي وآلة الدعاية الناصرية للوحدة العربية من المحيط إلى الخليج، في ظل تصاعد الأفكار و السياسات العنصرية المتطرفة في مواجهة التطلعات القومية للشعب الكوردي، حيث باتت الدولة الأمنية تخيِّم بظلالها على المشهد السياسي و الاجتماعي في سوريا من خلال سلطة المكتب الثاني و مباحث أمن الدولة و أصبح الكورد مستهدفون بذواتهم الشخصية وفي هويتهم القومية وتعتبر المذكرة التي قدمها الدكتور نورالدين زازا من خلال مرافعته لدى محكمة أمن الدولة العليا العسكرية في دمشق عام 1961، أثناء اعتقال قيادة الحزب في آب/1960، وثيقة تاريخية حول معاناة الكورد في ظل حكم الوحدة.

يتبين لنا من خلال قراءة تلك المذكرة والنظر إلى مضامينها، مدى تحلي د. نورالدين زازا بالفكر القانوني والسياسي وبالنظرة الواعية في تناول معظم القضايا التي جابهت الشعب الكوردي وحزبه الوليد، ويعتبر كما هي الحقيقة رائداً في الفكر الحقوقي ومدافعاً شجاعاً عن وجود الشعب الكوردي وقضيته العادلة.

ـ يأتي في مقدمة المذكرة، صيغة الشعب الكوردي في الإقليم الشمالي (سوريا) في (...الجمهورية العربية المتحدة)، كشعب له تمايزه القومي وخصوصيته الثقافية، كشعب أصيل يعيش على أرضه التاريخية ويؤكد على حقيقة مقومات وجود الشعب الكوردي القومية، بأنه (.... واقع ملموس وموضوعي ... الذي كان ولا يزال يعيش على أرضه... وهو شعب له لغته وعاداته وتقاليده الخاصة به... ظل متمسكاً بها ومحتفظاً بنسماتها على مرّ التاريخ و توالي العصور...) ويؤكد على العيش المشترك ورخاء الإنسان وحفظ كرامته.

ـ كما يثبّت في مذكرته مفهوم الحقوق المشروعة للشعب الكوردي، مستنداً على الخصائص والمقومات التي يتمتع بها الشعب الكوردي وإلى حقوق الإنسان التي تؤكد عليها مواثيق الأمم المتحدة والهيئات الشعبية والمجتمعية والمؤتمرات الدولية ويشير إلى مؤتمر عدم الانحياز و عبد الناصر أحد مؤسسي هذا الحلف، أنَّ (....مسألة قتل ثقافة شعب، جرماً يعاقب عليه مؤتمر باندونغ ومؤتمر تضامن شعوب آسيا وأفريقيا في القاهرة وكذلك في أغلب المؤتمرات والاجتماعات التي حضرها ويحضرها سياة الرئيس جمال عبد الناصر، يؤكد بإصرار على حقوق الشعوب وضرورة احترام مطاليبها ورغباتها...) ويذكّر ببيان عبد الناصر مع الرئيس السوداني المتضمن (.. استنكار كل سياسة ترمي لإذلال الشعوب واستعبادها وتنقص من كرامة الإنسان بسبب اللون والجنس والعقيدة).

ـ يشير إلى ضرورة التزام الجمهورية العربية المتحدة بتعهداتها أمام الهيئات والمؤتمرات الدولية (... باعتبارها عضواً وطرفاً فيها، تجعل من حقوق الشعب الكوردي اللغوية وما إليها حقوقاً مشروعة وطبيعية للأكراد... لا يمكن التغاضي عنها وإنكارها...) .

ـ يبين سياسة التعريب التي تمارسها السلطات والتي تشكّل أساس كل عوامل التفرقة العنصرية (.. إنَّ هذا الواقع من جانب.. و إنكار وإتباع سياسة طمس هذه الحقوق وسياسة الصهر ودمج وتعريب الأكراد بشتى الوسائل من جانب آخر، تتولد (سياسة العنصرية) بالضرورة وبشكل حتمي ..).

ـ بيان الوقائع التي تثبت سياسات الصهر والتمييز والتفرقة العنصرية التي تطال وجود الشعب الكوردي في دولة الوحدة ، حيث يؤكد للقاضي تمهيداً ، ثلاث نقاط ، لا بدَّ أنْ يتفهمها :

* إنَّ العبرة في إقرار حقوق الشعوب ليس في مجرد الاعتراف بها بموجب قرارات و بيانات، بل العبرة في التنفيذ و تمكين الشعوب من ممارسة حقوقها والاستمتاع بمزايا تلك الحقوق .(.. لم تعد حقوق الشعوب مجرد قرارات وبيانات تسطر على صفحات، بل تلك الحقوق، دخلت إلى مستواها التطبيقي العملي في بلدان عديدة من تلك التي تضم قوميات وشعوب متعددة (.. سويسرا، بلجيكا، كندا..إندونيسيا...)... جعلت شعوبها تتمتع بحقوقها المشروعة و بذلك حلت مشاكلها الداخلية...) .

* يؤكد على العيش المشترك بين العرب والكورد من خلال الاعتراف بحقوق الشعب الكوردي ونبذ العنصرية التي لا تخدم الوحدة الوطنية ويشير إلى حتمية الديمقراطية في حياة الشعوب (إنَّ التمييز العنصري لا يؤدي إلى تفسخ رابط الأخوة العربية الكوردية فحسب وإنما إلى بذر بذور الشك و عدم الثقة بين الشعبين... وتضر بالمصلحة الوطنية وعلى العكس إعطاء الأكراد حقوقهم..، توطد أركان التضامن العربي الكوردي وتظهر البلاد بمظهر تعاوني، ديمقراطي صحيح).

* إن عدم الاعتراف باللغة الكوردية وحرمانها في التعليم والتحدث بأساليب المنع والإرهاب، كونها لغة حية, سيدفع الشعب الكوردي بحكم الفطرة إلى تعلمها بوسائل شتى وطرق مختلفة وهذا ما حصل بالفعل مع الحكومات والأنظمة التي تعاقبت على حكم سوريا ويا للمفارقة، كانت إذاعة القاهرة, افتتحت قسم اللغة الكوردية، تبث الأخبار والأغاني في مواجهة عبد الكريم قاسم / العراق وتمنع الشعب الكوردي في سوريا/ دولة الوحدة العربية من التحدث بلغته الأم (ارتقاء اللغة الكوردية إلى المجال الدولي، كونها لغة حية تردد كلماتها و أغانيها وموسيقاها في عدة إذاعات عالمية في مقدمتها إذاعة (القاهرة، العراق،ايران ... وتدرس في مدارس وجامعات عدة بلدان (السويد، العراق، باريس ....)

ـ ويضيف (بأن عدم الاعتراف رسمياً بوجود كيان للشعب الكوردي في الأقليم الشمالي... وبفتح المجال أمام بعض الموظفين التنفيذيين ..) يزيد من سياسات التمييز العنصري بطريقة فجة وعارية وهي تشمل ـ الاعتداء على الأشخاص بسبب الانتماء القومي ـ تغيير وتعريب أسماء القرى والبلدات الكوردية ـ منع تسجيل أسماء الأطفال المواليد بأسماء كوردية ـ منع ارتداء الزّي الكوردي ـ إغلاق الصحف التي تتناول العلاقة الكوردية العربية على أسس وطنية ـ عدم السماح بممارسة حقوق الطبع والنشر فيما يتعلق بالحقوق اللغوية الكوردية ومصادرة الكتب ودواوين الشعر وتوقيف الأشخاص على إثر ذلك ومنع فتح نوادي وجمعيات كوردية ومنع الموسيقا الكوردية ـ حرمان الكورد من الانتفاع بأراضي الاستيلاء والإصلاح الزراعي الذي نفذه عبد الناصر في عام/ 1959 ـ الانحياز الى جانب العرب عند التحكيم في المنازعات العقارية ـ منع الكورد الغير مسجلين في دوائر النفوس من التسجيل المباشر أسوة بالعرب واعتبارهم مكتومي القيد وعرقلة الإجراءات بالنسبة لحقوقهم المدنية وبالتالي حرمانهم من حق التعليم والانتخاب وخدمة العلم ـ طرد الطلبة الكورد من الامتحانات الثانوية دون سبب ـ عدم تناسب عدد النواب الكورد مع عددهم الفعلي بالنسبة لمجوع السكان في الجزيرة مع منح العرب نسبة تتجاوز أضعاف تمثيلهم الحقيقي ـ تسريح الموظفين الكورد من الوظائف العامة ومنع قبولهم في المعاهد التعليمية وكليات الجيش والشرطة ـ منع الكورد من حمل السلاح وحصرها بيد العرب (المقاومة الشعبية) ـ منع النشطاء و السياسيين من الكورد من السفر ومصادرة وثائق السفر الخاصة بهم.

ومن الجدير ذكره ظلت تلك السياسات العنصرية والاستثنائية من معظم الحكومات والأنظمة التي حكمت سوريا وخاصة منذ انقلاب حزب البعث /1963 وانقلاب حافظ أسد/1970 وتوريث ابنه/1999 أشد وطأة على الشعب الكوردي واستهدفته بالتآمر في وجوده وتغيير بنية وطنه الديموغرافية من خلال الاستيطان العربي ومنع التملك والاستثمار في مناطق غرب كوردستان والحرمان من الحقوق والسطوة الأمنية العنصرية وعدم الاعتراف بوجود شعب وبقضيته العادلة، حيث ألحقت جزء من وطنه كوردستان قسراً بالدولة السورية وينسحب الأمر خلال الثورة التي تقترب من عقد من الزمن بالنسبة لنظام الأسد والمعارضة على السواء.

ـ من خلال ملاحظة ما تضمنته هذه الوثيقة /المذكرة من توصيفات قانونية فيما يتعلق بالشعب الكوردي و أرضه التاريخية وحقوقه المشروعة وقضيته العادلة ومطالبه المحقة وما يمتلكه من مقومات وإرث ثقافي واجتماعي وإرادة مشتركة ونزوعه نحو العيش المشترك مع المختلف عرقياً في ظل دولة المواطنة وفق معايير الحق والعدالة والمساواة في ظل الديمقراطية والتدافع السلمي وحقه المشروع في تشكيل كيان ذاتي وفق المواثيق الدولية وشرعة حقوق الإنسان للأمم المتحدة. لم تتخطاها الحركة الوطنية الكوردية بأحزابها ومنظريها، بل أنَّ الخطاب السياسي لأغلبية الأحزاب قبل الثورة السورية/2011 كان يشوبه الضبابية و لم تكن تتعدى الحقوق الثقافية والاجتماعية، على الرغم من مرور أكثر من نصف قرن عليها وقد صاغها صاحبها في السجن في ظروف صعبة وقُدمتْ كدفع ومرافعة أمام محكمة أمنية وعسكرية من متهم يقود مجموعة من المتهمين (حسب التهم الموجهة إليهم) قاموا بتشكيل حزب سري يهدف إلى اقتطاع جزء من أراضي الجمهورية العربية المتحدة في إقليمها الشمالي/سوريا وبالتالي مواجهتهم بتهمة الانفصال وتشكيل كيان كوردي مستقل. إن دلَّ، فهو لا يقبل الشك على نباهة هذا الرجل وإخلاصه وعلو أفق وعيه وإدراكه وأيمانه بقضية شعبه العادلة، فهو يستحق كل الوفاء ويعتبر بحق مرشداً وملهماً للمخلصين من أبناء وبنات شعب كوردستان في كل مكان.

ملاحظة:

* الكتابة بمجملها استخلاص لمضامين الوثيقة/ المذكرة التي قدمها الدكتور نوالدين زازا مؤسس و رئيس الحزب الديمقراطي الكوردستاني/الكوردي في سوريا من السجن عام/1961 التي وجهها إلى رئيس محكمة أمن الدولة العليا العسكرية بدمشق.

* الكتابة الموجودة بين قوسين مقتطفات من الوثيقة/ المذكرة، للدلالة والاستئناس.

* مرفق نص الوثيقة/المذكرة، وهي منسوخة من مواقع التواصل الاجتماعي (فيسبوك) صفحة أحد الأصدقاء وقد تعود بالأساس إلى صفحة الدكتور نورالدين زازا على الـ فيسبوك.

نص المذكرة التي وجهها مؤسس ورئيس الحزب الديمقراطي الكوردي في سوريا "الدكتور نور الدين زازا" من السجن عام 1961إلى رئيس محكمة أمن الدولة العليا في دمشق.

إلى سيادة رئيس محكمة أمن الدولة العسكرية العليا بدمشق: حسب طلبكم في الجلسة السابقة التي انعقدت بتاريخ 1960/12/31 لمحاكمتنا في محكمتكم الموقرة، اقدم إليكم بياناً بالوقائع و الحوادث التي تثبت تطبيق سياسة التمييز العنصري تجاه الشعب الكردي في الإقليم الشمالي في الجمهورية العربية المتحدة، آملاً أن تكون وسيلة تتفهمون بها وضع الشعب الكردي في الإقليم الشمالي، وتبرير موقفنا نحن بالذات، حينما اتخذنا هذا الطريق الجماعي للوصول إلى حقوقنا الطبيعية والإنسانية.

هذا و أريد أن الفت نظر سيادتكم إلى إنني في وضعي هذا في السجن لا أستطيع إلا أن اقدم الخطوط العريضة لبعض الحوادث في التمييز العنصري التي أتذكرها، والتي منها مستمرة إلى الآن.

سيدي: بالرغم من إن حوادث التفرقة و التمييز العنصري تجري وتطبق في مجالات عديدة، وبطرق شتى، فارید أن اكشف لسيادتكم قبل عرض الوقائع عن السبب الرئيسي، الذي يؤدي إلى تلك الوقائع و الحوادث المؤسفة وذلك السبب هو : إن في الإقليم الشمالي من الجمهورية العربية المتحدة واقع ملموس و موضوعي هو حقيقة وجود الشعب الكردي، الذي كان ولا يزال يعيش في أرضه، ضمن نطاق جمهوريته العربية المتحدة جنبا إلى جنب مع أخوانه العرب. وهو شعب له لغته و عاداته و تقاليده الخاصة به. وهو غيور على هذه اللغة و التقاليد، وحافظ على مقوماته من غناء و شعر وموسيقى. وهي لا تقل روعة و غنى عن أية لغة من اللغات المجاورة، وقد ظل متمسكا بها، و محتفظاً بنسماتها على مر التاريخ و توالي العصور فاعتنق الأكراد الإسلام منذ الأيام الأولى، ولم تضع اللغة الكردية والعادات و التقاليد والكردية لدى الشعب الكردي.

و الآن نحن في هذا التاريخ من حياة البشرية التي تسعى حثيثة من أجل تعاون وتفاهم الشعوب، لتحقيق تقدم و رخاء أفضل للإنسان، وتوطيد السلام و الارتقاء بالشعوب و الكرامة الإنسانية إلى مستواها اللائق. وكما قلت إن اللغة الكردية و العادات و التقاليد الكردية لدى الشعب الكردي و تمسكه بها، لم تكن في يوم من الأيام مصدراً من مصادر التفرقة و الخلاف بين الشعبين العربي و الكردي و إن جميع المؤتمرات و الهيئات الاجتماعية الدولية منها و الشعبية جعلت من الخصائص و المقومات الشعبية حقوقاً مشروعة و ضرورية لكل شعب، فمن واجب الدول و الشعوب المتقدمة تأييدها و المحافظة عليها بل تطويرها و تنميتها لدى الشعوب المتخلفة و على رأس هذه الجمعيات و المؤتمرات (الجمعية العامة للأمم المتحدة) التي جعلت في ميثاقها لحقوق الإنسان، مسألة قتل ثقافة شعب، جرماً يعاقب عليه (مؤتمر باندونغ و مؤتمر تضامن شعوب آسيا و أفريقيا في القاهرة وكذلك في اغلب المؤتمرات و الاجتماعات التي حضرها و يحضرها سيادة الرئيس جمال

عبد الناصر يؤكد بإصرار على حقوق الشعوب و ضرورة احترام مطالبيها و رغباتها). و لي أن اذكر; بأنه عقب زيارة سيادة الرئيس للسودان الشقيق، جاء في البيان المشترك الذي صدر عن الرئيسين العربي و السوداني وما يلي بالحرف الواحد : (استنكار كل سياسة ترمي لإذلال الشعوب و استعبادها و تنقص من كرامة الإنسان بسبب اللون و الجنس و العقيدة).

قلت أن الواقع الملموس و الموضعي للشعب الكردي في الإقليم الشمالي ومع وجود تلك المواثيق و البيانات التي صدرت عن هيئات و مؤتمرات دولية و شعبية تلك التي تكون الجمهورية العربية عضواً و طرفاً فيها، تجعل من حقوق الشعب الكردي اللغوية و ما إليها حقوقاً مشروعة و طبيعية للأكراد و المستوطنين في الجمهورية العربية المتحدة لا يمكن التغاضي عنها أو إنكارها. إن هذا الواقع من جانب و التغاضي و إنكار السلطات هذه الحقوق على الشعب الكردي وبل و اتباع سياسة طمس هذه الحقوق و سياسة صهر و دمج و تعريب الأكراد بشتى الوسائل من جانب آخر تتولد (سياسة العنصرية) بالضرورة و بشكل حتمي. و هذه السياسة أساس كل عوامل التفرقة و التجزئة التي سأورد بعض وقائعها كما ذكرت من قبل. قبل أن أورد تلك الوقائع و الحوادث، لا يسعني إلا أن اعرض لسيادتكم ثلاث نقاط أرجو أن تحوز على حسن تفهمكم و اعتباركم لها و هي:

1 - في هذا الظرف التاريخي الراقي، لم تعد حقوق الشعوب مجرد قرارات و بيانات تسطر على صفحات و تحفظ بين المصنفات و الأضابير، بل تلك الحقوق دخلت إلى مستواها التطبيقي العملي في بلدان عديدة من تلك التي تضم قوميات أو شعوباً معدودة منها: " يوغسلافيا، سويسرا، بلجيكا، كندا، العراق، أفغانستان، الهند، إندونيسيا، الاتحاد السوفيتي، الصين". و قد جنت هذه البلدان، من وراء تطبيق المساواة التامة بين مختلف شعوبها و جعلها جميعاً تتمتع بكل حقوقها المشروعة فوائد كثيرة من النواحي السياسية و النفسية و الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية، وبذلك حلت مشاكلها الداخلية دون اضطرابات و قلاقل.

2- إن التمييز العنصري، لا يؤدي إلى تفسخ الاخوة العربية الكردية فحسب و إنما يؤدي إلى بذر بذور الشك و عدم الثقة بين الشعبين العربي و الكردي، الذين عاشا في إخاء و وئام طوال عصور الظلام ، في عصر (الحكمين العثماني و الفرنسي اللعينين) لا تضر بالأكراد فحسب، لكنها لا تنفع الشعب العربي في شيء. بل أكثر من ذلك، فهي تضر بالمصلحة الوطنية بخلق مشاكل داخلية لا مبرر لها و لا طائل منها. و بالعكس من ذلك فان ترك هذه السياسة و إعطاء الأكراد حقوقهم التي ظلوا محرومين منها طوال العصور السابقة تبتر تلك المشاكل من الأساس، و تربط الاخوة العربية الكردية، بروابط مادية لا تنفصم و توطد أركان التضامن العربي الكردي، و تظهر البلاد بمظهر تعاوني ديمقراطي صحيح.

3- ارتقاء اللغة الكردية إلى المجال الدولي، و كونها لغة حية تردد كلماتها و آدابها و موسيقاها في عدة إذاعات عالمية و في مقدمتها إذاعة القاهرة و العراق و إيران و الاتحاد السوفيتي. و إنها تدرس في مدارس و جامعات عدة بلدان : (اوبسالا، السويد، يريفان، موسكو، لندن، باريس، العراق لينيغراد، إيران). مع حرمان الشعب الكردي في الإقليم الشمالي من استعمالها و التعبير عن مشاعره و عواطفه عن طريقها، مع استعمال وسائل العنف و الإرهاب مع القائمين بها، تدفع الشعب الكردي بحكم الضرورة إلى إشباع تلك الرغبة الطبيعية بشتى الطرق و الوسائل الممكنة أما الحوادث و الوقائع التي طلبتموها فهي:

آ-

1-عدم الاعتراف رسمياً بوجود كيان للشعب الكردي في الإقليم الشمالي، و بفتح المجال أمام بعض الموظفين و خصوصاً التنفيذيين بتوجيه عبارات "شعوبي، شيوعي، كردي و خائن، يهودي " إلى المواطنيين الأكراد، دون رادع. ووصلت هذه العبارات حتى إلى الصحف. فنرجو مراجعة الصحف التي كانت تصل إلى الإقليم الشمالي من لبنان عام 1958 و كذلك الصحف المصرية و السورية.

2- في ديريك، مساعد شرطة ملقب بأبو حسن، يستوقف الشخص في سوق البلدة و يسأله أنت كردي أم مسيحي ؟ فإذا قال كردي، يضرب ويهان على مرأى من الناس و ربما يوقف في السجن. أرجو الاستزادة من الاظناء (أحمد ملا إبراهيم، عبد القادر گوري).

3- في المناطق الكردية تقوم السلطات بتغيير الأسماء الكردية إلى أسماء عربية. مع العلم بأنه هنا في الإقليم الشمالي، قرى و مدن، ذات أسماء غير عربية أمثال "دوما، زبداني، بلودان، حرستا ".

4- في دائرة النفوس و مخافر الشرطة، يمنع و يهان كل من يتقدم بأوراق تسجيل أولاده بأسماء كردية.

5-أوقف مدير ناحية الدرباسية، المواطن عبد الحميد سليمان لأنه لبس العمامة الكردية على رأسه، و هدده إن لبسها، و يمكنكم أن تسألوا أهل الدرباسية عن الأعمال الاستفزازية و التعسفية، التي قام بها مدير ناحية الدرباسية عن الأعمال الاستفزازية و التعسفية، التي قام بها مدير الناحية في الدرباسية عام 1958.

6- كتبت جريدة الطليعة، التي تصدر في الإقليم الشمالي في عنوانها الرئيسي "الاخوة العربية الكردية" فكان من نتيجة ذلك إغلاق الجريدة و جلب صاحبها إلى الدوائر المسؤولة لسؤاله عن سبب الكتابة تلك، و ربما كانت هناك أسباب أخرى لإغلاق الجريدة، و لكن هذا العنوان كان السبب الرئيسي في ذلك.

ب- عدم السماح بممارسة و استعمال الحقوق اللغوية و الثقافية للأكراد، و ينتج عن ذلك كثيراً من حوادث مصادرة الكتب و الأشخاص:

1- عام / 1955/ صودرت كتب (الألف باء) بالكردية من عثمان صبري، و بالرغم من محاولاته العديدة و مراجعة رئيس الحكومة آنذاك، لم ترد إليه الكتب.

2- صودرت دواوين الشاعر (جكر خون) الشعرية عدة مرات وكذلك لم تجب طلباته في استردادها بالإضافة إلى كتاب أمثال كردية كان قد طبعها و لكنها صودرت و هي في المطبعة عام /1958/.

3-في عام /1957/ أوقف رجال الشعبة الثانية المواطن الكردي (عبد المجيد حاجو) لحيازته كتاباً كردياً باللغة العربية يبحث عن الأكراد، و سيق إلى دير الزور ثم إلى دمشق حيث أفرج عنه هنالك.

4- أوقف رجال المباحث المواطن (حمزة نويران) مع عدة أشخاص آخرين من قرى الدرباسية لأن أخبارية أعطيت عنه بوجود كتب كردية لديه.

5- في عام /1958/ تقدم بعض المواطنيين الأكراد من القامشلي و هم: الدكتور أحمد نافذ، سليمان حاجو، إبراهيم متيني، يوسف ميرزا، عبدالحميد شيخموس، و جميل إبراهيم. بطلب رخصة لناد ثقافي، بالرغم من انهم اختاروا لهذا النادي اسم " نادي جمال عبد الناصر الثقافي " فقد رفض طلبهم، و رغم و جود ناد للسريان و ناديين للأرمن في القامشلي عدا مدارسهم الإعدادية و الثانوية.

6- في عام /1957/: دخل رقيب من الشعبة الثانية، إلى مقهى عام في القامشلي و اخذ يحطم الأسطوانات الكردية و بالرغم من و جود اسطوانات أخرى تركية و أرمنية.

ج-إن النظرة العنصرية، تؤدي إلى حرمان الأكراد من حقوقهم كمواطنيين، ومن الدلائل على ذلك:

1-في جنوب الجزيرة، بين الحسكة و تل كوجك (تل كوجر) أراضي أملاك الدولة تعرف باسم (الرد) و قد قامت السلطات بتوزيعها على أفراد العشائر، و لكنها خصت بها العرب دون الأكراد، لم يستفد منها كردي واحد مع العلم، إن الذين وزعت عليهم تلك الأراضي لا يقومون باستغلالها بأنفسهم، بل يؤجرونها إلى ذوي المصالح، وهم أنفسهم من الرحل المتنقلين.

2- قضايا العقارات المختلف عليها، بين العرب و الأكراد ينحاز الموظفون إلى جانب العرب، و يساندوهم بتقارير و كشوفات تهم بامتلاك هذه العقارات، وهذا الشيء يلاحظ بين عشيرتي(جبور وشمر)العربيتين و عشيرتي (ميرسينا و العباسة) الكرديتين.

3- غالبية الأكراد غير مسجلين بدوائر النفوس، وبالتالي فهم محرومون من حقوق الانتخابات و خدمة العلم و التعليم، وكما يمكن أن يحرموا من قانون الإصلاح الزراعي و لذلك فهم يتقدمون بمعاملات تسجيل المكتومين، و بالرغم من أن هذه المعاملات التي يتقدم بها أفراد العشائر العربية تنهى بكل سرعة دون عرقلة، فيكفي أن يثبت الفرد منهم انه من الفخذ الفلاني أو البطن الفلاني.

4- طردوا و اسقطوا في الامتحانات معظم الطلاب الأكراد في في المدارس الثانوية رغم انهم كانوا بارزين و متفوقين. أرجو السؤال و الاستفسار عن هذه الناحية من أفراد مدنية القامشلي منهم (سلمي ملا أحمد نامي).

5- انتخب من منطقة الجزيرة /14/ نائباً منهم كرديان و مسيحي و جاجاني و /10/ عرب , بالرغم من أن الأكثرية الساحقة من السكان هم من الأكراد، و مما يلاحظ انه يوجد /3/ نواب من عشيرة شمر و عدد أفرادها لا يتجاوز الأربعة آلاف، و سكان مدنية القامشلي وحدها من الأكراد لا يقلون عن /30/ ألف نسمة. ألا يحق للأكراد أن يتساءلوا عن هذه النسبة الغير العادلة.

6-إن سياسة التمييز العنصري، تدفع بعض المسؤولين إلى القيام بأعمال تجاه الأكراد، تمسهم في كرامتهم الوطنية و تشعرهم بأنهم أناس غير موثوقين، ومن هذه الأعمال:

(1)- في السنتين الأخيرتين، سرح الكثير من الموظفين الأكراد و خاصة المعلمين، وأما الذين لم يسرحوا فقد أبعدوا عن مناطقهم دون مبرر سوى أنهم أكراداً. بالرغم من إن الموظفين العرب الموجودين في المناطق الكردية مضطرين للاستعانة بالترجمة للتفاهم مع المواطنيين هذا بالإضافة إلى أنه في المدة الأخيرة لم يسجل في المعاهد، مثل دور المعلمين و البعثات الحكومية و مدارس الشرطة و الكلية إلا عدد قليل يعد على أصابع اليد الواحد من الأكراد المتقدمين، دون مبررات قانونية .

(2)- في ربيع /1958/ أقدم شخص كردي على خطف زوجة عبد الرحمن المدلول، أحد شيوخ قبيلة شمر، فقام أفراد هذه العشيرة المسلحين بالبواريد و البنادق الرشاشة بالتفتيش في كل مكان و لكنهم قاموا بأعمال انتقامية و تعسفية في القرى الكردية فقط، فكانوا يعتقلون مخاتير ووجهاء هذه القرى و يربطونهم ويدلونهم في الآبار و يعفرونهم بعد ذلك في التراب، بالإضافة إلى الضرب و الأهانات الأخرى إلى أن عثر قائد فيصل شرطة ديريك على الرجل و المرأة و أوقفهما في سجن ديريك. لما سمع أفراد عشيرة شمر بذلك، ذهبت جموعهم المسلحة إلى هنالك وهددوا القائم قام و قائد الفصيل وغيره من الموظفين بتسليمهم الشخصين، أو أنهم سيأخدونهم بالقوة. فسلمتهم السلطات الشخصين، بعد الاتفاق مع سلطات القامشلي والحسكة، فأخذوهما إلى قراهما، حيث قتلوهما مع ابنة صغيرة من زوجها يتجاوز عمرها (6) سنوات .

و قد قام بعض الأكراد من القرى وغيرها بإرسال برقيات احتجاج إلى السلطات المسؤولة في الحسكة و دمشق. ولم يكن الاحتجاج بسبب الرجل الكردي المعتقل، لان الأكراد هناك لا يزالون بوضع عشائري , يقدرون قضايا الشرف والعرف.

و أنما كان الاحتجاج ضد تصرفات رجال الشمر التعسفية الانتقامية ضد الأبرياء من سكان تلك القرى، بالرغم من أن هذا الاحتجاج كان تلقائياً لدى الناس، كان ذلك ضمن ما يمكن أن يأتي به مواطن ذو ضمير إلى السلطات. لكن السلطات اعتبرت مرسلي البرقيات مشاغبين، فقدمتهم إلى محكمة أمن الدولة في القامشلي بتهمة إثارة النعرات العنصرية. أما بالنسبة للشمر فقد أوقفت السلطات أربعة عشر شخصاً، توقيفاً إدارياً ثم أفرجت عنهم دون محاكمة، وكأنه لم يحدث شيء .

(3)- منذ سنة ونصف تقريباً، جمعت أسلحة المقاومة الشعبية من الأكراد فقط، بينما بقيت لدى العرب.

وقبل ان انهي هذه الحوادث، أريد أن أسرد لسيادتكم حادثتين لهما علاقة مباشرة بي شخصياً:

(1) –في أيلول \1958\ أردت الذهاب إلى الخارج للقيام ببعض الأمور المتعلقة بعملي الخاص، كوكيل عام لبعض معامل الأدوية. ذهبت إلى المطار مستوفي كل المعاملات و الشروط اللازمة للسفر إلى الخارج، ويلزم فقط أن يؤشر ضابط الأمن، و لما قابلته اخبرني إنه ممنوع علي مغادرة البلاد بأي شكل كان. وسحب مني جواز السفر. و حدث هذا بينما أنا في انتظار الصعود إلى الطائرة، وإذا باسمي في المكبرة لمراجعة ضابط الأمن و حدث ما رويته. ولما راجعت وزارة الداخلية وقدمت طلباً للاستفسار عن هذه المعاملة، أحالوني إلى المكتب الخاص وهناك أحالوني إلى وزارة الداخلية وهكذا عدة مرات وفي الأخير طلبت مقابلة وزير الداخلية فلم أوفق، فعلمت انه لا طائل من المراجعة فتركتها. ولا أزال احتفظ بوصل الطلب الذي قدمته بين كتبي.

(2)- في نيسان /1960/ أردت الذهاب إلى حمامات الحمة للاستشفاء من مرض الروماتيزم وبعد أن أخذ الموظف المختص الطلب في المحطة، طلب مراجعته بعد الظهر، ولما راجعته قال لي: أنهم لم يوافقوا على طلبي . وسلمني ظرفاً فيه هويتي، ومكتوب عيه عدم الموافقة بالخط الأحمر. وهذا الطلب أخذه رجال المباحث، أثناء تفتيش منزلي، والموظف الذي أعلمني في المحطة أذكر اسمه (محمد المدني).

وإنني أتساءل، كمواطن له الحق و حرية التنقل ,هل هنالك مانع يحرمني ويمنعني من ذلك الحق سوى صفتي الكردية. إذا كانت تحرم الفرد من حقوق المواطنين العادية، كل هذه الأمور و عشرات غيرها تجري علانية وفي الخفاء تسيء إلى الأخوة العربية الكردية والتضامن بين الشعبين وتكون سبباً لعقد نفسية وشعور غريب عند الأكراد. آمل بوضع حد لها والنظر إلى الأكراد نظرة أكثر واقعية تتناسب مع واقعهم الموضعي كمواطنين عاديين في الجمهورية العربية المتحدة، ولكنهم أكراد...

وأن تحصل القناعة لدى السلطات المسؤولة بأن طريق الحل إلى مطاليب الشعب الكردي في الإقليم الشمالي، ليس الاعتقالات والسجون والتعذيب. وأن القضية تتطلب نظرة جديدة لهذا الواقع الذي نحن فيه، وحلاً جذرياً لرغبات و مطاليب الأكراد العادية و الطبيعية.. وبأن محكمتكم الموقرة سوف تلعب دورها الإيجابي في هذه القضية، بمساندتها للمظلومين و المحرومين، وكشفها الحقائق المرة، والدوافـــع الشريفة المخلصة لأعمالنا موضوع الاتهام.

نور الدين ظاظا

..... يتبــع..... في العدد القدم 102 سننشر مقال المحامي محمود عمر "رحلة عابرة في مسيرة زاخرة" على حلقتين

حوار مع الشاعرة التونسية
فوزيــة العكرمـي

أجرى الحوار: نصر محمد

تكتب النثر وتعتمد على التكثيف وعبق وعمق الجملة. لها فلسفتها الخاصة وخطها الكتابي الذي يميزها دون غيرها.. تعشق الحياة، تحترم الإنسان أياً كان بغض النظر عن دينه أو لونه أو عرقه، تعشق الوطن وتراه فوق المزايدات العرقية والطائفية، وتعشق الأدب وترى أنه الموحد للأمم، فالأدب لا وطن له، إنه أممي تقرأ للجميع.

انها الشاعرة التونسية فوزية العكرمي ضيفتنا وضيفتكم في برنامج ضيف وحوار لهذا اليوم:

- عضوة بإتحاد الكتاب التونسيين.. أستاذة الأدب و اللغة العربية.. أسّست العديد من النوادي الأدبية والثقافية.. تشرف على العديد من فروع لجمعيات أدبية تونسية وعربية.

- نشرت جل أعمالها بالصحف و المجلات التونسية و العربية.. لها مشاركات في العديد من التظاهرات الأدبية و الفكرية الوطنية والعربية.

- تمّ تكريمها في أكثر من ملتقى وطني وعربي (الجزائر –العراق - المغرب –مصر –ايران).. كُتب حول تجربتها الشعرية العديد من المقالات أبرزها (كتاب ظلّ حلم الذي صدر في ايران للدكتور جمال نصاري) وقريباً سيصدر ديوان شعري مشترك في كردستان بينها وبين الشاعر الكردي "فرمان هدايت ."

- صدرت قصائدها في أكثر من ديوان شعري مشترك تونسي وعربي.. ترجمت أشعارها الى لغات عديدة: الفرنسية –الانجليزية –الاسبانية – الفارسية – الكردية – الأندونيسية.

- من مؤلفاتها:

وجوه أخرى للسجن 2005- ذات زمن خجول 2011 - كان القمر لي 2014 بلندن - جدير بالحياة 2017 بتونس.

-لها تحت الطبع: مجموعة قصصية (هبوط اضطراري)

كما أسهمت في انجاز بحوث عديدة تربوية خاصة ومقالات متنوعة في صحف تونسية (الشارع المغاربي)، ومصرية (الاثنين ...اليوم وغيرها).

على ضوء الشمس

عَلَى ضَوْءِ الشَّمسِ

تَسلّخُ بِلادِي جِلْدَهَا

بِلادِي التِي رَبّيْتُ تَفاصِيلَ جِسْمِهَا بَيْنَ ضُلُوعِي

أَخْفَيْتُ هَشَاشَتَهَا عَنْ أَعْيُنِ النَّازِحِينَ

تَضْمُرُ سَمَاؤُهَا

تَصْغُرُ

تَسْقُطُ رُوَيْدًا

رَغْمَ كُلّ الدّعواتِ المَحْتُومَةِ بالزّغارِيدِ

يَسْعُلُ الوَقْتُ فِي الأَثْنَاءِ

سُعَالًا خَفِيفًا

رَأْفَةً بِقَلْبِ أُمّي أَيُّها الوَقْتُ الغَرِيبُ

رَأْفَةً بِيَدٍ يَلْتَهِمُهَا العَراء

صَارَتْ البِلادُ خَفِيفَةً

مُوزّعَةً فِي أَكْيَاسٍ مِنْ وَرَق

مَنْ يَشْتَرِي ؟

لَنَا الوَحْلُ نَدْبُغُ بِهِ أَيامَنَا البَعِيدَة

وَللقَادِمِين من خَلْفِ البِحارِ

رَشفَاتٌ من صَدْرِها المُتَرَهّلِ

لَا مَعْنَى لِخَرائِطَ مُجَفّفَةٍ كَإسْفَنْجَةٍ

مُعَلّقَةٍ عَلَى سُلّمِ الآهَاتِ

تَرْقُدُ بَيْنَ ماءٍ ومَاء

نَحْنُ لَعْنَةُ المَاء

يَاماءُ كُنْ حَلِيمًا بِتَائِهَا المَفْجُوعَةِ مِنَ البَتْرِ

والكَسْرِ

كُنْ سَخِيًّا حِينَ يَفْجَأُهَا الحَطّابُونَ

وَتَفْجَأُهَا نِيرانُ التّعَب

تَتَخَفّفُ بِلَادِي مِنْ وَزْنِهَا الزّائِدِ

مِنْ سُحُبِهَا وتِلالِهَا وأَنْهارِهَا

تَتَخَفّفُ مِنْ جُرُوحِهَا

تَعْصِبُ عَيْنَيْهَا

وَتَعُدّ كَطِفْلَةٍ مِنْ واحد لعشرة

كَيْ يَسْهُلَ خَطْفُهَا

وَتَخْتَفِي فِي ظِلِّهَا

إِنّنَا مَوْعُودون بشَهْقَةٍ أُخْرَى يَا بِلادِي

تُطْلِعُ فِي يَوْمِنا السّاجِ

فَوْقَ رُؤُوسِنا

حتّى تَرُدّنَا إِلى بيوتِنا

....إِلى رسائِلِنا المَطْوِيةِ فِي جُيُوبِنا

إِلى شَمْسِنا الدّافِئَةِ التِي نَكَادُ نَسْمَعُ ضَجِيجَهَا فِي أَحْلامِنَا

نص الحوار

س _ بداية ماذا تريد فوزية العكرمي من الشعر ؟ وكيف تصف للقارئ الشاعرة التي بداخلها؟

ج _ سؤال مفاجئ والله ومحيّر في آن واحد ماذا أريد من الشعر؟ من هذا المارد الذي يسكنني ويعكّر أحياناً صفو ذهني ويهيّج انفعالاتي... أريد من الشعر أن يخلي سبيلي أن يحرّرني ويعيدني نطفة في بحر الحياة بل صرخة عفوية في حنجرة وليد يشهد النور للمرّة الأولى. أريد من الشعر أن يحلّق بي حتّى أتوه عن العودة إلى الأرض فأظلّ معلّقة بين عالمين في نوسان غريب. والسؤال المسكوت عنه ماذا يريد الشعر منّي؟ لماذا يلاحقني في كلّ مكان؟ ويسطو على أجمل أوقاتي ليحوّلني إلى ريشة في مهب الريح.

لست شاعرة ولطالما نفيت عمّا أكتب صفة الشعر وعددت مخطوطاتي نوعاً من الهذيان لكنّ الشعر يفضحني ويشير بأصابعه الطويلة إليّ حيثما حللت.. الشاعرة التي بداخلي معتوهة ومجنونة وفوضوية وأنا أكبح جماحها بكلّ ما أوتيت من قوة وبكلّ مامنحني إياه المجتمع من قدرات على التلاعب والمراوغة أصاب بالإحباط أحياناً وأنا أحاول أن أفهم حقيقة هذه الروح الماجنة التي تسكنني والتي تصوّر لي العالم تصويراً مضحكاً ومؤلماً في آن واحد. ليتك تصدّقني إن قلت لك إنّني تائهة فكلّما اعتقدت أنّني عثرت على نفسي أفقدها من جديد ويطول بحثي وتتعمق حيرتي.

س _ بمن تأثرت بالكتابة في البدايات، وما هي الموضوعات التي أخذت حيزاً أكبر في قصائدك وقتها؟

ج _ كنت وقتها في المرحلة الابتدائية وكنت أجد متعة وأنا أتلو على مسامع أصدقائي بعض كتاباتي فأجد الاندهاش والإعجاب والتشجيع، لقد تفتحت عيوني في هذه المرحلة على أصوات العديد من الشعراء التونسيين والعرب، أول هؤلاء الشاعر التونسي أبو القاسم الشابي الذي ثار على المستعمر وعلى النفوس الراكدة بلغة حماسية جريئة حرّكت دواخلي وأشعرتني بقوة الكلمة وقدرتها على النفاذ إلى الأعماق، ثم اطلعت فيما بعد على كتابات الشاعر السوري نزار القباني الذي كان قريباً جدّاً من واقعنا العربي ومعبّراً عن هموم العربي وانشغالاته، ولا أنسى أمل دنقل ومحمود درويش وفدوى طوقان ونازك الملائكة وغيرهم.. لقد ظللت طوال هذه المرحلة متابعة لما يجري في فلسطين من جرائم ومجازر وانتهاكات أمام صمت الضمير العالمي والمجتمع الدولي، فثرت في قصائدي ثورة مازلت أحتفظ بتوهّجها وبريقها، لأنّني أشعر انّ رسالة الشاعر لن تكون جمالية بحتة ما لم يعبّر عن عصره إن تلميحاً أو تصريحاً... لقد كتبت عن فلسطين كلّ قصائدي الصغيرة والعفوية وعنونت ديواني الأول ب "صرخات ثائرة "ربما سيشهد ذات يوم النور.

س _ هناك من يصف الخطاب الشعري لدى المرأة عموماً بالخطاب الذي لم يزل متعثراً ما رد الشاعرة فوزية العكرمي على ذلك؟

ج _ من يصف الخطاب الشعري لدى المرأة بالخطاب المتعثر هو كمن يحاول إخفاء عين الشمس بالغربال كما يقال، وهذا أمر طبيعيّ في مجتمع مازال ينظر إلى المرأة نظرة دونية وكلّ ما يصدر عنها يفتقد للمهارة والإبداع، لكنّ الواقع يفنّد هذه المقولة إذ تثبت الذات الشاعرة قدرتها على التميز والإبداع، ولنا أدلّة لا تحصى ولا تعدّ عن تجارب شعرية نسائية استفاد منها الشعراء القدامى فيما بعد كأبي نواس وأبي تمام وغيرهم، ناهيك عن إضافات الخنساء لقصيدة الرثاء، إضافة الى الشاعرات الصوفيات وقصائد ليلى الأخيلية التي كان لها الأثر العميق في مدونات أهم الشعراء في عصرها، ولا ننسى شاعرات عصر النهضة، إنّ الحديث يطول عن إبداعات المرأة العربية وإضافاتها الهامة للقصيدة العربية لذلك لا يعتدّ برأي من يستنقص من قيمة كتاباتها.

س _ يجمع المتابعون للشأن الأدبي في تونس اليوم. إن حجم مساهمة المرأة في الأدب تنظيراً وإبداعاً في شتى المجالات أكبر بكثير من مساهمة الرجل، وهو ما يدل بأن المرأة في تونس تجاوزت المصطلح وعانقت الإنسانية من خلال إبداعاتها. ما رأي الشاعرة فوزية العكرمي بهذا القول؟

ج _ إنّ المجتمعات التي لها إرث ثقيل من تبعية المرأة للرجل تحتاج إلى وقت أطول للتحرر من هذه القيود والمرأة التونسية منذ الاستقلال ومنذ سنّ مجلة الأحوال الشخصية التي صانت للمرأة حقوقها وكرامتها وحررت المرأة من ربقة الرجل تمكّنت من اقتحام كلّ المجالات التي كانت حكراً على الرجل وأظهرت من البراعة والمسؤولية ما يجعلها رائدة حتى الأدب الذي يعدّه البعض حكراً على الرجل، أبدعت فيه وتفوقت ولنا في الجوائز التونسية دليل على ذلك..

وفي ما أثرت به المكتبة الوطنية من دراسات وبحوث وكتب ودواوين شاهد ينبئ بحجم مناخ التحرر الذي تعيش فيه المرأة التونسية وحرصها على تحمّل مسؤوليتها كاملة في المجتمع وتجاه الأجيال القادمة. وأعتقد أنّ الابداع لا هوية له، فمثلما يتفوق الرجل في صنوف ابداعية نجد المبدعة التونسية تلفت الأنظار بتميّز خاطرها ورونق حديثها وتوهج أحاسيسها.

س _ ماذا تعني فوزية العكرمي بعناوين دواوينها "وجوه أخرى للسجن 2005"، "ذات زمن خجول 2011"، "كان القمر لي 2014"، "جدير بالحياة 2017. هل تكشفين لنا بعض الأفكار الرئيسية عن محتويات المجموعات الشعرية؟

ج _ أنا مقلّة من حيث النشر مقارنة بما تنشره الشاعرات من جيلي وأنشر الدواوين بشكل متباعد في الزمن لأنّني أريد لكلّ أثر أن يحظى بالاهتمام الذي يليق به، وحتّى تأخذ التجربة آفاقاً أخرى فلا تبقى في حلقة مفرغة من التكرار المملّ وانسداد الأفق، فديواني الأول "وجوه أخرى للسجن" والذي صدر سنة 2005 به قصائد كتبت في المرحلة الجامعية يعني بعد عشر سنوات تقريباً نشرت مختلف القصائد التي قدّمتني لجمهور طلّابي عريض وكانت القصائد فيه خلاصة مرحلة من التجريب والنّحت للشخصية التي أروم أن أكون، ولقد كتب عن قصائدي في هذه المرحلة الكثير لأنّني مزجت فيها بين الشعر والقصّ، وأغرقتها في ايديولوجيا تشبعت بها في تلك المرحلة، والعنوان يحمل الكثير من الألم والمأساة ويبطن معاناة التونسي في ظل الظلم والاستبداد وانسداد الآفاق وتفشّي الفساد تعاضدها هموم الذات وانكساراتها وشتّى أنواع الفشل الذي عشته وتصديت له بالشعر والأدب.

أما ديواني الثاني "ذات زمن خجول" فلقد نشرته إبان الثورة. إنّها الثورة التي حلمت بها وتمنيتها قد صارت حقيقة، وآن للقصيدة أن تتحدث بوضوح وأن تبسط وجهات نظرها ومواقفها مما يحدث، وأن تعبر بشفافية عمّا يعيقها وعمّا تخطّط له مستقبلاً، وفي سنة 2014 نشرت ديواني الثالث "كان القمر لي" وهو ديوان صدر عن دار مومنت بلندن، ربّما بحثت في هذه المرحلة عن جمهور أوسع من خلال النشر خارج الحدود وتوقاً لقارئ يشاركني همومي الانسانية بعيداً عن كل حاجز، وفي ديوان "كان القمر لي" صوّرت مختلف الخيبات التي عشتها إبان الثورة. لقد عشت الثورة بكل جوارحي وانصهرت في معمعانها حتى فقدت نفسي، ولم أفهم بعد كيف آلت الأمور الى عكس ما حلم به التونسي، أمّا ديواني الأخير "جدير بالحياة "والذي صدر سنة 2017 فهو صرخة في وجه أعداء الحياة دون نسيان هموم الذات التي عادت تتخبط من جديد في رحم الحنين والألم والذكريات المرّة.

س _ لك قصائد مترجمة من العربية إلى الفرنسية والكردية والاسبانية والفارسية والاندونيسية. الترجمة إلى أي حد تجدينها مهمة في إيصال الشعر من لغة إلى آخر؟

ج _ أعتقد أنّ الترجمة وإن كانت مخلة بجوانب عديدة من روح النص وانفعالات كاتبه وحميمية اللغة العربية في التعبير عن أحواله الشتى بطريقة مكثفة وقريبة من روح القارئ فهي تظلّ الطريقة المثلى لإيصال صوت الشاعر إلى عوالم ومحيطات أخرى. ولا أنكر فضل الترجمة في إثراء الفكر البشري وتحقيق التواصل المنشود بين الحضارات والثقافات. وترجمة الشعر مظهر آخر من مظاهر هذا التواصل الراقي بين الشعوب، والحقيقة أنا مدينة للترجمة التي عرفتني على الكثير من الشعراء وعقدت بيننا من الصداقة والتوافق وكأننا نتكلم بلسان واحد ورفعت الحجب، فأمكن لنا اليوم بفضلها متابعة كل ما يكتبه الشعراء الكبار في شتى أنحاء العالم.

س _قريباً سيصدر ديوان شعري مشترك في كردستان بينك وبين الشاعر الكردي فرمان هدايت. كيف تنظر الشاعرة فوزية العكرمي إلى القصيدة الكردية الحديثة في كردستان. وهل الخط البياني لتطورها يتجه نحو الصعود أو الهبوط؟

ج _عرفت القصيدة الكردية كمثيلاتها مراحل عديدة من التطور والتشكّل، وأرى أنّها قصيدة مغايرة ممتلئة بالروح الكردية، ثرية بانفعالاتها، مؤرّخة لتواريخ الأكراد عبر العصور وما عاشوه من تقلبات، لذلك هي صامدة وراسخة رسوخ الجبال وتشهد شهرة لا مثيل لها لرقة مضامينها وحلاوة تعابيرها، ويعود الفضل في وصولها إلينا إلى الترجمة أولاً وحذق العديد من الشعراء الأكراد للغة العربية، ولا أنكر انبهارنا بكتابات شيركو بيكه س وسليم بركات ومن قبلهما، افتتنا بشعر معروف الرصافي وبلند الحيدري واحمد شوقي.

س _ الشاعرة فوزية العكرمي، كيف تنظرين إلى التحولات الحاصلة في الساحة الشعرية في المرحلة الحالية وانعكاساتها على وعي المراة؟

ج _ منذ القديم والشعر ينهض بأدوار عديدة كالرقي بالذوق الجمالي والتعبير عن الأوضاع المختلفة وهموم الفرد في مجتمع رأسمالي لا قيمة فيه للأفراد، وأحلام النفوس بغد أجمل وأفضل ومحاولة بث التوعية، ويبدو المرأة اليوم بحاجة أكيدة إلى خطاب توعوي يذكّرها بخطورة المرحلة وظهور قوى رجعية تسعى للالتفاف على مكاسبها وامتيازاتها، وقد فشل السياسيون التقدميون في تبليغ هذه الرسالة لما في خطابهم من خشونة وترهيب وانفعال مبالغ فيه. إنّ الفنّ عموماً هو المنقذ للفرد من الضياع والضلال واستلاب الذات.

س _ الشاعرة فوزية العكرمي، ما هو مفهومك للحداثة في الشعر وما هي معايير للقصيدة الحديثة. كيف يمكن تحديد الحديث في القصيدة (ان فكرنا في الموضوع كقواعد موجودة يمكن اتباعها)؟

ج _ الحداثة في الشعر يعني تجديد القوالب والرؤى والمضامين بطريقة تجعل القصيدة قريبة جداً من نفس القارئ، معبّرة عن سكناته ولواعجه وهواجسه. لقد خاضت القصيدة العربية الحديثة أعتى حروبها ضد القصيدة التقليدية وضد روّاد الشعر الكلاسيكي الذين استبسلوا في الدفاع عنها لأنّهم يرون أنّ المسألة تتعلق بالهوية والأصل، ولا أستغرب استمرار نفس المعارك ولو بطريقة خفيّة، ومن وجهة نظري أرى أن القصيدة العمودية فقدت الكثير من بريقها ولم تعد قادرة على مواكبة روح العصر، حتى قصيدة الشعر الحرّ وما طالها من تهذيب وتشذيب تبقى مقصّرة في مواكبة انفعالات الذات والإلمام بالتفاصيل والجزئيات. لقد فرضت اليوم قصيدة النثر وجودها في الساحة الشعرية وافتكت مكانها كوليد شرعي لقصيدة تآكلت وهرمت وظروف بحاجة إلى نمط جديد يستوعب التحولات الطارئة في المجتمع، ويخطئ من يعتقد أنّ قصيدة النثر هي الحمار القصير الذي يعتليه كل من هب ودبّ لأنّه غير ملمّ بشروط كتابة قصيدة النثر وما تتطلبه من مجهود إضافي في البناء والإيقاع وهندسة الأسطر الشعرية، وهذا كله يتطلب مهارة فائقة.

س _ كشاعرة تونسية كيف تنظرين إلى الناقد التونسي. هل يقوم بدوره على أكمل وجه؟

ج _ الناقد التونسي غير مواكب لما يعتمل في المشهد الأدبي عموماً من حركية غير مسبوقة، إذ نشهد يومياً ولادة عشرات الكتب في شتى صنوف الأدب شعراً وقصة ورواية ونقداً، ولا نجد تقييماً موضوعياً لهذه الكثرة ولا تناولاً مدروساً للبعض منها، لقد ظلّ النقد ومازال حسب رأيي يشتغل في مدارج الجامعات ويهتمّ كالعادة بتجارب معروفة وأسماء مشهورة لن يزيدها النقد شيئاً يذكر

س _ لا جدال في آن المرأة تختلف عن الرجل برقة المشاعر ورهافة الحس. هل تعدي القصيدة التي تكتبها المراة هي ومضات ونبضات آتية من الحلم أم الواقع؟

ج _ ما تكتبه المرأة مزيج من تفاعلات كيمياوية دقيقة بين الواقع والحلم، فالقصيدة مهربها من مجتمع قاس وجاحد ومنافق، والقصيدة حصنها الحصين وجنّتها الأرضية التي تستعيض بها عن جحيم الواقع. إنّ مشاعر الأنثى المختلفة وما يميزها من مشاعر الحنان والأمومة ورهافة الحسّ تضفي على كتاباتها الكثير من الصدق والشفافية ويجعل تجربتها مختلفة اختلافاً كبيراً عمّا يكتبه الرجل.

س _ يربط الكثيرون الأدب النسوي بحركة تحرير المرأة من سطوة الذكورية. برأي الشاعرة فوزية العكرمي إلى أي مدى أثر هذا الفكر في خفوت وقلة الأسماء الأنثوية. قياساً للذكورية؟

ج _ طبيعة المجتمعات المحافظة التي تكرّس مبدأ التمييز بين الذكر والأنثى على أساس الجنس لا على أساس الكفاءة والقدرات والإمكانيات أضاعت علينا الكثير من الابداع الأنثوي المتوهّج. أنا أنتصر لجنسي ولبنات جنسي ثمّ إنّ مصطلح "نسوي" فيه استنقاص من قيمة ما تكتبه المرأة، لذلك الأصح هو القول بأدب المرأة وما تكتبه المرأة. إنّ من يحيا لقرون بين الحجب وفي الكهوف لن يرى جمال النور للوهلة الأولى ولن يستمتع بدغدغات الأشعة إلا بعد فترة من الزمن، لذلك ظلت كتابات المرأة محتشمة يتمّ الاحتكام فيها للرجل فهو السبّاق حسب عرف المجتمع وبأيديه مفاتيح الابداع والابتكار، من هذا المنطلق ظلت المرأة لعقود في تبعية أدبية للرجل، فالرجل هو من يقدمها للجمهور ويعطيها تأشيرة الانطلاق.

س _ أضحى الغموض ظاهرة شائعة في الشعر الحديث. خلقت فجوة عميقة بين الشاعر والمتلقي. ما سر ملازمته لأغلب التجارب الشعرية الحديثة؟

ج _ ليس الغموض هو الابهام أو الإلغاز. الغموض سحر وربط شفيف بين الدال والمدلول دون تعنّت أو نقصان، وحسن توظيف المجاز، واختيار العبارة الشعرية، وحسن التخلص من معنى إلى آخر. الغموض كلمة سر مفتاحها بين روحين متصافيتين روح الشاعر وروح القارئ، فكلّما وفّق الشاعر في إغراء القارئ وجذبه إلى عوالمه أمكنه قيادة السفينة وخوض المغامرة الممكنة مهما اصطخبت الأمواج وتعالت، ولابدّ أن نعثر على هذا المفتاح فينا لأنّه مخفيّ بإحكام في أرواحنا.

س _ الشاعرة فوزية العكرمي، كيف تقيمين المشهد الشعري التونسي الراهن في وسط ما يبدو للمراقب البعيد المحايد اضطراباً أو تداخلاً؟

ج _ المشهد الشعري التونسي لا يختلف كثيراً عن المشهد الشعري العربي من طغيان الأخوانيات واللوبيات وفق منطق الأقربون أولى بالمعروف، ماعدا بعض المهرجانات اليوم التي تحسن اصطفاء ضيوفها وروادها من ذوي المواهب الحقيقية. لقد أضعنا الكثير من الشعر بتصلفنا، والكثير من الشعراء بأنانيتنا وغرورنا، فاختلط الحابل بالنابل والجيّد بالرديء، وصارت عملية النشر لا تخضع لأيّ منطق، فالمقتدر مادياً ينشر ما يريد من خزعبلات ودور النشر تشجع على هذا لأنّها دور نشر تجارية بالأساس.

س _ الشاعرة فوزية العكرمي، ما هو في رأيك أسباب ارتفاع نسبة العنوسة بين الشباب والشابات في تونس. وهل تؤيدي حق الرجل بالزواج من مثنى وثلاث ورباع. وهل أنت مع الزواج المدني، وزواج المسيار، وزواج المتعة للقضاء على العنوسة؟

ج _ ارتفاع نسبة العنوسة أمر نسبي في المجتمعات اليوم، إذ صارت العنوسة اختياراً يدخل في باب القناعات الشخصية لأسباب يطول شرحها، لعلّ أبرزها ارتفاع تكاليف الزواج في ظل مجتمع بنيته الاقتصادية هشّة ويعاني من ارتفاع نسبة البطالة خاصة في صفوف الحاصلين على الشهادات، أمّا عن الزواج فنحن في تونس لا نعاني من هذه المشكلة لأنّ المسألة صارت من تقاليد الأسرة التونسية وشمائلها، وقد سنّ القانون والدستور ومجلة الأحوال الشخصية ذلك منذ الاستقلال. حتّى إن نظرنا إلى مسألة الزواج في الشرع فلقد حذّر الله سبحانه وتعالى من ذلك بصريح العبارة القرآنية "وإن خفتم ألّا تعدلوا فواحدة" ولن يعدل الانسان مهما سما واجتهد. لذلك تمتاز المرأة التونسية بتحمّل المسؤولية والقوّة والعزيمة وهي سعيدة في امبراطوريتها التي لا يشاركها فيها أحد.

"النّغم الأصيل"

الفنّانة شهين طالباني

1952م

نارين عمر

هناك مدنٌ تشبه البساتين النّضرة التي لا تزهرُ إلا بالثّمار الخيّرة واليانعة أبداً، حين نتذكّرُ أهمّ هذه المدن تخطرُ على البال فوراً مدينة "سنندج" الواقعة في كردستان ايران التي تفخرُ بأنّها أنجبت عشرات المبدعين من الرّجال والنّساءِ على مرّ التّاريخ ولكن يكفيها فخراً أنّ بستان رحمها أنجبتْ الكاتبة والشّاعرة الخالدة ماه شرف خان "مستورة الأردلانية"، وكذلك الفنّانة الرّقيقة والهادئة "شهين طالباني" أو "شاهين طلباني" كما يروقُ للبعض أن يسمّيها.

حياتها الاجتماعيّة:

ولدت شهين في سنندج في عام 1952م، وفيها أكملتْ تحصيلها العلميّ للمرحلتين الابتدائيّة والمتوسّطة، ثمّ انتسبت إلى دار المعلّمات، وبعد أن تخرّجت منها عملت معلّمة لعدّة سنواتٍ.

شهين طلباني متزوّجة وأمّ لثلاثةِ أولاد، وتقيمُ معهم في بريطانيا منذ عام 1989م.

عُرفت شهين كناشطة اجتماعيّة من خلال مشاركتها في العديد من الجمعيّات الاجتماعيّة والخيريّة، وأولى هذه الجمعيّات التي انتسبت إليها كانت "جمعية شير وخورشيد سرخ الايرانية" وفي ذلك يقول الكاتب جمال هموندي:

((...انخرطت في الحركة النّسوية الكرديّة في بريطانيا، ولها نشاطات اجتماعيّة وخيريّة متنوّعة من خلال مساعدة العائلات المهاجرة والمرضى والأطفال، وتقول "بناء على اقتراح منها"، هي على وشك إحياء حفلة خيريّة بالمشاركة مع فنّانين آخرين كرد في أوربا لمنح ريعها لأطفال كردستان المصابين بآثار الأسلحة الكيمياويّة المستخدمة ضدّ أبناء حلبجه وباليسان وبهدينان...)) ما يوكّدُ على دفقات الحسّ الصّادق والشّعور الرّقيق الذي تتميّزُ به شهين، هذه المرأة الكرديّة التي تعيشُ آلام شعبها وآماله بصدق لأنّها جُبِلت منها.

بالإضافة إلى مهنتها الأساسيّة التّعليم وموهبتها في الفنّ والغناء فإنّ لها هوايات واهتمامات أخرى كالرّياضة والأدب ومطالعة الكتب التّاريخيّة والموسيقا التّراثية، وهي ناشطة في مجال الدّفاع عن قضيّة المرأة الكرديّة وترى أنّ المرأة الكرديّة متحرّرة لكنّها بحاجة إلى نضال أكثر لنيل ثقة المجتمع بها أكثر.

حياتها الفنيّة:

على الرّغم من اختيارها لمهنةِ التّعليم إلا أنّها لم تهمل الموهبة التي رضعتها مع حليبِ أمّها "موهبة الفنّ والغناء"، بل تابعتها بشغفٍ ومحبّةٍ حتى استطاعت أن تدوّن اسمها بأحرفٍ من مدادِ الخلدِ في سجّل الفنّ والغناءِ الكرديّ.

عن أولى الأغنيات التي أدّتها، وفتحت أمامها أبواب الشّهرة والانتشار تقول:

"بدأتُ بأغنية رومانسيّة ناجحة "صبري گول فروش، أي صبرية بائعة الزّهور(في عام 1974 مع الفنّان المعروف عباس كمندي، وما تزال تلك الأغنية تطرب الشّيوخ قبل الشّباب".

وتؤكّد بعض المصادر على أنّ شهين أفصحت عن رغبتها في العودة إلى كردستان والإقامة الدّائمة فيها حين طلبت إلى حكومة اقليم كردستان مساعدتها في إيجادِ سكنٍ مناسبٍ لها ولعائلتها.

تغنّي شهين بعشقٍ وتأثر مستلهمة من طبيعة كردستان وطبيعة أهلها ومن طبيعة البلدان التي تزورها وتقيمُ فيها أروع الأنغام والألحان، يساعدها في ذلك عشقها للموسيقا والغناء، وتمسّكها بتراثِ شعبها الموسيقيّ والفنّي، واعتمادها على صدق مشاعرها ورقة أحاسيسها.

أصدرت شهين حتى الآن ثلاثة أشرطة غنائيّة، بالإضافة إلى العديد من الأغاني المصوّرة، وتحرصُ شهين في كلّ ذلك على اختيار الكلمة التي تلامسُ شغافَ فؤادها واللّحن الذي يتناغمُ مع هذه الكلمة ليشكّلا معاً أغنيةً متآلفة، سريعة الولوجِ إلى نفوس وقلوبِ المستمعين والمشاهدين لها، وربّما لهذا السّبب نجدها تعتمدُ في اختيارِ معظم أغانيها على الفنّان الكرديّ برهان مفتي، وفي ذلك يؤكّد الكاتب جمال هموندي:

((...وأنّ ألحان واختيار كلمات أكثر أغانيها يتمّ من قبل الفنّان الكرديّ المشهور برهان مفتي زاهة المقيم في لندن حالياً)).

أرادت شهين كغيرها من الفنّانين والفنّانات الكرد أن تهديَ مدينة كركوك أجمل ما تملك من مشاعر الودّ والحنان من خلال أغنيةٍ تؤديها بصوتها الحنون وهي من كلمات الشّاعرين حمه سعيد ابراهيم واسماعيل خورمالي، ومن ألحان الملحّن برهان مفتي زاهه.

ما يُؤخذ على هذه الفنّانة أنّها اكتفت بالغناء باللّهجةِ السورانية أو باللّهجة التي تعلّمتها فقط، ولم تغنّ باللّهجاتِ الكرديّة الأخرى وخاصة الكرمانجيّة مثلها مثل الفنّانة "تارا جاف" لأنّ غناء الفنّان باللّهجات العديدة والمتنوّعة يساهمُ في انتشاره وشهرته بين شرائح واسعة من الجماهير الكرديّة.

الفنّانة شهين صاحبة صوت كرديّ أصيل، متناغم، لها منّا التّمنيّات بدوام العطاء والغناء.

حـوار مع الفنـان

سـعد فرسـو

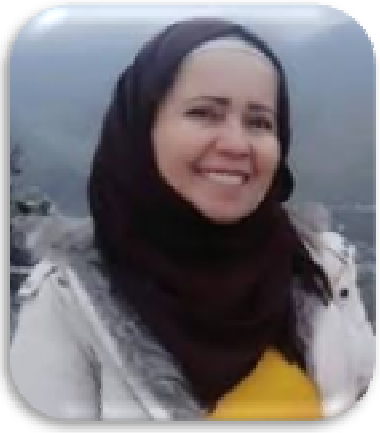

أجرى الحوار: رونيدا احمد

الفنان الكردي سعد فرسو أحد الوجوه البارزة في عالم الأغنية والموسيقى، ومن خصوصيات صوته وألحانه وموسيقاه قربه من عالم الفنان الكبير الراحل محمد شيخو. حياته إبداع و موقف وبساطة وطيبة وإخلاص لمدينة قامشلو وصدق كما يقول عنه أحد مقربيه وأصدقائه، وهو ما يعرفه عنه جميعهم.

في هذا الحوار التالي:

يتحدث الفنان سعد فرسو عن مسيرته الفنية قائلاً ":

تعلمت العزف على آلة البزق وأنا طفل صغير. أغلبنا في القرية كنا نعزف. اشتريت أول آلة موسيقية سنة 1979 وعملت في فرقة السلام للحزب الشيوعي كعازف، وفي سنة 1982 تعلمت العزف على آلة العود وفي سنة 1985 تم اختياري لاكون مسؤولا عن فرقة السلام، وقدمت مجموعة ألحان لفرقة السلام حيث بدأت التلحين سنة 1979 باللغتين العربية والكردية، تعاونت وأتعاون فنيا مع مؤسسات المجتمع المدني وبعض الأحزاب الكردية. اعمل الآن في محل موسيقي. أبيع الآلات موسيقية، وأدرب الطلاب على بعض آلات الموسيقية".

ردّ اً على سؤالنا: عن علاقته مع فرقة السلام ؟ و هل حاول بعدهذه التجربة أن يشكل فرقة موسيقية مستقلة. قال:"

فرقة السلام فرقة قديمة كانت ،وكانت لها باع طويل في الغناء والأغاني الملتزمة،ولكن الفنان يريد أن يكون حرا في اختياراته الفنية من كلمات وألحان والتعاون مع الآخرين، وأن يكون حرا بفكره وعلاقاته. بعد أن تركت الفرقة أسست مع آخرين العديد من الفرق واتحادات الفنانين، لكن كنا نفشل، ومن تابع وضع الكرد في سوريا والأحزاب الكردية ووعي الفرد الكردي يصل

إلى نتيجة لفهم سبب ذلك، وآخر اتحاد أسسناه كان سنة 2006 وفشلنا فيه أيضاً".

وأضاف عن أغنية "جين" التي هي من كلماته وألحانه وعزفه وغنائه قائلاً ":

أغنيتي "جين" أعتقد موفقة من حيث الكلمات واللحن ومثل جميع أغنياتي فإن لها قصة ودلالات ولها موقع خاص لدي وقد أحبها الكثيرون".

وأضاف أيضاً عن أغنية حلبجة قائلاً:

أغنية حلبجة هي مفصلية وهي باللغة العربية عندما قام النظام العراقي برش المواد الكيميائية على الكرد في مدينة حلبجة بوساطة طائراته المدججة بالقنابل والصواريخ. مستخدما موادا سامة قاتلة مزودة بمزيج من الخردل وغيره، ولقي الآلاف حتفهم خلال ثوان في 16 آذار بعد خمسة أشهر من انتهاء الحرب العراقية والايرانية تأثرت بهذه الفاجعة الأليمة وبحثت عن نص غنائي يليق برثاء شعبي المنكوب من الأزل وكانت صرخة مدوية وانتشرت كثيراً".

وتابع الحديث عن ملتقى سعد فرسو الفني كمعهد للموسيقى الكردية التي تخرج منها عشرات الشباب ":

في فترة لم يكن يتوفر فيها الكادر الموسيقي في القامشلي كان الضغط علي قوياً وتعلم الكثير من طلابي العزف من خلال دورات موسيقية في محلي. الآن الحمدلله لدينا كوادرموسيقية متمكنة ثمة جيل جديد واعد".

وتابع الحديث أيضاًعن العلاقة بين نبرة صوته وصوت الفنان المرحوم محمد شيخو:

"الإنسان يتشابه في الشكل فأكيد ثمة تشابه في الصوت بين بعضهم. وتتشابه الأصوات أكثر عندما ضمن عالم اللون الغنائي ذاته او الأغنية ذاتها، و صوتي يشبه صوت محمد شيخو عندما أؤدي أغانيه وأعتقد أن صوتي من النوع الطربي ومحمد شيخو من النوع الشجي.ومحمد شيخو له الفضل في ظهوري ودخولي في العالم الفني ولكن من سلبيات عدم التحقيق لم يستطيع المستمع الكردي أن يميز بين خصوصية الصوتين والطابع الصوتي لكل منا، علماً أنني ألحن بطريقة مختلفة".

ويمضي قائلاً عن الصعوبات التي يواجهها كملحن وعازف ومغن منفرد كردي :

"أعتقد نلاقي صعوبات جمة في هذا المجال. حقوق الفنان غير مصانة تتعرض الأغاني للسرقة دون رقيب ولايأخذ الفنان حقوقه المادية والإعلامية عندما يقدم أغنية جديدة، فلاتوجد نقابة مستقلة تدافع عن حقوق الفنان، ولايستطيع الفنان أن يقدم أغنيته بشكل لائق بسبب الكاهل المادي المرهق ولاتباع العمل الفني ولاتوجد مؤسسات كردية تدافع عن حقوق الفنان".

ويمضي بالقول أيضاً بما أنه واكب عصرالأغنية الكردية.ويرى هل أنه من عداد مطوري الأغنية الكردية؟وكيف ؟ :

"تطوير الأغنية الكردية يعود بالدرجة الأولى إلى المؤسسات الفنية وتأمين الأجواء الصحية. ويقع أيضاً على عاتق الملحن وبحضور أصوات قادرة أنا بالنسبة لي قدمت مجموعة ألحان غربية بطريقة شرقية وكذلك ساهمت في الاعتماد على الشعر الكردي والقوي بمعانيه والكلمة التي تحمل عدة معاني ودمج الموسيقى الكردية بالموسيقى الغربية والاعتماد على الجمل الرصينة ومحاولة التطابق بين الكلمات واللحن والإحساس. وتطوير الأغنية الكردية يعود لمحاولات فردية من بعض الموسيقيين".

وردّاً على سؤالنا عندما سألناه هل نال مكانه إعلامياً وهل تم تكريمه قال :

"عندما يتوافرالإعلام الحرعندئذ يأخذ كل ذي حق حقه ويسلط الضوء أكثر على كل عمل يخدم أيدلوجية المؤسسة الإعلامية وغياب الوعي عند الإعلامي الذي لايستطيع التمييزبين ماهوجيد وغير جيد وأغلب من يعمل في إعلامنا لايمتلكون الثقافة الواسعة لتؤهلهم أن يكونوا اعلاميين ناجحين، وبالنسبة للتكريم فإنه يعتمد على لعبة "من هو ليس معي فهو ضدي..." كرمت محلياً في مدينتي في عدة مناسبات، والتكريم الأهم هوأن تقدم فناً أنت راض عنه، وحب الشعب الكردي هوأفضل تكريم، وأعتقد أن الفنان الناجح لاينتظرالتكريم من الآخرين".

ويسهب بالقول عن معظم أغانيه قائلاً:

هي أشعار وقصائد لأسماء غير معروفة لماذا: "أحاول دائماً أن أقدم قصيدة تحمل فكرة تعجبني وأين أجد

مايعجبني أحاول أن ألحنه وعند ذلك يسقط إسم الشاعر من القصيدة لتبقى القصيدة تحاورني وبعد أن أهيم بالقصيدة أثبت اسم الشاعر بمعنى أنه ليس مهماً لي اسم الشاعر، بل القصيدة هي الأهم لدي. أختار الكلمة التي تحمل فكرة وعميقة المعنى والتأويل لأن شعبي بحاجة إلى كلمة ترفعه وترفع ثقافته وإحساسه ويرفع ذوقه الفني لا أن يبقى في أجواء هابطة مكررة الفكرة".

رداً على سؤالنا عنها لو يستلم فرسو مؤسسة كردية ماذا كان يقدم للفن الكردي:

"سؤال مهم والإجابة عليها تطول يمكن ذكر أهم النقاط ألا وهي أرشفة أغاني الفنانين والحفاظ عليها من القرصنة تشجيع الفن الكردي الأصيل الذي يحمل نغماً جميلاً وكلمة طيبة صرف رواتب للفنانين الذين يقدمون ماهو مفيد للتراث الكردي من أغاني فولكلورية ورصينة ،الكتابة عن حياة الفنانين وأعمالهم الراحلون منهم والأحياء بشكل أرشيفي. فتح أستديو خاص للفنانين لتسجيل أعمالهم الفنية. صرف رواتب تقاعدية للفنانين الذين تجاوز أعمارهم 60 سنة".

ويتحدث عن قريته تل عربيد التي عدت متطورة،بالنسبة إلى غيرها من القرى المجاورة في فترة ما. وعن أضافت إليه قريته قائلاً :

"قرية تل عربيد كانت تسمى موسكو الصغرى تربيت فيها تربية صالحة لوجود نخبة من السياسين والمثقفين وتعلمت فيها احترام الآخرين والعزف على آلة البزق ظهر فيها أعداد كبيرة من الدكاترة والجامعيين ونخبة عالية من رجال السياسة والذين كانوا لهم دور بارز في القرى المجاورة لقريتنا".

وعن المؤسسات الكردية تقوم بواجبها تجاه الفنان أو الأغنية الكردية أردف:

"لاتوجد مؤسسات كردية بالمعنى الكردي لكن هناك مؤسسات حزبية و هي تهتم بالفن السياسي و الأيديولوجي ومن حقها أن تستخدم الفنانين في مشروعها السياسي، وعلى الفنان أن يكون واعياً لهذا السبيل وأن يكون مرآة شعبه وأن يكون أكثر أدراكاً".

وعن أعماله المستقبلية أردف أيضاً:

"لدي عدة ألحان جديدة أبحث عن فرصة لتسجيلها لأنها مكلفة وأيضاً بين يدي مجموعة من القصائد الرائعة سأقوم بتلحينها وهناك مشروع تعاوني بيني وبين مطربة سأقدم لها عدة ألحان.

وختم قائلاً:

"أريد أن تتأسس مؤسسة كردية تعتني بالفن الرصين وتقدم دعماً للفنان الكردي والأغنية الكردية وبعيدة عن المحسوبيات. وأشكركم على هذا اللقاء الرائع والذي من خلالكم أتواصل مع وسط عزيز، وأتمنى أن أكون عند حسن ظنهم".

حوار مع الشاعر اللبناني
تيسير حيدر

أجرى الحوار: نصر محمد

شاعر لا تمل من شعره . وكأن الشعر على يديه قد استعاد شعوره فصار مرهف الإحساس. كلماته سهلة وبسيطة، فلا تكاد ترى فيه لفظة غريبة أو عبارة موحشة، ألفاظه بسيطة وعذبة تكاد من عذوبتها ترق وتشف حتى ترى بياض قلب صاحبها.. إنه الشاعر تيسير حيدر ضيفنا وضيفكم لهذا اليوم:

"اظن أنني تعلمتُ وأنميت طاقة الشعر من مفاتن الطبيعة الساحرة البساطة التي تجاورنا نحن أطفال الريف، وأجعلنا مكللين بالأخضر ليل نهار. زيتون الروح، السماء الزرقاء كالحب. الجبال التي تنتظر أقدامنا الطفولية لتعانق سحر أرواحنا وتلثم شذى بسماتنا المعذبة بثقل الفقر وعرق العمل المضني في زراعة التبغ في ظروف قاسية.

تعلمت في مدرسة القرية التي كانت تئن من النقص في كل متطلبات التعليم، غرف تدريس موزعة في غرف مستأجرة .. بعد انتقالي إلى بيروت ومتابعة دراستي في دار المعلمين عدت إلى القرية مدرساً للأطفال. وبعد نيلي اجازتين في اللغة العربية والجغرافيا علّمتُ في الصفوف الثانوية.

طبعت إصداراً واحداً سنة 2014 "عشق الريف"... أتابع منذ سبع سنوات أصدقائي على صفحات الفايسبوك الذي أحدث عندي نقلة نوعية في أساليب التعبير ومواضيعه لتواصلي مع الأدباء المبدعين في كل الدول العربية.

أنا ظِلُّكِ!

إنْتَبهي وَأنْتِ مُسْرعةُ الخُطى أنْ تَتَعَثَّري ،فَستكونُ مُصيْبتي أكْبر،سُقوطُكِ يَجْعَلُني أنْدَثِر.

أنا ظِلُّكِ وقَد أضِيْعُ ،إلْتَفِتي دائماً خَلْفكِ وإلى اليَمين واليَسارِ ،غَدّي قَلبي بنَظَراتِكِ.

وَإنْ ذَهَبتِ إلى نَبع ماءٍ لا تَقْتربي كَثيراً مِمَّا يَجْعَلُني أغْرَقُ في الوَهْمِ.

هَلْ وَضَعَتِ عَلامَةً فارقَةً تَعْرفيْنني مِنْها ،؟قدْ يَكونُ سُعالي الدّائم ،أو احْمِرار وَجَنتيّ المُسْتَمِرّ أو ضَياعي ،يُهْديْكِ إلَيَّ ،وَلَكِنْ حَاذِري أنْ تُناديْني فَقَد يُصْبحُ الوَهْمُ حَقِيقة فَتَضِيْعُ القصائدُ وَأنِيْه.

وَإنْ أحبَبْتِ أن تُسَلّمي عَلَيَّ ،تَحَدَّثي قَلِيلاً وَأنْتِ وَحِيدة ،فَأكونُ في فُسْتانِكِ عُرْوَةً تُحَدِّثُكِ كالآلاتِ اللاّقِطَةِ لِمُراسِلاتِ التّلفزيون.

إجْمالاً ،أنا سارحٌ أيْنما كُنْتِ ،صَحِيْحٌ أنَّكِ تَنْسينني من وَقْتٍ لِآخر ولكِنَّني أعْلَمُ وَبكُلِّ صَراحةٍ أنَّني بَنَيْتُ قَصْراً فَوقَ قَلْبكِ المُسْتدير كَحَبَّاتِ اللّوز وَأنَّني أنْتَظِرُ أنْ لا يَنْكسِر،أنْ يَبْقى اللُّبابُ غَنِياً بمَذاقِ الغِياب!!

نص الحوار

س _بداية شاعرنا، هلاّ تتكرّم بتقريب المتلقي من معالم حياة وشخصية وتجربة تيسير حيدر الإنسان والمبدع كلاهما؟

ج _ اظن أنني تعلمتُ وأنميت طاقة الشعر من مفاتن الطبيعة الساحرة البساطة التي تجاورنا نحن أطفال الريف وتجعلنا مكللين بالأخضر ليل نهار. زيتون الروح ، السماء الزرقاء كالحب. الجبال التي تنتظر أقدامنا الطفولية لتعانق سحر أرواحنا وتلثم شذى بسماتنا المعذبة بثقل الفقر وعرق العمل المضني في زراعة التبغ في ظروف قاسية.

تعلمت في مدرسة القرية التي كانت تئن من النقص في كل متطلبات التعليم، غرف تدريس موزعة في غرف مستأجرة. بعد انتقالي إلى بيروت ومتابعة دراستي في دار المعلمين عدت إلى القرية مدرسا للأطفال. نلت اجازتين في اللغة العربية والجغرافيا ثم علّمتُ في الصفوف الثانوية.

طبعت إصداراً واحداً سنة 2014 "عشق الريف"... اتابع منذ سبع سنوات أصدقائي على صفحات الفايسبوك الذي أحدث عندي نقلة نوعية في أساليب التعبير ومواضيعه لتواصلي مع الأدباء المبدعين في كل الدول العربية.

قلبي يزهر كل يوم في هذا العالم الإفتراضي الذي اعترف بقدراتي الروحية.. ألاحق الجمال في قلوب الناس والطبيعة.. أحاول جمع نصوصي الكثيرة وإصدارها ورقيا.. أتعلق بخشبة خلاص وحيدة في هذا العالم المظلم الظالم وهي مشروع الحب .. العلم والحب والدولة المدنية والإعتراف بالآخر هي مستقبل الكون وإلا سيبقى العالم ساحة حرب.. السلام للكرة الأرضية يبتدئ من أقلام الأدباء والعلماء الطيبين ..ثورة القلب ضد الظلم!"

س _ كيف بدأت رحلة الشاعر تيسير حيدر في عالم الشعر والأدب. من أي شاعر بدأت وهل وصل شاعرنا إلى ما يريد ؟

ج _ اعتقد أنني ومنذ طفولتي أتمتع بفيض شفافية جعلتني أتأمل في معنى هذه الحياة. أجهزة استشعار قلبي متأججة. بداياتي الشعرية كانت في بداية مرحلة المراهقة حيث كتبت نصوص الحب والوجدانيات. في أودية قلبي براكين معاناة سريالية تجعلني أكتب ولا أشبع. ألاحق الماضي بنهم، وأحس بأنه حقل ساحر لمتابعة مسيرتي الشعرية بغزارة.

س _ هل للكلمات عند تيسير حيدر روائح يمكن استنشاقها بلذة يمكن طردها من أمكنة الحواس بعنف. يمكن الوثوق بها في أثناء الكتابة؟

ج _ تأسرني وتهيمن على روحي الطبيعةُ في كل الفصول بحيث أنني وعندما أتوجه للقائها كل يوم أمسي عاشقها. تتعانق حواسي وتجعلني في لذة الإبداع.

للكلمات عبير نبيذي موافق للشعر. يبدأ قلبي بقطف ذبذبات الجوار ويشوفها كلمات مزهرة كأمها الأرض. تهيمن على قلبي الصور وتغمر حواسي بلهب العشق المستعر، يرافقني هذا الشعور ويخصب روحي ويستمر البركان الروحي....

س _ لكل شاعر رسالة، ما هي رسالة الأستاذ تيسير حيدر كشاعر؟

ج _ انا إنسان محب كنهر، كزهرة، كقبلة. عشق الحياة نسغ قصائدي. لذتي بعد كتابة النص بلحظات لا توصف لجماليتها، تجعلني أحس بسعادة السلام الداخلي كحجلة ترعى أفراخها في أعالي الروح. أحب أن أرى الفرح والإعجاب من اصدقائي بنصوصي لا اكثر... حلمي أن أبدع وأروي نصوب الناس محبة.

س _ هل تحمل الجوائز والأوسمة والمهرجانات دلالة ما قد تجذب إليها مبدع دون سواه؟

ج _ انا مع كل نشاط أدبي في مجتمعاتنا العربية التي تحتاج لبذار الثقافة والأدب. أتمنى أن تكون الجوائز والأوسمة والمهرجانات لمستحقيها. كلنا نعرف اننا نعاني كثيراً من الجدب الثقافي، وأي مسار أدبي أشجعه وأشارك فيه وأبني آمالاً عليه، فالشعراء العرب اليوم يبذرون معاناتهم بإبداع وشجن فني غامر.

س _ ثمة من يعتقد باختزال عمر الشاعر في قصيدة وحيدة يتيمة، قد تجيء كباكورة للمنجز على ترامي ظلاله، وقد تتوسطه أو تذيله.. القصيدة ذات مطلع "إذا الشعب..." لأبي القاسم الشابي، مثلاً.. إلى أيّ حد يمكن تزكية هذا الطرح أو تفنيده؟

ج _اظن ان ينابيع الشعر هي الحياة اليومية للمبدع في مجتمعه وفي الكرة الأرضية المشتركة في هموم الفقر والظلم والحب والحقد والسلام، هي رافد هام للشاعر. والرافد الثاني هو الإحساس الجمالي الفني.. بناء عليه أجد أن الشاعر المبدع هو الذي يرتوي من مجمل هذه الينابيع.

القصيدة اليتيمة الساحرة الإبداع تدهشني، هي وردة، ولكن الشعر حدائق وجنات ورود في جلول جبل الروح.

س _ يقال ان بعض الشعراء يكتبون قصائدهم، وإن البعض الآخر تكتبه القصيدة، فمن أي الشعراء أنت، وكيف تولد القصيدة لديك ؟

ج _ تجذبني بداية اشتعال القصيدة وتجعلني مكبلاً، لا يد ولا رأي لي سوى الإذعان للعاشقة المشتهاة . تهيمن على روحي الأحاسيس المستعرة ويبدأ عناق الكلمات.... أضيع وأمسي في عالم ساحر كالتنويم المغناطيسي لدقائق، وعندما تشبع الكلمات عناقاً في وداعها لقلبي تطل القصيدة بزهو وتبسم لي.

س _ نرى في كتاباتكم شيئاً من السياسة. هل يستطيع الشعر أن يعبر عن قضايانا السياسية والاجتماعية ؟

ج _ الشعر كائن روحي جامع لأغصان الحياة المتشعبة الخصب، ومن الطبيعي أن يشارك الفقراء همومهم ويطمح الى بناء دولة القانون والعدالة الاجتماعية، ولكن بلمعات روحية ساحرة المجاز والصدق وليس بأسلوب سياسي مباشر.

س _ ما هي الروافد التي صنعت تجربتكم الشعرية. هل خاض شاعرنا غمار الرواية أو القصة ؟

ج _ انا حصادة شعر، ألتهمه منذ طفولتي وأتذوقه بسعادة، في المرحلة الابتدائية من التعليم كنت أستعر حباً بالنصوص في كتبي المدرسية للغة العربية وأعجب بالأناشيد المطلوبة باللغة الفرنسية... كان الشعر يغذي روحي بشحنات السعادة في محيط جاف الحب.

س _ ماذا عن كتاباتكم الشعرية. هل صدرت لكم أية منشورات يمكن أن نتعرف عليها؟

ج _ عندي إصدار واحد وهو بعنوان "عشقى الريف" وقعته منذ سبع سنوات.. إجمالاً أنا أعيش مع الجمال والفن بمتابعة ألوف الشعراء العرب المبدعين على صفحات العالم الإفتراضي والتفاعل معهم وهذا يرضي روحي.

س _ هل لنا أن نتعرف إلى مجموعة من قصائدكم؟

ج _ لَذَّةُ الخلود..

يحبو الصباح

ينتظرُ الرَّضعةَ الأولى

الشمسُ تتمهَّلُ في تنميةِ ثديها

تُدفئُ القلب

ترفرفُ بجناحيها الهائلين شفافية

تتهادى في الأفق الأخضر

تُبهجُ الروح

تبسم

تتأجَّجُ

تُباهي الكونَ بنهم عشقها للكائنات وترضعُ المساءَ بشوق لذَّةِ الخلود..

....

في غَابَةِ السِّنديان!

أنا الآنَ في عَراءِ الرُّوحِ، يَضُمُّني السِّنديانُ الحَمِيمُ !

لا صَهيْلَ خَيْل، لا دَوَاعِش، لا احْتلال، الحُرِّيَّةُ في قَلْبي والتِّلال !

حَنِيْنٌ حَولي !

الأشْجارُ قَابلَةٌ لِلْحُبِّ، الأحْجارُ تَهْمِسُ وتَتَواطَأُ على إسْعادي لِلْمُكوثِ والإسْتِقرارِ في حُضْنِها!

الأعْشابُ البَرِّيَّةُ الجَافَّةُ تُغَرِّدُ السَّعادَةَ !

أنا حَمَلٌ ،طَائرٌ، سَمَكَةٌ مُلَوَّنَة، أنامِلُ أطْفالٍ يُغَنُّون !

لا مَجَالَ لِلْهَمِّ، لَنْ أُضَيِّعَ وَقْتي في القَسْفَةِ، فَأنا في الثَّغْرِ الحَمِيمِ، أرْشفُ الشَّوْقَ !

النَّايُ يَنْقصُني لِأغَنِّي، لَكِنَّ شَغَفي لِلْغابَةِ يُمْطِرُني أنْغاماً، أوركِسْترا الفَرَح !

عَالَمي جُذوعُ أشْجارٍ وَأغْصانٌ وَارِفَةُ الدُّنُوِّ إلى قَلْبي !

لَنْ أسْمَحَ لِلْماضي، لِلْحاضِر، لِلْمُسْتَقْبَل أن يَسْتَغِلَّني، أنْ يَزْرعَ في خَلاياي مَفَاهِيْمَهُ !

أنا أتُوْقُ إلى أوْراق الأشْجار، أُقَبِّلُها ولْيَفْعَل العَالَمُ ما يَشَاءُ !!

النَّشْوَةُ غُيومٌ تُمْطِرُ في قَلْبي!!!!

....

غُرفةُ جَدّي..

مُتْرعةٌ بعَبَق مُنْهمِر ..ماضٍ يَسِيلُ كَنهر جَوفِيٍّ يَنْبجِسُ في اللَّحظَةِ الحَمِيمةِ لِلرُّوح..

جَدَّتي تَرتقُ مَنْدِيلَها وجَدّي يُهَيِّئُ الحَليبَ النَّاشِفَ لِلقطَط.

زَمنُهُما حدِيقةٌ تُزَيِّنُ جَمالَها بالدَّواري فقط.

إبْريقُ الشَّاي أسْمرُ كَغَيمةٍ ماطِرة والنَّحْلُ العاشِقُ يُلاحِقُ حَبَّاتِ السُّكَّر المُنتشِرةِ بفَوضىً فوق حَصِيرة والِهة بأرض الغُرفة.

جَدّي يَصْرخُ في ارْتِشافِ الشَّاي باسْتمتاع وجَدَّتي تَتَسلَّى بخِيطانٍ تحيكُ بها عُشَّ العُمرِ الذي شارَفَ على خَرِيْفِهِ!!..

حوار مع الشاعرة والكاتبة الكردية

هيفي قجو

أجرى الحوار: نصر محمد

في إطار سلسلة الحوارات التي أقوم بها بقصد إتاحة الفرصة أمام المهتمين بالشأن الثقافي والإبداعي والكتابة الأدبية بشكل عام و الذين يعانون من ضآلة المعلومات الشخصية عن أصحاب الإبداعات الثقافية. لذلك فان الحوار معهم يتيح للجميع التعرف عليهم عن قرب.

وأديبتنا اليوم تحمل لنا من معاني الجمال اسماً ومضموناً. جميلة جداً في أشعارها وقصصها القصيرة جداً. شخصيتها متزنة ورزينة، الحديث معها ممتع وشيق. كلماتها منتقاة بروعة ودقة وعذوبة متناهية. تسحرك وتأسرك بأدبها ولطفها وتواضعها. إنها الشاعرة والقاصة الكردية السورية هيفي قجو ضيفتنا وضيفتكم لهذا اليوم.

ـ هيفي قجو من مواليد بلدة عامودا، سوريا.

ـ أكملت تعليمها الإبتدائي والإعدادي والثانوي في بلدة عامودا.

ـ سجّلت في جامعة الفرات ـ فرع الحقوق بدير الزور.

ـ عملت معلمة روضة على مدار سنتين في إحدى رياض الأطفال بعامودا

ـ عملت مذيعة ومعدة برامج في إذاعة ARTA fm

ـ عملت مدرّبة في مؤسسة بدائل لتنمية القدرات البشرية .

الأعمال الأدبية:

1ـ (بعد آخر: هوامش سردية، قصص قصيرة)، مجموعة قصصية من إصدارات دار فضاءات، عمان/ الأردن ـ 2019.

2ـ (أصابع العازف أو كصوت ناي بعيد)، هوامش سردية، من إصدارات دار النابغة، طنطا/ مصر، 2020.

3ـ (أدراج عالية... جهات عمياء) سرديات قيد الطباعة في دار النابغة، طنطا/ مصر، 2021

4 ـ مجموعتان شعريتان قيد الطباعة.

تقيم في برلين، ألمانيا.

سردية

تأمّلٌ عميقٌ وملابس بيضاء !

كان ثمّة احتفالٌ بمناسبة كردية وكانت هناك فرقةٌ موسيقيةٌ ومغن "دَنْكْ بَيْجْ" في المشهد. هطلتْ، على حين، غرّة علينا خالتي بثيابِ كرديّةٍ، إذ منحتها شكل حمامة تماماً! ما إن حطّتْ خالتي على الأرض حتّى حَاذتِ المغنّي الضّاجّ بالحركةِ وشرعتْ تغنّي معه. في هذه الهنيهات أقبلتْ بناتُ عمي وقد تزيّنَ بثيابِ كرديةٍ جميلةٍ، ودخلن في رقصةٍ انتابها الجنون والأصوات.

أما أنا فكنتُ واقفةً في زاوية ما من هذا المشهد، أُتابعُ الجالسين في الطَّرفِ المقابلِ لي، فجأة لمحت خالتي المتوفاة حديثاً! والغريبُ أيضاً أنَّ ابنَ خالي الكبير الذي ظلّ عازباً كان ينظر إلى الأرض في تأمل عميق، لكنني لم أتفاجأ في هذا الوقتِ بقدومِ والدي الذي همّ بالجلوس على الأرضِ لكنّ والدتي منعتْهُ وطلبتْ منه أن يغيّرَ جلابيتَهُ فانصاعَ لطلبها، فإذ به يَقْبلُ بملابسَ بيضاءَ مطرزةً بخيوط ذهبية وأخذ مكانَ ابن خالي تماماً، الذي خَرج وكأنه لُسِعَ من حركة أبي فاختفى من أمام نظري! كان أبي ينصتُ للأغاني الكرديّةَ برغبةٍ جارفةٍ لكن ثمة شيئاً أخذ اهتمامي؛ فالغرفةُ المجاورةُ لي، المفتوحةُ على سماءِ الليلِ، شرعتْ أرضيتها تمتلىء بماءٍ يتسرّبُ من صنبور معطل، حاولت وأختي الصغرى إصلاحه ولكن دون جدوى، كان ثمة طوفان... حين استيقظتُ، كنتُ أشهقُ في بحيرةِ عرقٍ!!...

نص الحوار

س ـ بداية أرحب بك وأود أن تصممي بطاقة شخصية تخصك .وتضعي فيها ماتحبين ان يعرف عنك القراء؟

ج ـ هيفي قجو: من مواليد مدينة عامودا.. من عامودا من عالم الجنون وجمرة الإبداع... مقيمة حالياً في مدينة برلين ألمانيا.

سجلت في جامعة الفرات فرع دراسات قانونية لكن للأسف لم أحصل على الشهادة لظروف قاهرة. لكنني عملت مربية في إحدى رياض الأطفال التابعة لإحدى مدارس عامودا ثم عملت في إذاعة آرتا مقدّمة ومعدة برامج وتقارير. وعملت في مؤسسة بدائل لتنمية القدرات البشرية كمدربة لمنظمات المجتمع المدني. الآن أتابع الدراسة في معهد مختص برياض الأطفال في برلين وأود أن أتخرج منه على أمل أن أعمل لاحقاً في إحدى رياض الأطفال هنا. أمتحن خيالي في كتابة نوع أدبي يمزج بين الشعر والسرد. كذلك أنقل خيالي من السرد إلى الشعر الخالص. حتى الآن لديّ مجموعتان قصصيتان، الأولى بعنوان "بعد آخر: هوامش سردية/ قصص قصيرة" صادرة عن دار فضاءات عمان، علم 2019. زالثانية "أصابع العازف أو كصوت ناي بعيد!" هوامش سردية"، صادرة عن دار النابغة طنطا، 2020. ولاحقاً سترى شهقتي الثالثة النور في الأيام القليلة القادمة أي في العام الجديد وهي سرديات بعنوان " أدراج عالية... جهات عمياء" قيد الإصدار أيضاً عن دار النابغة للإبداع طنطا مصر. وأخيراً لدي مجموعتان شعريتان، قيد الطباعة أعتقد أنهما ستطبعان أيضاً في العام الجديد.

س ـ هيفي قجو تكتبين الشعر والقصة القصيرة جدا . كيف لك الجمع بين فنون أدبية لكل منها أدواته التعبيرية المختلفة عن الأخرى ؟

ج ـ حقيقة لا أرى أي صعوبة في الجمع بين كتابة القصة القصيرة جداً والشعر، أكتب السرد شعراً كما وأكتب الشعر سرداً في أغلب الأحيان. ومن يلاحظ كتابتي بإمكانه أن يكتشف أنني أحاول المزج بين الفنين حتى أعطي للنص بعداً فنياً باذخاً من خلال الصور الشعرية والاستعارات التي تسافر بالقارئ إلى عوالم حالمة.

س ـ كيف جاءت هيفي قجو إلى عالم القصة القصيرة جدا ؟ هل الأمر يتعلق بشكل من أشكال التجريب الابداعي بحثا عن الذات ؟ ام هو بداية الطلاق مع عالم الشعر ؟ ومن شجعك على كتابة القصة القصيرة جدا؟

ج ـ هنا لابد لي أن أذكر أن مجموعتي الشعرية الأولى" باكورة أعمالي" كانت جاهزة للطباعة وكنت أبحث عن دار لطباعتها لكن في إحدى الأمسيات وبينما كنت وصديقي العزيز القاص والفنان التشكيلي "عامر فرسو" نتحدث عن أمور الكتابة سألني: لم لا تكتبين القصة القصيرة؟ خصوصاً وأنت تملكين موهبة الكتابة ولديك دوماً الفكرة وباستطاعتك الإحاطة بها...! اتركي أمر الشعر الآن. راق لي الأمر وبدأت بكتابة القصة القصيرة والقصة القصيرة جداً والتي أسميتها لاحقاً بـ"هوامش سردية" الاسم الذي اقترحه الدكتور الناقد خالد حسين الذي اهتم مشكوراً بما أكتبه وساعدني في تطوير أدواتي الكتابية وصحّح مساري نحو الكتابة الجادة والحقُّ يُقال أنني أعتبره مَنْ طوّر موهبتي في الكتابة الأدبية ودلّني على تقنيات الكتابة وعملية بناء الجملة والخاتمة وكيفية الخروج من النمطية التي تقيّد ق. ق. ج وأنا أعود إليه دائماً وأبداً. لا أعتقد أنه من الممكن أن أترك كتابة الشعر فكما أسلفت سابقاً كتاباتي تُحاك على مبدأ المزج بين الفنين ولا أجد اختلافاً بينهما فكلاهما يكملان بعضهما البعض.

س ـ عندما نتحدث عن فن كتابة القصة القصيرة ربما يقع الكاتب في متاهات وتخبط الإبتعاد كليا عن أساس المادة القصصية الناجحة. بإعتبار ان المحادثة والحوار اليومي بين الناس تعتبر جزء فني في القصة. هل للكاتبة هيفي قجو رأي آخر؟

ج_ ذلك البياض(الصفحة البيضاء) الذي يواجهني حين أُدوّن كلماتي الأولى يعتبر متاهة أضيع في ثناياها لكن أضيع شغفاً فيها وليس تخبطاً. أحاول أن أعثر على هيفي في تلك الزوايا المعتمة كما أن التجارب التي أسمعها أو أراها، سواء أكانت تجاربي الشخصية أم تجارب الغير فهي تعدُّ بالنسة لي مادةً دسمةً أستشفُّ منها موضوعات قصصي.

س ـ يقول الشيطان ل "فاوست" انتبه .. ان أخطر ما صنع الإنسان هو الكلمات/ ما مدى صحة هذه المقولة. ولتكن البداية من مجموعتك القصصية "بعد آخر" التي صدرت مؤخراً ؟

ج ـ للعلم فإن مجموعتي الأولى (بعد آخر) صدرت عام 2019 وكما تعلمون فجائحة كورونا لم تترك لنا مجالاً لإعلان صدورها سواءٌ بحفل توقيع أم بتسليط الضوء عليها إعلامياً. طبعاً هي باكورة أعمالي. بالنسبة لمقولة فاوست: نعم الكلمات خطيرة جداً وهنا يأتي دور الكاتبة (أو الكاتب) البارعة التي تسخر الكلمات لخدمة قضايا مجتمعها لتترك أثراً وبصمةً في هذا المجتمع يُرجع إليها دوماً للاستشهاد بها كتجربة في قراءة الواقع.

س ـ من سيقرأ مجموعتيك القصصيتين "بعد آخر" و "أصابع العازف" سيجد بأنك تطاردين الكينونة الكردية وأيضاً سيجد حضوراً قوياً للانثى. لو تحدثينا بإيجاز عن مضمون هذين المجموعتين. وهل تحتاج القصص دائماً لحضور الأنثى؟

ج ـ كما نوّهت فإنّ مجموعتي (بعد آخر) صدرت عام 2019 ومجموعتي الثانية "أصابع العازف أو كصوت ناي بعيد!" صدرت عام 2020 أي مجموعة كل عام تقريباً. نعم أطارد كينونتي الكردية المقموعة وأجعلها رفقة القول والتجلي والظهور من خلال كتاباتي الأدبية لأنني أرى أن الخطاب الأدبي هو عالم الكينونة حتى تتكلم، كما أقرأ لدى بعض الكتّاب. ويبدو ذلك جلياً في المجموعة الأولى فهناك حضور قوي للأنثى الكردية، حاولت أن أترجم معاناة المرأة بشكل عام والمرأة الكردية بشكل خاص من خلال التطرق إلى مواضيع الختان، الإرث، المرأة في المهجر، المرأة في المعتقل، أم الشهيد..إلخ. الأمر الذي أدى في النهاية إلى هيمنة موضوعة الأنثى على العمل برمته. إنّ التدقيق في لوحة الغلاف سيكشف للوهلة الأولى للقارئ عن سيطرة هذا الموضوع. طبعاً هنا قمت بمخاطرة فقد مزجتُ بين القصة القصيرة المتعارف عليها والهوامش السردية في هذا العمل بنصيحة من د. خالد حسين .

أما المجموعة الثانية "أصابع العازف أو كصوت ناي بعيد!" بحسب رؤيتي أرى أن هناك مزجاً أكثر قوةً بين الأسلوبين الشعري والسردي، وهذا ما ساعدني على الخروج من النمطية المعتادة للقصة القصيرة جداً والتحليق بها عالياً في فضاءات الخيال كما أزعم حيث لا قيود تربطك ههنا بل حقول شاسعة على مد البصر تقطف منها ما تشاء وتهديها لمن تشاء.

في القصص كما في أي فن من فنون الأدب والحياة حضور المرأة يفترض أن يكون باذخاً فالحياة هبة لكلا الجنسين وهي ضرب من التشارك والتفاعل لبناء الجمال ولا تكتمل هذه الحياة إلا بهما.

س ـ الكاتبة المبدعة هيفي قجو دعيني الآن أقف عند مجموعتك القصصية التي سترى النور قريباً "أدراج عالية" وهي قصص قصيرة جداً. هل تختلف هذه المجموعة عن المجموعتين السابقتين. لو تحدثينا بإيجاز عن مضمون هذه المجموعة ؟

ج ـ"أدراج عالية... جهات عمياء" شهقتي الثالثة في عالم السرد القصير جداً سترى النور قريباً وهي قيد الطباعة في دار النابغة طنطا/مصر. حاولت وعبر الأبواب الأربعة من امتحان القصة القصيرة جداً في موضوعات متنوعة. هنا لا بد من لفت الانتباه إلى صياغة التاريخ الكردي الحديث بصور أدبية وصياغات شعرية من شأنها أن تفتح القصة القصيرة جداً على مناخات جديدة من الهامش الكردي. فقد حاولت أن اتقمّص شخصيات كردية كان لها أثر هائل في استمرار الكينونة الكردية؛ لأجعلها تظهر في تلك اللحظات التي كانت فيها. ولذلك سيجد القارئ/ة شخصيات كردية متنوعة" فنية، ثقافية، عسكرية وقوات شعبية" تجتمع كل هذه الصياغات أو الشخصيات في الكشف عن المسكوت عنه في هذا الهامش الذي هُمّشَ لفترات طويلة من التاريخ. لذلك أرى أن هذه المجموعة هي قرينة لمجموعة أصابع العازف من حيث المستوى الفني.

س _ الروائي والكاتب مازن عرفة ومن خلال قراءته لمجموعتيك يقول هيفي قجو أنت بعض من حكايتنا، ضد البوط العسكري والسيف الإسلامي فكيف وأنت تحملين رائحة الحرية من جبال كردستان، تشمخين بها امرأة حرة... ما تعليقك؟

ج _ من هنا ومن منبركم هذا أتوجه للروائي الأستاذ مازن عرفة بأحرّ التحيات والاحترام والتقدير وما قاله بحقي يستحقُّ التثمين والتقدير. هنا لا بد من الإشارة إلى أن قصة "حافة النهوض" تلخص معاناة المرأة السورية في المعتقلات والعذاب والإهانة والذل الذي تلاقيه على يد أدوات النظام. كما وتحضرني قصة الفتاة التي تنتشي برؤية جسدها الأنثوي ليقاطع خيالها أزيز الرصاص وتذهب محتضنة بندقيتها لتدافع عن أرضها.

س _ يشهد المشهد الأدبي في الآونة الأخيرة موجة كتابة الرواية. فهل تفكر هيفي قجو أن تدخل المعترك الروائي بعيد عن عالم القصة القصيرة جداً ؟

ج _ بدأت بالشعر وأعتقد أنني تمكنت من كتابة القصة القصيرة جداً التي تندرج في سياق اسم "سرديات" أو "هوامش سردية". ما الضير من التطور لاحقاً والتوجه نحو كتابة الرواية فبرأيي أن كل فنون الكتابة تكمل بعضها بعضاً من يمتلك موهبة الكتابة يحق له/لها التعمق في حقول الكتابة كافة ليقرر فيما بعد أي حقل سيمتحن فيه خياله ويحقق النجاح فيه، كتابة الرواية ليست حكراً على فئة بعينيها لكنها متاحة للجميع. أظن ثمة مشروع سردي طويل ينضج على نار هادئة.

س _ تبقى رائحة الوطن معشعشة في نفس الأديب أينما ذهب .كيف ترى هيفي قجو وطنها وهو يمر بمرحلة تعتبر الاقسى عبر التاريخ ؟

ج _لا أبالغ إذا أخبرتكم أنني ومنذ خمس سنوات وأنا أحلم أنني في الوطن وبين أهلي وأصدقائي. مرات ومرات أحلم بذلك وربما هذا ما دفعني إلى الكتابة طوال الوقت ربما إفراغ لما يدور في خلدي من مشاعر وأحاسيس حنين واشتياق لتلك البقعة هناك حيث أمست ساحة للاقتتال وتصريف السلاح وتبادل المكتسبات على حساب الشعب المسكين الذي بات لا حول له ولا قوة ...

أرواح صعدت نحو فضاءات الغياب. القربان كان فائضاً عن الحد..

ربما قرار الهجرة من تلك البقعة لم يكن بيدي لكني أذعنت له وتركت خلفي جذوري التي امتدت عميقاً في تلك الأرض تركت كل من أحبوني وكانوا سبباً في وجودي. وهاأنا وبعد خمس سنوات لا زلت أتألم لفراقهم،

النصل غائر في الخاصرة بعلو الصرخة .

السحاب الجريح مازال يذرف دموع القهر في سهول بلادي

لا أثر لخصلات الضوء

فقد خيمت العتمة هناك....

س _ دور الكاتبات الكرديات في الساحة الأدبية ومن ضمنهن ضيفتي هيفي قجو . هل وصلن إلى ما تطمحن إليه ام ان مشاركتهن مازالت في بدايتها؟ والمرأة الكردية هل نالت حقوقها .ام انها مازالت تعاني وينقصها الكثير ؟

ج _تحياتي لكل امرأة سواء كانت كاتبة أو تمتهن شيئاً آخر أو لا تمتهن شيئاً فكون الانسان امرأة نعمة رائعة. انظروا حولكم وستكتشفون لولا المرأة لما كان كل هذا الجمال الذي نشعر به ونراه.!!! المرأة هي الأرض التي يجد فيها الرجل كينونته لذا فهما يكملان بعضهما الآخر.

بالنسبة للكاتبات الكرديات وأنا من ضمنهن أعتقد أننا ننتظر الاستجابات النقدية التي يمكنها وحدها أن تكشف عن طبيعة كتاباتنا بنية وأسلوباً ونضجاً. وفي حال عدم وجود نقد لما نكتبه هناك كتابات كثيرة قد لا تصل إلى المستوى المطلوب لكنها تنال شهرة لا تستحقها في حين ثمة كتابات جديرة بالقراءة والوقوف عليها والسبب هنا الشللية التي تحفل بها الأوساط الكردية في مجال القراءة النقدية. أما بالنسبة لنيلهن لحقوقهن أرى أن أكثرية النساء الكرديات ما زلن يخضعن لوطأة الكثير من العادات والتقاليد البالية وأكثرهن للأسف لسن على وعي بحقوقهن ولا على دراية بها ويرينَ أي تغير في حياتهن على الرغم من حسناته وبالاً يهدد عالمهن! وفي الوقت نفسه هناك نساء اجتزن مراحل عظيمة في حياتهن وأصبحن يرسمن حياتهن كما يرغبن. ما يلزمنا هنا ثورة فكرية اجتماعية هدفها تغيير المبادئ والقيم البالية التي تحدُّ من تطور المرأة والعمل على تمكين المرأة ومساواتها مع الرجل في كل شيء بدءاً من قانون الأحوال الشخصية الذي يلغي المرأة وحتى إلى ما لا نهاية.

س _ العديد من الكتاب والشعراء الكرد يمارسون الكتابة باللغة العربية وليس الكردية وانت واحدة منهم . هل تشعرون باغتراب عن اللغة الكردية الأم ؟ ام اللغة العربية هي نافذة يعبر بها الكاتب الكردي عن مشاعره وكينونته الكردية؟

ج _المسألة تحتاج إلى الكثير من الإحاطة التاريخية والنقدية فكما تعلمون اللغة الكردية تعرضت إل نوع من الإبادة في ظل نظام البعث وهذا ما أدى إلى اقتصار الكرد على الأداء الشفوي للغة الكردية وأنا من هؤلاء الكرد الذين/اللواتي لم يستطيعوا/ن أن يكتبوا/ن بلغتهم/ن الأم ولذلك لم يكن أمامي سوى التموضع في إطار اللغة المهيمنة أي اللغة العربية لغة السلطة ولغة الأكثرية لكي أعبر بها عن رؤيتي للعالم. ولا بد لي أن أوضح أن العربية المستخدمة لدى الكتاب والكاتبات الكرد تخضع إلى نوع من التدوير بمعنى هذه اللغة السائدة تغدو لغة ثانية تضج بالهسهسة الكردية / مشاعر، هواجس، إرهاصات/ بناءً على ذلك انخرطت مثل بقية الكتاب والكاتبات الكرد في سياق العربية لكي أطارد كينونتي الكردية.

س _ تتميز كتابات المثقفين الكرد عموماً برصد واقع المعاناة والطموح الكبير. ما رأيك بذلك باعتبارك كاتبة كردية سورية ؟

ج _ الكرد يعيشون على أرضهم التاريخية لكنهم لا يشعرون بانتمائهم لهذه الأرض ولا ينعمون بخيراتها وذلك بسبب السياسات العنصرية التي مورست بحقهم لذلك نلاحظ أن الموضوع الحاضر الغائب لدى المثقفين والمثقفات الكرد هو المعاناة من هذه السياسات بحقهم/ن ولا يوفرون /توفرن جهداً في ترجمتها من خلال الشعر، القصة أو الرواية ويطمحون/تطمحن بمستقبل أفضل للأجيال التي ستأتي لاحقاً، لكن للأسف لا آذان صاغية فالقادة السياسيون عزلوا المثقف/ة عن الحياة وأمسوا يقررون عنهم/ن وعن الشعب في كل الأمور.

س _ كلمات تتردد كثيراً على مسامعنا. قد يختلف صداها من شخص إلى آخر. بالنسبة إلى الكاتبة هيفي قجو ما وقع هذه الكلمات عليها، وكيف تعبر عنها.. الحرب.. الوطن.. الغربة ؟

ج _ الحرب: خروج عن المعايير الإنسانية، الحرب هي الفوضى والعتمة والعدمية.

الوطن: إذا كان المقصود البقعة التي ولدت وترعرعت فيها فأنا في اشتياق دائم ومتواصل لها وكما تعلمون المكان الأول يحفر آثاره دائماً في الإنسان، وإذا كان المقصود بالمعنى السياسي فقد أمسى الوطن كذبة !

الغربة: الغريب أعمى حيث يقول المثل الكردي، الغريب عينه مكسورة على الرغم من أننا نعيش في مجتمع ديمقراطي أعطانا الكثير لكن دوماً أشعر بعدم الانتماء، الكردي لا يهنأ أبداً لا في الداخل ولا في الخارج.

س _ ما هي مقومات الاستمرارية للمرأة المثقفة كي تستمر في أداء رسالتها الاجتماعية وخاصة اذا كانت مبدعة وكاتبة ؟

ج _ النضوج الفكري الاجتماعي يلعب دوراً مهماً في استمرارية المرأة المثقفة في أداء رسالتها الاجتماعية ويشكل وعيها في سياق القضايا الاجتماعية والجندرية وهو فارقٌ يعول عليه ويميزها عن غيرها عن النساء اللواتي يدّعين الثقافة.

س _ هيفي قجو تعيش في برلين. ماذا فعلت الغربة في وجدانها الإبداعي ؟

ج _ نعم أعيش حالياً في برلين وربما وجودي في أي بقعة بعيدة عن الوطن سواء كانت أوربا أو غيرها كان سيؤدي بي إلى ما أنا بصدده الآن، فالشوق إلى الوطن والأهل والمعاناة التي يعانيها أهلنا هناك وعدم الأمان والأوضاع المعيشية المنهكة وهموم اللاجئين هنا في الغربة جعلني أعقد قراناً مع البياض وأخط عليه هذه الآلام والأوجاع وأصوغها بأسلوب عسى ينال إعجاب القراء.

س _ ما هي احلام وطموحات الكاتبة هيفي قجو التي تتمنى تحقيقها. وكذلك ما هي طموحات المرأة الكردية بشكل عام التي تتمنى أن تحققها لنفسها ؟

ج _ أحلامي هي أن يعمّ السلام في الكون وتنتهي كل الحروب على هذه الأرض ويكون النصر للقيم الإنسانية النبيلة ولا ننسى هنا مساواة المرأة بالرجل في كل أمور الحياة. وقبل كل ذلك أتمنى للبشرية أن تنتصر على جائحة كورونا. بالإضافة إلى أحلامي الخاصة والتي تتعلق بإنجاز نصوص أدبية مهمة وناضجة فنياً.

وفي نهاية هذا الحوار:

أتقدم بجزيل الشكر إلى الشاعرة والكاتبة المبدعة هيفي قجو لقد كنت صديقتنا الأقرب. عرفناك اكثر وأحببناك أكثر...

شكراً لروعتك ولمجهودك ولاتساع صدرك.

الشكر الجزيل لك صديقي العزيز نصر على هذه الاستضافة وأنا ممتنة لك على هذه الأسئلة، عام سعيد وتحية للجميع.

تتمــة :

حوار مع الشاعر اللبناني تيسير حيدر

في يومِ الشِّعْرِ العالَمي...

أعرفُ أنَّكَ قَميصي الذي يُشْعرني بِدِفء القلبِ حتَى الإحْتراق أحيانا..

أعرفُ أنَّكَ تؤلمني لشَفافيَّةِ أوتاركَ وأنَّكَ تَتَذوَّقُ رَهفَ النَّحل والوَرْدِ، تُتابِعُ بتَلَصُّص ملِكةَ النَّحْلِ واليَعْسوب، تقومُ بعَمَلِيَّاتِ اسْتِشْهادِيَّةٍ وَهْمِيَّةٍ على حدودِ القريَّةِ مع المُحْتلّ وتعودُ بعدها بقصيدةٍ فاتِنةِ الإنْتصار...

تُلامِسُ تَناييرَ الجميلاتِ عن بُعْدٍ وتُلَوِّنُها عيناكَ عِشْقا..

تَرتمي بجانبِ حدائق الشُّهداءِ وتُعفِّرُ قلبَكَ وأناملَكَ بمُتابعةِ حكاياتِ ومراثي أحِبَّائهم..

لا تنامُ إلاَّ والعالَمُ والكُرةُ الأرضِيَّةُ تفوقُ سُرعةُ حركَتِها سُرعةَ تِدفُّقِ دَمِكَ بين الصُّخورِ والأشْواك..

تَتَذَكَّرُ الخادِماتِ الأجنبيَّاتِ في المنازل اللَّواتي قُتِلنَ أو انْتحَرْنَ بعيداً عن بسماتِ وهموعِ أطفالِهِنَّ الشَّارِدة..

أعرفُ أنَّكَ تلومُني _أيُّها الشِّعرُ _لِأنَّ في جُعْبتي أكثرَمن ديوانين مُهْملين كأوراق الوَردِ الجافَّةِ من حبيبة مَجهولة غَنَّتْ لها فيروز وسَرَدَتْ قِصَّتَها أملي نصرالله ومات جُبرانُ وهو يَتألَّمُ مُتيَّماً بها..

أعرفُ كُلَ شيءٍ عَنكَ أيُّها المُلتهبُ كالبراكين ولكِنَّكَ في قلبي جذْوةُ عِشْقٍ، أقْبَلُها كيفما كانتْ لِأنَّ حياةَ الشُّعراءِ كُتلةُ لَهَبٍ وحُبٍّ!!

... .

التُّفَّاحُ الفَذُّ.

كيف أطهو الشِّعْرَ العالَميَّ وأجعله كدِبْس البندورةِ الذي كانت جدَّتي تلهبهُ بحطَبِ الرُّوح؟!

كيف أحصلُ على عسلِ الشِّعر والنثر كقُفران النحلِ التي كان والدي يصنعها من خشبِ الصَّبر لِنَلحسَها بشهيَّةِ الخُلود؟!

كيف أحصلُ على دواوين شعراءِ العالَم كما كنتُ أسْطو على بستان التُّفاح في جوار قريتي يوم كنتُ أنقلُ الماءَ لِزراعةِ التَّبغ في الأوعية المعدنية لمسافةِ خمسةِ كيلومتراتٍ فوق ظَهرِ الدَّابَّةِ ؟!

وأنا لا أزالُ حتى هذه اللحظةِ أتَحسَّرُ على مذاقِ ذاك التُّفاحِ الفَذّ!!

س _ كلهم يكتبون للحب معه وعليه. ماذا يكتب الأستاذ تيسير حيدر وماذا كتب للحب. هل يستطيع الشاعر أن يكتب الحب بصدق ؟

ج _ مَجاز..

وأنتَ تَفرطُ حَبَّاتِ الرُّمَّان،أناملُكَ تتَلَعثمُ من شَغَف. يَبسمُ لكَ بَريقُ سائلِها الزَّهْرِيِّ بفَرَح.

تَنْتشرُ وتَتَفرَّقُ برَقْصٍ ماتِعٍ فوق طاولةِ طَعامِك كطيور الحَجل بمناقِيرها المُحَلاَّةِ بفَنِّ الجَذْب. أطِلْ مُدَّةَ استْمتاعِكَ،أدْخِلِ المَجازَ المُعانقَ لِلرُّوح وتَذَكَّر النَّهْدَ الذي تُحِبّ،تَدَرَّبْ على لَذَّةِ الإمْتاع واخْفضْ هَمْسَ بَنانِك لَعَلَّ قُربَكَ _في البُستانِ_أشْجاراً تَسْترقُ السَّمْعَ،اخْفضْ هَمْسَ بَنانِك!!

س _ برأيكم هل تنصف الدولة اللبنانية ومؤسساتها المعنية الشاعر والكاتب اللبناني؟ وهل من كيانات أو أطر تجمع الشعراء والكتاب اللبنانيين ؟

ج _ الشاعر في لبنان يبني صرح قصائده بنهم قلبه للحرية والإبداع والحب والسلام والدولة آخر من يهتم. في المدن يلجأ الشعراء والكتاب الى كيانات أدبية، أما في الريف فالوضع قاحل.

س _أتاح فضاء النّت إمكانية النشر الحر، بعيداً، سواء عن مبدأ اللاغائية والعبثية التي تنتهجها منابر إعلامية كثيرة، تعوزها الخبرة والدراية في تقييم وفرز الصالح من الطالح، فهي تشرع الباب على مصراعيه لمن هب ودب في مجال الإبداع عموماً، تحشو كل ما يعرض عليها، يهمها تأثيث صفحاتها فقط، وأخرى وإن متخصصة تقع فريسة لخيوط سمّ الاصطفافية والاكتفاء بأسماء القديمين وإقصاء الأصوات المبتدئة مهما بدت جودتها وجديتها وحدة زوايا معالجتها للراهن.. هل للنص الرقمي معايير يجدر بالواعدين مراعاتها؟

ج _ فضاء النت واسع للإبداع واللغث من الكتابة. الأديب هو الذي يرسم ويلون مستقبله بجهده وثقته في ما يبدع.

العالم العربي في ضياع روحي، وعلى الأدب أن يخوض في لجة الصراع بمهارة وإخلاص للنجاة وزرع بذور المستقبل المزهر.

بدل رفو ... عاشق مصر يتحدث لمصر!

- (مصر أم الدنيا) تحتل عندي مكانة كبيرة جداً وحب شديد!
- لا أبالغ حينما أقول إن الثقافة المصرية والفن المصري هم من شكلوا وجداننا وأرضيتنا الثقافية ونحن في عمر الزهور!

عبد العزيز الشرقاوي*

بدل رفو وعبدالعزيز الشرقاوي على جبل القصر في غراتس

كثيرون جداً من هاموا عشقاً في حب المحروسة سواء كانوا عرباً أو أجانب علي حدٍ سواء، وأطلقوا عليها عدة أسماء وصفات منها: أم الدنيا، الأرض الطيبة، أرض الكنانة، هبةالنيل،، اللؤلؤة السمراء.

كل شخص يطلق عليها ما يشاء من أوصاف ومسميات على حسب ما تتوافق فكرته الذهنية عنها، ولكن صديقي (ضيفنا اليوم) أضاف بُعداً آخر لهذا الأوصاف والأسماء بعدما إستضافته إحدى القنوات الفضائية الكردية، وسألوه عن أي شعب تأثر به فأجاب بدل رفو (الرحّال، والشاعر، والمترجم، والصحفي، والأديب الذي يحمل الجنسية النمساوية ومن أصول كردية عراقية) بصورة سريعة وبلا أدني تفكير أو تردد بأن الشعب المصري هو أكثر شعوب الأرض حباً لوطنه، مما أثار حفيظة ودهشة المذيعة التي سألته لأنها كانت تنتظر أن يقول كلمة في حق شعبه ولكنه فاجأها بهذا الرد المباغت والصريح.

بانوراما للاهرامات

يأتي هذا السؤال عن عادات وسلوكيات الشعوب لأن "بدل رفو" من أشهر شعراء المهجر الكورد وأشهر رحاليهم في العصر الحديث ويطلقون عليه ـ إبن بطوطة الكردي ـ نظراً لتعدد سفرياته ورحلاته التي شملت أكثر من 30 دولة حول العالم، منها: الهند وكازاخستان والمكسيك وتركيا، ومعظم دول أوروبا، فكوّن حصيلة معتبرة عن الشعوب المختلفة وعن ثقافتها وعاداتها، وتقاليدها وطبائعها ونظرتها للحياة بصفة عامة وللعالم بصفة خاصة. لذا تتهافت عليه الجامعات المختلفة والنوادي والروابط الأدبية وكليات الآداب خصوصاً أقسام علم الإجتماع وعلم الإنسان لكي يثري طلبة هذه الكليات بثرائه الفكري والإنساني الكبير الذي كونهما من خلال سفرياته ورحلاته العديدة حول العالم.

وبالرغم من تعدد المدن والدول التي يحبها وخاصة مدينة شفشاون المغربية التي يحبها نظراً لقرب تضاريسها من تضاريس مدينته الموصل في الشمال العراقي. وبالرغم من حبه الشديد لهذه المدينة المغربية الجميلة، ولكن (مصر أم الدنيا) تحتل عنده مكانة كبيرة جداً وحب شديد، فلم يبالغ حينما يقول أننا تربينا كأجيال متتابعة علي أيدي الثقافة والفن المصري منذ نعومة أظافرنا، بعض أساتذتنا الجامعيين المصريين الذين درسوا لنا في كلية الآداب جامعة بغداد وأثروا فينا تأثيراً كبيراً بعلمهم وثرائهم الأكاديمي فلقد قرأنا من خلال هؤلاء لعباس محمود العقاد، وليوسف إدريس، ونجيب محفوظ، ويحي حقي، وطه حسين، والمنفلوطي، والزيات، وأحمد شوقي، وحافظ إبراهيم، إبراهيم ناجي، والبارودي!

بخلاف طبعاً الأفلام المصرية والمسلسلات الكلاسيكية الرائعة التي كانت تحمل رسائل إنسانية عظيمة، فضلاً عن عمالقة الغناء المصري من أم كلثوم وشادية ونجاة وعفاف راضي ومحمد عبد الوهاب وعبدالحليم وهاني شاكر، وعلي الحجار. ولا أبالغ حينما أقول إن الثقافة المصرية والفن المصري هم من شكلوا وجداننا وأرضيتنا الثقافية ونحن في عمر الزهور.

مقهى الفيشاوي - خان الخليلي

ولع ضيفنا بمسرحية الفرافير

يري ضيفنا "بدل رفو" أن مسرحية الفرافير ليوسف إدريس من أهم المسرحيات ليس في مصر فحسب بل في العالم أجمع، حيث انها تخاطب الإنسان أياً كان في أي بقعة من العالم، ولقد تأثرت بها كثيراً لدرجة أنني حاولت بمجهود فردي أن أخاطب السفارة المصرية لتحل ضيفاً شرفياً وتعرض هذه المسرحية الرائعة في فاعليات مدينة الثقافة الأوربية لعام 2003 وكانت مدينة غراتس هي عاصمة الثقافة الأوربية لهذا العام. ولكن وللأسف لم يسعفني الوقت لأن هذه الأمور تتطلب مخاطبات رسمية قبل الفاعليات بوقت كبير من أجل التحضير والسفر، وكنت واثق تمام الثقة بأن هذه المسرحية ستقابل بترحاب شديد حيث مشهود ليوسف إدريس براعته في توغله في النفس البشرية وما تموج به من مشاعر وأحاسيس مختلفة فهو عبقري في تجسيد هذه المشاعر بأقل مجهود وباحترافية عالية.

ولقد استغل بدل رفو في هذه الاحتفالية العالمية في التعريف عن نفسه وعن شعبه، وأوصل قضايا شعبه إلى دوائر ثقافية رفيعة للمجتمع الأوروبي آنذاك، وأطلعهم على مساهماته الأدبية والشعرية ورحلاته عن قرب.

بانوراما للقاهرة من جامع بن طولون

بدل رفو:

إبن بطوطة الكورد، فلقد جاب العالم من أقصاه إلى أقصاه، فمن كهوف زاباتا، كهوف الثورة المكسيكية التي قادها زاباتا الثائر ضد الإقطاع هناك وكان شعاره الأرض لمن يزرعها، وإلقاءه محاضرة هناك في معهد مكسيكي في مدينة جولولا عن التسامح الإنساني والتقارب البشري بين كل البشر والشعوب، بعد هذه المحاضرة حلّ ضيفاً على عمدة المدينة بدعوة منه، مروراً بعمق الريف الهندي البعيد الذي لم يصل إليه أي سائح قبله في هذه القرى البعيدة جداً، ومقابلته بعد ذلك بالأميرة مهراني حفيدة المهراجا 'جابهادور' وأمضى ليليتين في قصر المهراجا حيث تحدث مع الأميره عن شعبه من الكرد ودولته العراقية وإرثهما الحضاري والإنساني. ولقد مر - رفو - على كازاخستان وفوجئ بأن هناك أطيافاً مختلفة من شعبه الكوردي هناك وبأعداد كبيرة. كل هذه السفريات والرحلات جعلته ذا حس إنساني وإبداعي رفيع فضلاً عن ثرائه الفكري مما ألهم بعضاً من الباحثين أن يكتبوا عنه وعن تنوعه الإبداعي هذا رسائل علمية كالماجستير وضمن أطروحات الدكتوراه وبحوث تخرج طلبة الجامعات!

مع نصير شمة في بيت العود في القاهرة

وبالرغم من كل تجاربه وسفرياته الدائمة والمتنوعة كان يشتاق دائماً لزيارة أم الدنيا أو المحروسة، وهو يعلم تمام العلم بأن هذه الرحلة لها استعدادات خاصة جداً بخلاف رحلاته السابقة من حيث عامل الوقت وإطالة مدة الرحلة لأنه يعلم تماماً أن بلد عظيم بحجم مصر لا يجدي معها فترة زمنية قصيرة، وهذه المسألة كانت السبب الرئيسي لتأجيل هذه الرحلة عدة مرات لعدم إتساع الوقت عند كل مرة ينوي الرحيل إليها.

وأخيراً تهيأت له الظروف بصورة كبيرة وقرر البدء في رحلته الطويلة، حيث أمضى بها شهراً كاملاً قائلاً كنت أؤجل سفرياتي إليها لأنني أعرفها حق المعرفة لأستعيض عنها برحلة لدولة أخرى ولكن باغتني الحنين لكي أزورها لكي يتلامس عندي ما كنت أقرأه عن الحارة المصرية من خلال ثلاثية نجيب محفوظ وعن أولاد البلد في رائعة أسامة أنور عكاشة في ليالي الحلمية والواقع الحقيقي الذي ألهم هؤلاء المبدعين للتعبير عنه. تمنيت أن أجلس في قهوة الفيشاوي، وأتجول في خان الخليلي، وأن أشاهد إحدى عجائب الدنيا السبع هرم خوفو، وأزور متحف أم كلثوم الذي أبهرني كثيراً فلقد عشت داخله ذكريات كل أغانيها واستعدت أجمل الذكريات عن مرحلة الشباب وفترة دراستي في جامعة بغداد، انبهرت طبعاً بكل هذا ولكن ما أبهرني أكثر هو هذا الشعب المضياف الكريم، لم أتخيل وأنا أقيم بمنطقة شعبية في شارع الشيخ ريحان أن يتعرف علىّ معظم الناس بهذه السرعة والبساطة والضحكة الجميلة الصادرة من قلوب طيبة لدرجة أن مذيع بالإذاعة المصرية ولم يكن بيني وبينه سابق معرفة قد إستضافني بكل بشاشة وترحاب بمنزله... بالفعل شعب عظيم!

بدل رفو يدون مشاهداته في مقهى في السيدة زينب

وبدل رفو .. عنده زخم حضاري عجيب يجعله يعيش متقبلاً ومتأقلماً مع أشد الظروف قسوة وهو مثابر وضاحك، وهذه السمات لا تجدها إلا في شعوب قليلة والتي بداخلها البذرة الحضارية المتوارثة.- لذا مازال الحديث لبدل رفو - مطلقاً على هذا الشعب الذي تعرفت عليه سابقاً في كوردستان والعراق وعرفت عنهم أنهم أهل جلد وصبر وتحمل وجد حتى في أحلك الظروف تجده يحمل في يده طاقة من نور ليستكمل بها الحياة، ولن أنسى أبداً تجربتي الإنسانية الرائعة وأنا في منطقة المقابر (القرافة) حيث قضيت هناك ليلتين نمت في حوش المقبره مع عائلة مصرية لا أنسى أبداً بساطتها وحفاوتها الرائعة بي لدرجة أنهم استحلفوني أن أمكث معهم عده أيام أخرى وبإلحاح عجيب، فلقد آسروني بكرمهم وحبهم للحياة بالرغم أنهم يعيشون مع الأموات في حوش واحد.. فمصر مختلفة تماماً عن أي بلد آخر زرته، ففيه عبق الماضي والتاريخ في كل شبر وفي كل ركن من أركانها، والقاهرة الإسلامية متحف مفتوح بكامل ثرائه. .....التتمة ص28.....

صباحكم أجمل/ برهام وجيبيا حكاية أخرى

"الحلقة الثانية"

بقلم وعدسة: زياد جيّوسي

واصلنا جولتنا أنا ورفيقة الجولة الإعلامية منى عساف في بلدة برهام الفائقة الجمال، ببساتينها وموقعها وجمالها ومساحات الزيتون المنتشرة على مساحات واسعة اضافة للأشجار الحرجية برفقة مضيفنا الأستاذ زياد بكر والتي نسقت لنا الجولة برفقته المرحومة نادرة باكير التي توفيت منذ فترة ببلاد الاغتراب والشتات وهي تحلم بزيارة بلدتها برهام فلروحها الرحمة، فقد كانت زيارة برهام رغبة قديمة منذ تجولت ووثقت مناطق بير زيت وأطللت على برهام منها اضافة انها بلدة صديق العمر في عمَّان منذ نصف قرن العزيز حسن عثمان وقد وعدته بزيارة بلدته حين تسمح الظروف بذلك ووفيت بالوعد، وبعد أن أنهينا الجولة في البلدة التراثية وهي جذر برهام الذي كان يحيط بمقام أحمد برهان الهاشمي، متجهين الى بقايا الكنيسة البيزنطية التي كانت في البلدة في الفترة التي انتشرت بها الكنائس البيزنطية في فلسطين بشكل عام وفي منطقة رام الله والبيرة بشكل خاص، والكنيسة ما زال جدارها قائما ومبنيا بالحجارة التي تم قطعها من المحاجر بالشكل المربع والمستطيل الكبير الحجم وهو الذي ميز نمط البناء للأديرة والكنائس البيزنطية، وقد ظهرت بأطراف الكنيسة "البازليكا" التي كانت تزين بها الأديرة والكنائس وتحيطه أشجار الصبار وشجرة بالموقع نفسه، ويظهر أن عدم الاهتمام بالتنقيب وإظهار تفاصيل ما تبقى من الدير أدى لتراكم الأتربة والحجارة عبر القرون الماضية، ومن جوار بقايا الدير كنا نتجه بجولة في البلدة والتي ذكرت في الفترة الصليبية بإسم Darchiboam.

جولة جميلة في البلدة واتجهنا الى بيت أهل المرحومة نادرة أبو بكر التي كانت قد نسقت الزيارة والجولة، والبيت يعود بتصميمه لفترة الخمسينات من القرن الماضي، حيث أصبح الحجر مع الاسمنت وأصبحت السقوف مستوية وإسمنتية، لكن هذا البيت لم يكن له درج داخلي أو خارجي للصعود للسطح، بل اعتمد على فوهة في جدار السقف يتم الصعود اليها بواسطة السلم الخشبي المتحرك، والنوافذ الطولية بدون قوس علوي كما البيوت التراثية، ولها واقي من المطر من الشمس والمطر من المعدن "اباجور" بفتحات فنية تسمح بدخول الضوء نسبيا وتمنع دخول المطر، وإن حافظ هذا النمط من البناء على سماكة الجدران التي تتكون من 3 طبقات، الحجر الخارجي وحجر جيري بالمنتصف ليقوم بالعزل وجدار داخلي، وعملية العزل كانت تحافظ على برودة البيت بالصيف والدفء في الشتاء ولكن بدرجة أقل من بيوت العقود المتقاطعة التي تحدثت عنها بالمقال السابق، واتذكر ان هذا التصميم من البيوت كنا نسكنه في مدينة رام الله قبل خروجنا القسري منها بعد هزيمة حزيران 1967م.

من هناك كنا نكمل التجوال بالبلدة حيث تمازج القديم التراثي مع ابنية الخمسينات مرورا بالأبنية الحديثة، لنتجه إلى عين الماء المعروفة بإسم بئر رمانة التي كانت تسقي البلدة في الزمن السابق والتي أصبحت جافة وأحيانا وحسب موسم الأمطار قد تعطي القليل من الماء، ولكن بكل أسف أن مبنى عين الماء الحجري مهمل جدا وحين زرته كان به أنقاض وقمامة مختلفة بدلا من المحافظة على نظافته، اكملنا جولتنا في البلدة باتجاه المدرسة التي روى لي حكايتها مضيفنا الأستاذ زياد بكر حيث كانت ما قبل عودة م.ت.ف وتشكيل السلطة الفلسطينية عبارة عن مدرسة صغيرة ومن غرفة واحدة تضم أربعة صفوف، ويشرف عليها أستاذ واحد يقوم بكل المهام، وفي عهد السلطة كان المجلس القروي والذي تأسس عام 1964م والذي كان الأستاذ زياد بكر عضوا فيه يضع على رأس أعماله تأسيس مدرسة حديثة تخدم أبناء برهام وجيبيا، فتم بالتعاون مع المرحوم والصديق الغالي سليمان النجاب "أبو فراس" عضو اللجنة التنفيذية في م.ت.ف رفع كتاب للشهيد ابو عمار الذي وافق على منح أهالي البلدتين مساحة 3 دونمات من الأراضي الأميرية وستون ألف دولار للبناء، فتم بناء "مدرسة برهام وجيبيا الأساسية المختلطة" في موقع جميل وفسيح وذو طبيعة جميلة والتي أصبحت تضم أبناء وبنات البلدتين للمرحلة الأساسية اضافة لمدرسة الأمير حسن الثانوية.

من المدرسة كنا نتجه الى بلدة جيبيا، هذه البلدة الساحرة بجمالها وهدوئها وقبل الوصول للبلدة كنا نزور القرية التاريخية "خربة صيا" والتي تعود بتاريخها الى الفترة البيزنطية حيث آثار الدير البيزنطي ما زالت ظاهرة للعيان، وهذه الخربة تم التنقيب بها وكشفها عام 1999م من خلال الدكتور حامد سالم بالتعاون مع متخصصين من جامعة بير زيت وطلبتها مع بعض المتخصصين الأجانب، وكشفت هذه التنقيبات في الأراضي المملوكة لآل النجاب عن كشف الخربة والدير، فهذه الخربة بقايا لقرية مهمة من العهد البيزنطي على مساحة 45 دونم من الأرض وكانت تعتمد على الزراعة وخاصة الزيتون والعنب والمحاجر ذات الحجر العالي الجودة، وأثناء تجوالنا في المنطقة وخاصة بالدير كنا نشاهد بعض من قطع الفسيفساء البيزنطية "البازيلكا" اضافة لمعصرة النبيذ والزيتون، وما بين الدير البيزنطي والقرية يوجد العديد من هذه المعاصر الحجرية التاريخية ومنها ما تم حفره بالصخور بشكل هندسي متميز بدقته، إضافة لبقايا أعمدة حجرية منقوشة وبقايا القرية وقواعد بيوتها التاريخية وسلاسلها الحجرية والمصاطب الزراعية التي كانت، والدالة على حجم الاهتمام بالأرض وحجارة الخربة المتناثرة على الموقع وتحت الأشجار الحرجية التي تشتهر بها جيبيا، والخربة كانت تقع على الطريق التي عرفت بطريق "رومانيا" والممتدة من القدس وصولا لمدينة البيرة وعبر بير زيت والخربة باتجاه الموانئ الفلسطينية على الساحل الفلسطيني حيث قيساريا وحيفا، فموقع الخربة جعل منها موقع مهم بتلك الفترة القديمة مما جعلها تحظى على موقع اقتصادي هام، وهذا الموقع المهمل الآن بحاجة لاهتمام وتنظيف ليكون موقعا سياحيا مهما.

من هناك كنا نتجه عبر الطريق المار بوسط الأراضي الحرجية من السرو والصنوبر والتي زرع معظمها بفترة الحكم الأردني كما اشارت دراسة مهمة من اعداد الأستاذ أحمد حنيطي عام 2016م وبها الكثير من المعلومات عن أحراش جيبيا لمن يعنيه الاستزادة بالمعلومات، حيث أشار بدراسته أن مأمور الحراج بتلك الفترة هو رشيد النجاب والذي بحكم موقعه قام بزراعة اشجار الصنوبر والسرو لتحديد أراضيه واحتذى به باقي السكان، ومع الابتعاد النسبي عن الزراعة بسبب غياب الخدمات والمدارس بتلك الفترة وانتقال الكثير للاقامة بالبلدات المحيطة، وتوفر فرص العمل ذات المردود الاقتصادي تحولت نسبة كبيرة من الأراضي الزراعية إلى أراض حرجية جميلة منحت جيبيا جمالها الحالي.

في مدخل جيبيا وضع المجلس القروي يافطة تعليمات لزوار البلدة، فأحراش جيبيا هي أراض خاصة ومملوكة لأهل البلدة وليست أراض أميرية مفتوحة، وهذه التعليمات تنظم الزيارات للأحراش المحيطة بجيبيا، وجيبيا تقع على مسافة لا تزيد 16 كم عن شمال رام الله وتمر طريقها عبر برهام بعد الانحراف عن بير زيت، ومساحتها لا تزيد عن 1666دونم ومحاطة بأراضي أم صفا وبرهام وكوبر، وتعرضت اراضيها الحرجية لمصادرة الاحتلال حيث قام الاحتلال في بدايات عام 2018م باعلان مصادرة اراض هي مملوكة بالسجلات الرسمية للسكان وشق طريق فرعي يربط مستوطنة حلميش مع أراضي أحراش جيبيا بمنطقة تل القسطل، وتتعرض جيبيا وأحراشها وأراضيها الزراعية باستمرار لاعتداءات حثالات المستوطنين تحت حماية جيش الاحتلال الغاشم وآخرها من فترة قريبة حيث تعرض اخوين في أرضهم لاعتداءات جسدية كادت أن تودي بحياتهم.

واصلنا السير بالشارع الرئيس لجيبيا حتى وصلنا المسجد القديم، وقبل الوصول اليه وصلنا لقبر المرحوم سليمان النجاب فنزلت وقرأت له الفاتحة وبعض الدعاء فقد كانت تربطني به علاقة صداقة قديمة وكنت على تواصل هاتفي معه وهو في العلاج بالأردن حتى وفاته ومن ثم شاهدت منزله الريفي الجميل، والمسجد قديم نسبيا وهو مسجد صغير أضيف له شكل مأذنة لرفع مكبرات الصوت، وعبر الطريق شاهدنا العديد من البيوت التراثية، وبالبحث عن أصل اسم جيبيا لم أجد الا مصدر واحد يشير انها حملت الاسم بفترة الكنعانيين وتعني المكان المرتفع عن الأرض، وفعليا جيبيا مرتفعة عن سطح البحر بحوالي 870 م وهي محاطة بالعديد من الخرب الأثرية مثل خربة صيا وخربة مسيا وخربة القسطل وخربة القيسي ومقامات دينية لأولياء سكنوا البلدة ومحيطها، وهي رغم تاريخها القديم الا ان الهجرات المتتالية منها تركتها بعدد سكان حسب بعض الاحصائيات لا يزيد عن 200 نسمة.

البيوت التراثية في القرية قليلة بحكم قلة عدد السكان وهي كما باقي المناطق الفلسطينية بيوتات تراثية وعددها سبعة مبنية على نظام العقود المتقاطعة وباقي المباني التراثية على نظام الأسطح المستوية باستخدام الدوامر المعدنية، وفي دراسة ميدانية عام 2001 كانت البيوت التراثية في البلدة فقط 13 منزل فقط منها تسعة مهجورة، وهذه البيوت مختلفة بمستويات أوضاعها ولكن البعض منها يمكن ترميمه والمحافظة على ذاكرة الأجداد وتراث الوطن، وقد حاولت لاحقا زيارة جيبيا لتوثيق كل هذه الذاكرة فيها، لكن بكل أسف لم أتمكن من التواصل مع أحد من سكان البلدة يمكنه التفرغ معي للتجوال واعطائي المعلومات كما في برهام حيث كان مضيفنا والمرشد الأخ زياد بكر، ولكن ستبقى الرغبة قائمة حتى توفر الظروف الملائمة لزيارة أخرى وتجوال كامل بكل خباياها، فعدنا من جيبيا بعد جولة في سحرها وجمالها ونقاء هوائها إلى بيت مضيفنا زياد بكر وفي الحديقة تناولنا الفاكهة والقهوة قبل أن يوصلنا بسيارته لبلدة بير زيت، حيث ودعناه هناك شاكرين له حسن الضيافة وجمال الجولة التي تفرغ لها بالكامل معنا.

صباح مشرق وبارد جدا في عمَّان مع بعض الضباب، استذكر جولتي في برهام وجيبيا بعد مرور خمس سنوات حيث كانت جولتي في 2015/11/11م، وأستمع لشدو فيروز مع فنجان القهوة على مكتبي بشرفتي العمانية مع زقزقة العصافير وهديل الحمام وهي تشدو: " اذكريني كلّما الفجر بدا، واذكري الأيام ليل السهر، اذكريني كلّما الطير شدا، وحكى للغاب ضوء القمر، اذكريني واذكري عهد الهنا، أثرى أشدو إذا لم تذكري، نحن جمّعنا من الليل الغِنا، وحِكايات الجمال المُزهر".

فأهمس: صباح الخير يا وطني، صباحكم أجمل..

جثث الأحلام المحترقة

.قصة قصيرة

ريبر هبون

بينما كان زنار يتسوق في ماركيت الغوطة الكائن في الحي الذي يقيم فيه بألمانيا، وجد على الرفوف الأولى زيوت زيتون مكتوب عليها من جبال عفرين والباسوطة، زيوت يتم جنيها من محاصيل السكان بسعر زهيد يجبرون على بيعها لقاة ومشرفي الفصائل ليتم تصديرها عبر معامل في تركيا إلى ألمانيا ودول أوروبية أخرى، لتصل إلى محلات الذين يستوردون المواد الغذائية الآسيوية القادمة من تركيا، لفت سمعه أحد العمال في ماركيت الغوطة يستمع لتوجيهات مدير الماركيت المسمى أبو عدي المتعلقة بالأسعار غير المقيدة على المواد الغذائية، فالمحال الغذائية العربية لا توضع على بضائعها الأسعار كي يتم ممارسة التلاعب المحبب كثقافة شرق أوسطية مقدسة، بخلاف المحال الألمانية التي تقيد فيها الأسعار مهما كان حجمها..

حركة الناس متسارعة وأروقة المحل مكتظة بالزبائن، عاملة أدلبية تفرش سجادة صلاتها خلف الممر قبالة رفوف التوابل، خليط من المشاعر حاصر زنار، أيضاً كان ثمة عامل من درباسية يعمل هناك الزبائن متعددوا المشارب، انها سخرية القدر أن يكون عمال المحل تجسيداً عن الإئتلاف والمجلس الكوردي المنضوي تحت فيئه، همت سيدة مسنة بشراء قينة زيت زيتون عفرين وكرتونة صابون غار اسمها من جبال عفرين، كانت تحدث حفيدها الذي يرافقها، شعرت انها تقتني الذل الذي لمع في عينيها كبرق أرعن، الآلام تتوافد من كل صوب وحدب، تآمر شرس على حبات الزيتون، من المؤلم أن يشتري الإنسان دمعه وعرقه من سارقه ومغتصبه بمباركة المصدر والمستورد، هكذا تكتظ المحلات بمختلف البضائع القادمة من بلد القهر، أو ممن تجلب البضائع السورية والتركية.

شريط من المشاهد تنقل في ذهن زنار وهو عائد إلى بيته، تذكر بدايات مجيئه لألمانيا، حين وفد العديد من اللاجئين لمخيمات اللجوء، تذكر أبو بكري الحلبي الذي قدم لألمانيا مع زوجته وصهره وابنه بعد نجاته من مغامرة الموت عبر البلم في البحر عند محاولته دخول أحد الجزر اليونانية، رجل في الخمسينيات من عمره أشيب الرأس، لا يكاد رأسه يستقر في كتفيه لشدة تلصصه وتفحصه لسحنات الناس ممن حوله، تتوافد عليه الكاميرات ليروي قصة نجاته مع العائلة من الغرق، صهره القصير البدين دائم اللصوق به، يتمتع بحس تلصصي فضولي هو الآخر، يملك كرشاً يبعث على الذهول، يحكه كلما وقف قبالة أصدقائه، إذ دأب على هذه العادة منذ قدومه لألمانيا، لمجرد أن تأتي المساعدات والهبات من جمعية تعنى بحماية اللاجئين، حتى يسارعوا في التقاط الحاجيات مهما كانت جديدة أم قديمة، وان أقامت جهة خيرية بوليمة غداء، سواء حزب اليسار التركي أو الاتحاد الاسلامي التركي حتى جمعية تونس الخيرية حتى يكونوا أول الواقفين على طابور الطعام والمساعدات لانتهاز الفرصة في جمع ما تيسر من حاجيات مقدمة، ليزاحموا سواهم من لاجئين آخرين بحاجة للكساء والمساعدات.

ذات يوم نشب خلاف حاد بين أبو بكري وصهره وصديقه بينما كانوا واقفين قرب بوفيه مسجد تابع للاتحاد الاسلامي التركي بالقرب من مكان المخيم..

- لماذا لم تخبرني أنهم يوزعون لحم بعجين ،وذهبت لوحدك.

- لم أرك لأخبرك، ونسيت البحث عنك.

- أنا صهرك يازلمة، يلعن هالحالة معك.

البعض تمكن من أخذ كرتونات لحم بعجين إضافية مع حلوى ولبن عيران واضطر المتأخرون للشراء من بوفيه المسجد، ودب البغض بين جموع المهاجرين الواقفين في مسجد الأنصار حسب تعبير عماد القادم من ريف الباب الذي سيطرت عليه حينذاك تنظيم داعش والتي حلقت ذقونها لتنضم لفصائل المعارضة كما فعلت أخوتها في كل من جرابلس وأعزاز، المتأخر عن الوليمة أخذ يزدري الآخذ حاجته من الطعام والحاجيات ذلك أكد لزنار مدى قوة الجوع في استملاك العقول والبطون والغرائز، هم من بقايا السوريين الذين يفعلون كل شيء لأجل بطونهم وجيوبهم، يقتلون ويرتزقون ويفعلون أي شيء يطلب منهم ان في عفرين عبر سرقة الزيوت والدجاج ومحاصيل الزيتون، حيث ولأجل راتب 800 دولار ذهبوا خفافاً وثقالاً باتجاه عفرين وسرى كانيه و كرى سبي، أو عبر الطائرة جنوباً إلى ليبيا أو شرقاً إلى أرمينيا لإسقاط بشار الأسد، طامة حلت بجموع الجوعى، ذلك المخيم البلاستيكي الأشبه بالبيوت البلاستيكية جمع خليطاً من شعوب فارة من رقعها وأنظمتها، تفوح منها روائح القهر والعجز.

أبو بكري شبع رقصاً مع أم النور المرأة المطلقة البصراوية على وقع أغنية تركية في صالة احتفال نظمها اليسار التركي، في الآن ذاته شجار قرب طاولة الغداء بين أم النور وتلك السيدة الموصلية فيما يخص عوائد الشيعة والسنة وزواج المتعة والمسيار، وأنباء عن سرقة بعض شباب مغاربة لبضع جوالات تركها البعض على الطاولات ليتم شحن بطارياتها حيث جلبهم الشرطة عبر باص للمخيم ليلة أمس أحد الشباب المصري السلفي يجمع حوله مجموعة من المصلين، يفترشون بضع أقمشة بالية كسجاد على أرض الصالة الوسخ ليلفتوا أعين البقية، ويدعونهم للمشاركة في تلك الصلاة الجماعية، على الجانب الآخر، بضع زمجرات ومشدات كلامية بين بضع رجال وشاب نيجيري، حيث يأسوا من محاولة إقناعه بضرورة الخروج من حمام النساء، حيث اعتقد انه مكان مناسب لحلاقة ذقنه ومن ثم استحمامه، والطريف أن بعضهم شاهده بأم الأعين يخرج موزة من القمامة نسي أن يكمل أكلها، الأمر الذي أثار قرف واشمئزاز الجالسين على طاولة الفطور.

لا ينفك زنار عن مساكنة بلده في أحلامه كل ليلة، أو حين يمارس اليوغا، يشغله واقع يشعله العبث ولا يأبه لوجع تحول لأغانٍ لا تتوقف عن إخراج دخان ينبعث من جثث الأحلام المحترقة.

المبتاعة

قصة قصيرة من كتابي (وكنت أنا الباكي)

(هي عبرة لمن يعتبر، هي قصة كل فتاة كردية، هي قصة كل قرية كردية، هي قصة كردستان بحد ذاتها).

عباس عباس

ليس في القرية ما يميزها عن باقي القرى الموزعة عفوياً في تلك البقعة من جنوب كردستان، لا في مساحتها ولا عدد القاطنين من الكرد فيها، بيوت من الطين المثخن بالتبن الناعم للتماسك!.. وهي متراصة بعضها الى البعض، تفتقر الى التنظيم والتخطيط، وكأنهم يعيشون على جزيرة ضاقت بهم الأرض، وهذا الموروث وسيلة للدفاع ضد أي طارئ عدواني!....

الأزقة ضيقة الى حد تلازم الأكتاف بين المغادر والقادم، والأسقف تكاد تلامس رؤس أصحابها!... وهي ليست موحدة بلون التراب المائل للأحمرار فقط، والداعي للحزن والتشاؤم في قر الصيف، انما ايضاً بالتصميم المعمم في بناء البيوت والأسوار المنخفضة، والتي لاتتجاوز خاصرة رجل معتدل القامة!.... فقط في اشهر الربيع تنعم برائحة العبق العشبي الموزع على ضفتي النهر المار من شرقها لتبدل ثوب الحزن الطبيعي برداء الخضرة والوانها الزهري الجميل!.... فتبعث في الروح نسمة الحياة، وفي الجسد نشاطٌ لاحدود له، وفي الشباب المقبل على الحياة الأمل بلقاء رومانسي تبعث في أحلامهم الروح والسكينة!...

في الجانب القصي من القرية وعلى ضفة النهر، انفردت عائلة عمر المهاجر ببناء بيت لايميزه عن بقية البيوت في القرية الا مكانه المرتفع فوق التلة، حيث بهذا الإرتفاع يتوازن مع دار المختار المبني في الطرف الأخر من القرية!. التوازن بينهم كان بارتفاع السقف فقط، أما ما تبقى من سبل الحياة كالسكن والملبس والمأكل، فالفرق كان شاسعاً الى درجة مخيفة!... الفقر والغنى، السُلطة والدونية، الأقرباء ورجال العشيرة ذوي البأس الشديد، والمهاجر الضائع الذي لايعرف حتى لوالده إسم، ويكفي أن نترجم كنيته حتى نحكم على عمق الضياع، عمر المهاجر!....

في ما مضى، كثيراً ما ردد عمر في حديثه عن قساوة الحياة، وهو طفل شُرد بعد أن قُتل والديه بسنابك خيل الترك وبنادقهم في ديرسم، لاستدرار العطف من ذوي الباع في هذه القرية التي إلتجئ اليها منذ أكثر من ربع قرن !.... أما الأن وبعد أن ناله كما جيرانه في القرية، من وعي بأسباب تلك الجريمة، بدأ يشحذ الهمم بين الشباب المقبل على الحرية والإنتقام!... وللإنصاف في حق عمر المهاجر، هو أنه لم يكن يتردد لحظة واحدة في تكرار قصصه المروعة في كل تجمع وفي كل مناسبة أمام الخلق للتشهير بالمجرمين والدعوة للانتقام!. حتى أن صيته في القرية والقرى المجاورة أصبح يلازم كلمة الأنتقام!...

مع ذلك كان رقيقاً حتى التسريف مع زوجته الجميلة، والتي أشتراها بشقى عمره من والدها الجشع، وأيضاً مع طفلته الوحيدة!. كانت تصغره بعشر سنوات أو أكثر بقليل، ناعمة، رقيقة، تضحك للنسمة، لاتعرف الغضب ولاتتحمله من أحد، توقفت عن الانجاب بعد الولادة الأولى اثر مرض خبيث في الرحم الذي بتر تماماً!، وهي صاحبة فكرة الحانوت الصغير في الغرفة الواقعة في الطرف الغربي من فناء الدار، تبيع منه حاجات القرويين الطارئة اليومية من سكر وشاي وصابون وغيره!، ويعتاشون منه بدون خوف من العوز أو الحاجة!. وبشاشة وجهها كان كفيلاً بزيادة المترددين على حانوتهم!...

والزوج ملهو ببستانه الصغير على ضفة النهر، يقتادون منه ما يحتاجونه من الخضروات!، ولم يشغل باله أو يعّكر صفو حياته الا تلك الحركة الباغتة من ابن الجار الشاب!....

ففي ذلك اليوم البائس وهو عائد الى داره، سمع قهقهة ضحكةٍ عاليةٍ من الحانوت، وبعدها ظهرت الزوجة برفقة الشاب ويده فوق كتفها تلف الرقبة قليلاً!.....

لم تبالي الزوجة بالتغُيرات التي أخذتها وجه زوجها، بل حتى انها لم تنتبه الى وضع اليد فوق الكتف!، ليمر كل شئ بدون أن يعُكّر مزاجها سوء الظن أو غير ذلك، الا أن عمر لم ينسى ذلك أبداً، بل أصبح هاجسه الذي لم يفارقه قط، لا في نومه ولا في اليقظة!....

اصبح يظن بكل شئ، بكل حركة أو لفتة أوبسمة!، وهي لم تعد له لوحده، فكم عدد المشتركين معه في عرضه؟! الشاب الذي رآه؟ أم مجموعة من شباب القرية!

لم يعد يأكل، والنوم نادراً ما يكون في فراشها كسابق عده، البستان جف وهو ينتظر من يخدم فيه!....

لاحظت كل هذا التغير فيه فتسأله، ويتهرب من الجواب بمختلف الحجج، الا أن الظن بها لم يهمله طويلاً، حتى هده و أوقعه طريح الفراش!....

كانت تخفف من حرارة جسمه بقماش ترطبه، حاول أكثر من مرة أن يسألها ليطمئن نفسه، إلا أن الحياء من أن يكون مخطئاً كانت تحول دون ذلك!، وأخيراً وفي اللحظة التي كانت حرارة جسمه قد تجاوزت سخونة الجمرات المخفية تحت الرماد في تنور والدته عندما أخفته طفلاً عن أعين القتلة الأتراك نطق بكلمتين:

هل..... هل خنتنيني.....

لم تسمعه، بل أنها لم تنتبه الى تلك الكلمتين التي أودى بحياته!، لكنها بكته بمرارة الفراق!، وبقيت منه لوحته الرائعة، إبنته ذات الأربعة عشر ربيعاً!...

الكل معترفٌ بحسنها الرائع، هيفاء، فارهة الطول، تميل بشرتها الى السمار بعيونٍ زرقاء محاطة بهدبٍ بلون الكحل، والفنج متأصل وموروث من والدتها المتميزة في القرية أيضاً بالجمال!. كانت محاطة بعيون المعجبين، لتناسق المبدع في كل شئ، ليس في الجمال الخارجي, بل كذلك في الخلق والسيرة الحسنة!....

كانت طفلة مدللة ليس فقط للأبوين، انما لأهل القرية عموماً!. كبرت وطالت بقامتها وزاد حسنها، وازداد الأعجاب حتى أصبحت متميزة من بين كل فتيات القرية والقرى المجاورة!، الا أن الصدق أو عدمه في تلك العلاقة المشبوة بين أمها والشاب ذاك، أودى بكل حسن وبكل سيرة حسنة للجحيم!.

صحيح أن الكل يحلم، فهناك من يحلم بلقاءٍ عابر معها في احدى الأزقة، وهناك من يشط به الحلم لقبلة عابرة!، إلا أن أحلامهم لم تتجاوز ذلك أبداً، والسر سمعة الأم البريئة الخائنة!، وبقيت تنتظر فارس أحلامها، وطال بها الأنتظار حتى الملل، ولم يبقى لها سوى سنين قليلة لتدخل سن اليأس وهي تنتظر!....

في نهار ذاك اليوم الربيعي، حيث الجمال يتجاوز كل وصف ويزيد عليه بهاءاً نسمات العبقِ، حين مرَّ بها شخصٌ تراه لأول مرة، مالت رقبته كما هي رقبتها، وتلاقت الأعين لتقول ما لا طاقة للسان به!.... وتكررت اللقائات في الحانوت الذي أصبح الوسيلة الناجعة للقاء الحبيب!....

وأخيراً تفاهما وتزوجا، ورحلت مع المدرس القادم من بادية العرب، لتترك شباب قريتها يحلمون بهدوء!.. بقبلة عابرة.

بهرين أوسي

أم من وطني

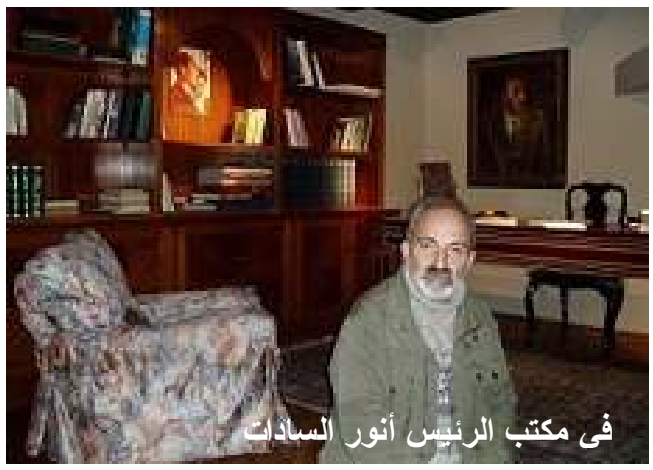
فى مكتب الرئيس أنور السادات

وصلت منهكة إلى قامشلو في رحلة هي الأصعب رحلة الطرد من حياة ابنها إلى المجهول، وحدها تسير على يديها وهي تجر قدميها المتعبتين، صلواتها له لم تفارق شفتيها طول الليل والنهار، لم يبق لها في هذه الحياة سوا بعض من ذكرياتها في مدينتها عفرين حيث كانت تتمنى الوصول.

وتنوعه وشموخه، إنها حالة خاصة وبصمة خاصة ليس لها نظير.

مع مطربة اغاني الزار في القاهرة

كانت رحلة ممتعة بالنسبة لي بإيجابياتها الكثيرة وسلبياتها، نعم هناك سلبيات كثيرة ولكنها سلبيات طبيعية من بيئة المكان، ومصر قادرة على محو هذه السلبيات بكل بساطة، لأن مصر تستحق الأفضل دائماً وتتطلع إلى مستقبل مشرق جدير بها. وأفضل ما قمت به هو مشاركة الناس البسيطة والتفاعل معهم، فلقد جلست على المقاهي الشعبية، وأكلت الأكلات الشعبية المصرية الشهيرة في منطقة السيدة زينب، وتناولت هناك أطعم وألذ طبق زبادي في العالم بأسره حيث كان موضوعاً في كأس من الفخار وأصبحت مدمناً له في تلك الفترة، ففي هذه الأحياء البسيطة أشعر براحة غريبة حيث هناك كل شئ حقيقي وبلا تزييف والتقرب للإنسان هناك أسهل مايكون لذا فأنا أهتم جداً _ بسياحة الإنسان _ هذه هي السياحة العادلة والطبيعية بعيداً عن حياة الفنادق والبرامج السياحية المحددة ولكن سياحة الإنسان هي عندي السياحة الأفضل والأهم.

فى مقابر الغرافة

كانت بالنسبة لي رحلة مصورة صورتها في مخيلتي وأثبتها على أرض الواقع، على أرض الحضارة والإنسان البسيط، على أرض تعتبر متحفاً مفتوحاً بكل ثراء وتنوع حتى أفردت لمصر ولرحلاتي إليها مساحة كبيرة تتناسب مع شموخها وثرائها الحضاري الكبير... حتى ذكرتها في كتابي العالم بعيون كردية.. وكتابي الآخر مصر بلد الحضارة. ولقد كنت على موعد في أواخر العام الماضي مع قناة النيل الثقافية المصرية لأتناول في برنامج لها عن رحلاتي إلى مصر وانطباعاتي عنها، ولكن وللأسف أزمة كورونا العالمية حالت بيني وبين اللقاء والذهاب مرة أخري الى مصر معشوقتي..

امام قصر الملك فاروق في الاسكندرية

*اعلامي مصري مقيم في النمسا

ما تبقى من طفولة

قامشلو أعداد الأطفال الهاربين من مستقبلهم في رحلة البحث عن قوت اليوم لهم ولأسرهم، أمثال هؤلاء في كل دول العالم ينعمون بأفضل وسائل الحياة. تتشعب الصور في ذاكرتي بين من هربوا لينقذوا أطفالهم من مآسي البقاء بين رائحة الخوف ولهيب الضياع، هنا وبين من بقوا على مضض محرومين من أسباب النجاح وسبل الحياة أيقظتني من سردة الأفكار فتاة صغيرة بعينين زرقاوين زرقة السماء مبتسمة رغم الألم والبرد، تطلب ثمن بعض الحلوى لتعود طفلة ولو لبعض ثوان هاربةً من آلام العوز وضربات الحرمان.

ثـورة الحريــة...

يسرى زبير

كان الخمول يسدل ستاره على الطبيعة عند الغروب, تفوح رائحة التراب المستمدة حرارتها من ضوء شمس الصيف الحارقة. يا له من يوم حار وشاق,الحرارة أحستها بالتعب والإرهاق وهي تحضر العشاء في المطبخ, انسدل الليل بأحلامه متأوها يطرق باب المخيلة عند مفارق الذكريات.

وقفت جفين صامتة على الأطلال وهي في انتظار غليان إبريق الشاي على النار, وأصوات الضفادع تعلو من المستنقعات المجاورة كأنها تنشد أنغامها لليل, ليتلاشى النوم من العيون المتعبة من مشقة النهار وتبقى في أحلامها السرمدية وهي تغمض عينيها الواسعتين لترسم ألوان قوس قزح أمام مخيلتها. مائدة مزودة بأشهى المأكولات. خبز الفرن ولبن الغنم والسمن العربي وعسل النحل وكل ما تشتهيه أنفسهم. صيحات تعلو وتشدو, وتترافق مع بعض الخبز المتطاير والملاعق الصغيرة من على السفرة. صوت رخيم يملأ الغرفة ضجيجا, كفى، ألم تتعبوا من الصراخ دعونا نأكل لقمة...

يقول في سره جاري سلو في انتظارنا لنسهر عنده الليلة...

كفاكم صراخا!

وتنخفض الأصوات تدريجيا، وبعد تناول الطعام, تحمل السفرة للمطبخ، تبدأ الصرخات من جديد: لوند. سما. بيريفان. جفين. دچوار. اين انتم, هيا لنلعب لعبة العظم المخفي. وتتعالى الأصوات من أمام فسحة الدار...

فيرد أحدهم: لا أنا أحب أن نلعب لعبة الغميضة وهيا لنلعب لعبة بابوتان ويتعالى صوت شيركو وهو يقول الذي يحب أن يلعب معي تحتو پلو فليأت. لنجر القرعة برفع الأيادي. واللعبة التي تفوز بالأكثرية سنلعبها.

ينقطع الضجيج من البيت, لتتعالى أصوات أطفال الحي وهم يلعبون ما تملي عليهم نفوسهم الصغيرة.

وفي الزاوية الأخرى، تقول چيان نحن البنات سنلعب معا لعبة العرائس. هيا يا صديقاتي أين أنتن يا أفين اجلبن ألعابكن، وسنلعب عند هذا الضوء الخافت.

وينعكس ضوء القمر على النسوة من أهل الحارة وهن متجمعات على شكل حلقة دائرية وضحكاتهن بين العلو والانخفاض. إنهن يتحدثن مع بعضهن عن موديلات الأقمشة الجديدة, وتقول إحداهن نوع المركزيت والجورجيت يناسب اللباس الصيفي. ويطول بينهن الحديث عن تحضير المؤونة للشتاء المقبل وغيرها من الأحاديث.

وعلى دكة الحي يجتمع الرجال, ويسهرون ويرددون ما أذيع من راديو لندن ومونت كارلو من أحداث سياسية. إنهم يتحدثون بصوت خافض يكاد ألا يسمع خوفا من النظام الدكتاتوري الذي يحكمهم.

وهكذا تمر الأيام الجميلة متنهدة بأحلام المستقبل التائه على الأبواب.

وفجأة.. تسمع جفين صوت فوران ابريق الشاي من على النار, لتستيقظ من غفوتها الصامتة.

وتحمل على يديها سفرة الطعام متجهة الى نفس الغرفة التي كانت في يوم ما تملأ الأجواء بالصراخ والضجيج, يجتمعون حول سفرة الطعام الذي كانت تشتهيه أنفسهم. واليوم هي خالية صامتة كأنها حزينة على مواويل الماضي الحاضر في الذاكرة.

نعم تلك هي نفس الغرفة... لا يسمع فيها غير الصمت, وتجلس جفين مع والديها على سفرة العشاء المكون من قطع من الخبز اليابس, ولبن نغلبه الحموضة من حر الصيف. وانقطاع الكهرباء عن البراد وبعض البيض المخفوق الذي أفسدته حرارة الصيف.

نعم لقد مرت الأيام بعذوبتها الجميلة، لتترك بصمة ألم لمن هم على قيد الحياة.. تتنهد جفين من الأوجاع والذكريات وتمضي الأيام بالأحلام التائهة... لتقف أمام صورة العائلة المعلقة على الجدران, كتذكار لسعادة لم تعد موجودة في عالمها. نعم رحلوا جميعا..

دچوار استشهد, وقد مضى على استشهاده عامان, استشهد وهو يحاول انقاذ صديقه الجريح.وتتنهد لتتذكر بيريڤان وسما اللتان هاجرتا مع عائلتيهما متوجهتين الى ألمانيا إلا أن القدر كان لهما بالمرصاد ليفرق بين الأختين. غرقت بيريڤان مع زوجها وأولادها في بحر ايجة. وبقيت سما معلقة في اليونان بعد إنقاذها مع صغارها.

ولوند الشاب الوسيم، كان من النشطاء الذين أسسوا التنسيقات، قبض عليه وهو عائد من إحدى المظاهرات، فقتل تحت التعذيب في سجون البلاد. وتمر مآسي الأحداث أمام عيني آهين في سرد حكاية مؤلمة تنقض على روحها المعذب.

تلتفت الى اليمين، لتقف أمام صورتها مع زوجها وابن عمها شيركو وهو يبعث لها ملامح المحبة في نفسها. إنه من المفقودين الذين فقدوا أثرهم في الغابات أثناء الهجرة الى ألمانيا وقد مضى على غيابه أكثر من عام ونصف هل سيعود يوما..... تتنهد آهين في حسرة، تمشي بخطى متعبة وتجلس على حافة الباب وكأنها في أحلامها الطفولية.

تقع عيناها لأول وهلة على والدها الذي أنهكه الزمن، وكأنه هيكل جامد كان يستمع للإذاعات، واليوم لا يسمع حتى أخبار الفضائيات. وماذا سيسمع من الأخبار وهو يتأمل الماضي الذي يخيل شبحه في دخان سجائره التي ترسم له لوحات من الغمام تتلألأ من خلفها أضواء النجوم الخجولة. ووالدتها المرأة المنهمكة من الويل، وهي تهز كتفيها في حركات لا إرادية وتتحدث مع نفسها وتقول في سرها:

لوند لماذا أخذت اللعبة من أخيك دچوار؟ إنه أصغر منك...

ويا بيريفان العبي مع اختك سما نحن نعد لكم الطعام...

وهناك عند أحلام الصبا، تجلس چيان التي بترت رجلها اليمنى أثناء التفجير الإرهابي الذي استشهد فيها والداها واخوتها، وهي تتأمل في الأفق وتتنهد، وهي متكئة على عصاها وترسم بها أحلام الماضي وتكتب اسم عائلتها بألوان الروح المعذبة على قطعة الأرض الماثلة أمامها من الهموم المختلطة بدماء أهلها. نعم لم تعثر چيان على جثث أهلها المفقودين، تحولوا إلى رماد تحت الأنقاض، وكم تمنت لو لم تقذف بها التفجير بعيدا عنهم...

والجار سلو العجوز، يتجه كل يوم خميس نحو المقبرة ليزور أبناءه الاثنين اللذين استشهدا جراء القصف التركي على المنطقة، وهو يحمل في يده ابريق ماء ليروي تراب قبر ولده الذي نطق وهو يتنفس الصعداء قبل استشهاده:

إريد ماء... يأخذ معه الأبريق ويرش على قبره لعله يروي ظمأه من التربة المبللة... يلتفت للشمال حيث ترقد جثة ابنته أفين في قبرها جانب قبر أخيها، ليروي ما تبقى من الماء نبتة الريحانة المزروعة على قبرها... ويتنهد ويحدثها ويقول:

نعم أفين ريحانتي الصغيرة كنت تعشقين الرياحين وعطرها. ويتنفس سلو في تنهد وحيرة من الزمن ويقول في نفسه.... متمتما:

ليتني كنت ارقد جنبكم يا فلذات أكبادي...

وتبقى جفين وهي تتأمل الحي المهجور من سكانها الأصليين و صور الماضي الملقاة بحزنها الكئيب، وفي كل صورة معها حكاية الماضي، في لوعة الحنين والشوق لتسمع أصوات أخوتها وأبناء الحي من الشهداء والمهجرين و المفقودين في مقاطع مصورة وهم يرددون:

آزادي.. آزادي حرية.... حرية...

وتستمر الحياة....

وتبقى المآسي تلازمنا في دروب اللانهاية ونبقى في دوامة ثورة الحرية...

عزو الحاج

يلخص مرحلة الحصاد الوفير و الحصيلة الثمينة و يمضي

غريب ملا زلال

الفنان عزو الحاج أو "ذاكرة مدينة" كما قال عنه الفنان التشكيلي خليل عبدالقادر و هو فعلاً كذلك، فهو من مؤسسي مركز الفنون التشكيلية بمدينة الحسكة و قاد هذا المركز بنجاح و لمدة تقترب من ربع قرن من عام تأسيسه 1981 إلى عام تقاعده 2005، المركز الذي تحول إلى ورشات عمل و الذي منه و عبره مرّ أكثر فناني هذه المدينة.

عزو الحاج نحات أولاً و رسام تشكيلي ثانياً، هكذا عرف و هكذا يرى نفسه (أجد نفسي في النحت أكثر، و أشعر أنني أسيطر على الكتلة أكثر من تعاملي مع اللوحة) و هو كذلك فله بصمته في النهوض بالمشهد الفني التشكيلي الحسكاوي ومعه مجايليه من فنانين آخرين كخليل عبدالقادر و عمر حسيب، و حسن حمدان و أحمد أنصاري و برصوم برصوما و القائمة طويلة بطول قاماتهم و استطاع كل منهم أن يأخذ حيزه الجميل وفق جوقة جميلة أعطت للمرحلة نكهتها العذبة.

عزو الحاج عرف كنحات أولاً و طغى على الجوانب الإبداعية الأخرى لديه، و بقي الأزميل يقدمه في الواقع أكثر، لكن الريشة لم تغب عنه فبقيت مرافقة لأزميله في أوقات كثيرة، بل في كل منعطفاته، فالعلاقة بينهما أقصد بين الأزميل و الريشة لا تحتاج إلى وسائط أخرى، فالعلاقة هنا مباشرة لا تستدعي إلا سلسلة من العوالم الحسية المختلفة عملياً، المرتبطة إشكالياً، فكل المحاور بينهما المبصرة منها و المتفاعلة لها علاقة بتلك العناصر التي تودع داخل /المنحوتة، اللوحة/ فلا تفاوت بينهما إلا بالإدراك، و هذا ما يفسر تلك المعطيات الدلالية التي قد يصل إليها المتلقي في تأمله البعيد لذلك المنتج، كل ذلك ضمن اختيار ما يطلق عليه سيرورة أو التجربة الضمنية بلغة أخرى..

فعزو غير محكوم بتصور مسبق، و لهذا فهو يتسلل خلسة إلى جميع سياقات الفعل الإنساني باعتبارها حالات لفرضيات تثير وجود مواقع يمكن التعرف عليها من تحكم تحولاتها، كما تثير إهتمام عزو و متلقيه بتحديد الوضعية الإنسانية و الفنية كنمط في البناء، ما يجعلها قادرة على خلق سياق معرفي جديد و هذا ما يمنحه خصوصية إنجاز الوجود الفعلي للقيم الجمالية تلك التي تندرج في كيانات غير مرئيّة وفق مستجدات قابلة للإمساك بأفعالها و ردودها، كيانات غير مستعصية على الضبط بل دائمة التحول عبر أحجام و أشكال قابلة لإيجاد الفعل خارج مداراته، فالفعل الخاص يمنح العمل المنتج لوناً خاصاً و طعماً خاصاً منها يستمد عزو خصوصيته تبعاً لتنويعاته ككتلة و كفراغ و بتوسعاته لتشكيل صيغه العامة و المختصرة للإمساك بدلالاته حيث إنبعاث المتحرك في وجهه المحسوس.

و كتصنيف لمجموعة من العلامات داخل سلسلته الإبداعية المنبثقة من إمكانياته الكاشفة لمحاور الإستبدال في تحويل الإنفعالي إلى المرئي يخرج عزو بآليات جديدة كتحديد موقعه من الفعل الفردي و ذلك بإحلال عنصر محل آخر، و يشكل إستدعائه لعلامات حاملة للأداة و المضمون معاً لتكون مدونته في تحديد لون صوته، فمجموعة إجراءات التعيين التي يطلقها عزو ما هي إلا إجراءات رابطة بين عناصره أولاً و بينها و بين العلامات المتدفقة من ركاماته ثانياً، فهو يعقد تواصلاً بين وحداته المنتمية إلى محاوره معاً وإن كان محكوماً بجمع الحالات و دلالاتها.

فعزو قادر على تعريف مشروعه و قادر على إبراز مدى رؤيته فبإنطباعية تعبيرية يتجاوز الحدود المنظورة التي تكاد تكون علامة لمفاهيم متداولة و متباينة، فحقله لا حدود له و إن كان محفوفاً بالعقبات، التقنية منها و المعرفية، عزو يلخص مرحلة مثمرة بخطوط عريضة و عامة هي بحد ذاتها مرحلة الحصاد الوفير و الحصيلة الثمينة.

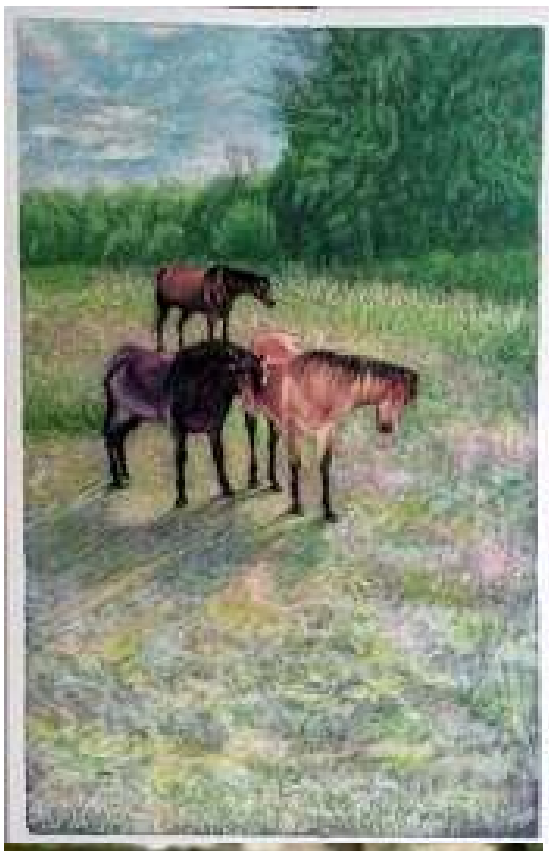

الولادة الثانية

منى عبدي

كنت منذ صغري أهوى القراءة وخاصة قراءة الخواطر والشعر والقصص القصيرة. منزلنا الكبير الذي كان يسميه أهل القرية "بالقصر" كانت هناك غرفة صغيرة من هذا المنزل تجمعني بأخواتي الثلاث. نحن البنات الأربع كنا ننام معاً ونسهر أمام شاشة التلفاز الصغيرة وطاولتها الكبيرة ذات اللون البني المحروق ومن الأسفل كان لها ثلاثة دروج. واحد منها كنت أضع فيه كتبي المدرسية وبعضاً من أوراقي الخاصة التي تحتضن بعضاً من الشعر والنثر والقليل من القصص القصيرة.

كنت أهوى القراءة بشكل غريب وأعشق الشعر وأحبذ كل شيء جميل من الأدب. والتي كانت دائماً تتشاجر معي وتقول لو اهتممتِ بدروسك كما تهتمين بهذه الأوراق لكنتِ من الأوائل في صفك المدرسي. وهذا الأمر كان يزعجني جداً وأرد عليها ويبدأ الشجار وتبدأ المشاكل بيننا، علماً أنني كنت أرتب أوراقي وكتبي ولا أعرف لماذا كانت تنزعج من هذا الأمر ؟!!!

استمر هذا الأمر إلى أن دخلتُ في سن السابعة عشر من عمري وتزوجت من ابن عمي الذي طلب يدي لأكون شريكة لحياته، وكان يسكن في قرية قريبة من قريتنا. قبل أن أتزوج ببضعة أيام وضعت كل الأوراق التي جمعتها طوال هذه السنوات والتي كانت عزيزة على قلبي ووضعتها في كيس أسود وخبأته في مكان آمن إلى أن أستقر.

تزوجت وكل تفكيري بتلك الأوراق وأشيائي الخاصة التي تعني لي الكثير وربما هي لا شيء بالنسبة لأخواتي و والدتي

في يوم من الأيام وبعد أن استقررت في منزل زوجي وبزيارة إلى منزل والدي أخذت تلك الأوراق معي، لأحافظ عليها من جديد.

كان زوجي يعمل في الليل وقد أوصيته أن يشتري لي دفتراً من مئة صفحة وبعضاً من أقلام الرصاص، وقد جلبها لي دون أن يسأل لماذا أو ما حاجتك إلى الدفتر !! أصبحت أكتب في الليل عند غياب زوجي. عندها لم يكن هناك الإنترنت وبرامج التواصل الاجتماعي والموبايلات، ففي كل ليلة أكتب نصاً صغيراً وهكذا مرت الليالي. أكتب وأنا على يقين تام بأنه كانت لدي الكثير من الأخطاء في الكتابة والتعبير، لكني استمررت إلى أن ملأت دفتري بكامله، وراجعت كل نص صغير وطويل و أجريت التعديلات على ماكتبت، بقدر استطاعتي لأحتفظ بدفتري.

بدأت أكتب في جريدة "الموقف الرياضي" باسم ابنتي. كنت من عشاق المباريات المحلية ومن مشجعي نادي الجهاد آنذاك، خوفاً من المجتمع الذي كان يعتبر كتابة المرأة أمراً معيباً.

ذات يوم كان لدينا ضيفان شابان من النخبة المثقفة. هكذا كانا يعتبران نفسيهما أو كنت أعتبرهما هكذا، تحدثنا في كثير من المواضيع وبحضور زوجي وتبادلنا الحديث الذي كان ممتعاً لدرجة أنني قلت لهم لدي دفتر أريد أن أعرف رأيكما بما فيه من كتابات، فوافقا، وأحضرت الدفترة بفرح وسعادة على أمل تشجيعهما لي، عندما قرأا بعضاً من تلك النصوص. قال الكبير منهما:

إنها كتابات جميلة من أين لك كل هذه النصوص ؟ لم أجب عن سؤاله، فسألت الأصغر منه مارأيك أنت ؟!! قال جميل جداً ولكن من كتب كل هذا ؟!!

قلت بكل ثقة أنا

نظرا إلي بتعجب وضحكا ضحكة فيها مايكفي من السخرية، وقال أحدهما هل سرقت هذه النصوص، والآن تقولين:

إنك من كتبت كل هذا ؟؟!!!

هنا أتت الضربة الصاعقة على قلبي واسود كل شيء في عيني. انزعجت لدرجة أنه كل بودي أن تنشق الأرض وتبتعلني. سحبت الدفتر من بين يدي الشاب الأصغر، وقلت له لم أسرق من أحد ..

خرجت من الغرفة والدمعة محبوسة في عيني. انتظرت أن انتهت زيارتهما وغادرا منزلنا، فقمت بحرق دفتري، وكل ما دونته فيما قبل، وقررت ألا أكتب أبداً، وأيقنت بأن مجتمعنا يحطم أحلامنا وآمالنا.

مرت أيام وليال وسنوات ولم أجرؤ على أن أكتب أي شيء، لكن ماينبت في دواخلنا لا نستطيع أن نكبحه أو نلجمه أو نقتله، عبر ممارسة أي نوع من أنواع العنف. بدأت من جديد أكتب نصوصاً صغيرة كما فعلت ذلك في الماضي، ولكن هذه المرة، قررت أن أكون قوية، ولا أهتم بكلام أحد، مادمت مقتنعة بنفسي، حتى لو لم يكن ما أكتبه كتابة جميلة أو مقبولة.

الطريقة التي يحلم بها المذاق : سلسلة الزهور الذابلة

.الجزء الأول.

كتبتها بالانكليزية: آلا رضوان حسين*
ترجمة: د.خالد حسين

سأخبرك قصة عن الغد. أطلب منك أن تبقى هذه الحكاية بيني وبينك، فقد تسمع الجدران الهمسات التي تجمع بيننا. الصمت الكئيب يحمل مساحة كبيرة للكلمات غير المنطوقة والأفكار بصوت عالٍ جداً. في بعض الأحيان يمكنك سماعها إذا استمعت عن كثب؛ تمتمات الجدران. الهمهمة الناعمة لأصواتهم يتردد صداها عبر الغرفة في أذهاننا، بارانويا لا صوت لها تلاحقنا. لقد سمعت ما يقولونه ورأيت الرؤى التي يستحضرونها. حية للغاية بالنسبة للظل البسيط لأفكاري؛ التي افتعلها عذاب داخلي. يخبرونني بما يشعر به الغد، ويبقيني مستيقظةً في الليل. لم تعد غمغماتهم خافتة، بل بصوت عالٍ مثل قعقعة الأرض عند قهي الضعيفتين ؛ يجرُّني إلى أحضانها القاسية والمظلمة.

شعري متشابك في عُقَدٍ وتقلبات لا أفهمها، لكن أصابعكَ تعيد تنظيم الأكاليل المتكونة على رأسي ؛ استرخاء ضفائر العزاء، وكذلك أنا لمسة رجل نبيل. بحار مع سفينته. أشعر بالراحة في التحول، تتوسع أطراف كتفي، وتمزق الأجنحة من خلال ظهري - حتى يتم تحريرها. غيوم بيضاء تغلف السماء. هي أثقل مما تعتقد. كثيفة مثل الأرض الفاسدة التي ولدت منها. الآن، أنا في الهواء. ثمة طيران. هناك شيء غريب في الطريقة التي تنظر بها إلي. أتساءل هل تريد أن تأتي معي؟

أملأ جيبي بالأحجار الكريمة والأصداف وأغرق نفسي في حمام الشباب الأبدي. السائل يبتلع بشرتي، يتدفق في صدري، ويقيم معسكرًا بين أقفاص ضلعي. الأشياء في جيبي تسحبني إلى الأسفل ، فالأسفل ، فالأسفل، عميقًا في أعماق اليأس. أنا لا أتنفس. لست بحاجة إلى ذلك - لأن الخياشيم قد تكونت على جانب صدري، مما أدى إلى تمزيق بشرتي الناضجة. أنا أسبح عبر مساحة شاسعة. أطرد قطع التعفن التي مزقتها دموع الحزن والألم، تلك التي كنت أخفيها داخل غابة الأشجار التي تركتها ورائي. بكيتْ السماء. دموع حزينة، تساقطت على رأسي. شعرَ عظمي بالتطهير أولاً ، وأغرقَ عذابي في أشياء فارغة. كان أول شيء يتم تخديره .

غدا نشعر وكأننا نجلس أمام بعضنا البعض. عيون مغلقة، ونحن ندرس الأسرار المخفية وراء حدقة العين. نحن لا نتنفس، خائفين من ترك بعضنا البعض. أنت الأكسجين الذي أتوق إليه، وأنا لك لتلتهمني بالكامل. أجسادنا لا تُلمس، لكن أرواحنا متشابكة في الرقص اليائس الذي حفظناه. الواحد المحفور في راحة أيدينا. بالتشبث بآخر في وسط الفراغات والحشود التي لا معنى لها، نحن اللذان يتحدثون عنهما بنبرة هادئة، مفتونون ببؤسنا. تغني أرواحنا أغنية عن مصيرنا اللعين، وتردّد دقات قلوبنا المتزايد للإيقاع. مسرعة. سريع جداً. نحن نتحرك بسرعة كبيرة. يصبح الحشد الذي لا معنى له ضبابية من اللون القرمزي والرمادي، وتشكل المساحات الفارغة حاجزًا. تتلاشى رؤيتي وأنا أغرق. لماذا ابتسمتَ عندما سمحت لي بالذهاب.

رئتي سوداء ومحترقة ويجب ألا أكون قادرة على التنفس ولكن الشمس والماء ولدا نبتة وفجأة أصبحت في حقل من الأشجار ورئتاي جالستان بجانبي.

غداً ثمة حلم وما لا أزال نائمةً.

*16 سنة عمر الكاتبة آلا المقيمة في الامارات

لوحة للفنان التشكيلي زبير شيخموس

لماذا الخوف من فيدرالية كوردية؟

الجزء الأول.

جان كورد

كتب مثقف سوري بارع، كان شيوعياً حتى العظام فأصبح ديموقراطياً بأن أسباب المشاكل في العراق هو التدخّل الايراني المستمر في العراق، وكذلك النظام الفيدرالي، والمقصود منه "الفيدرالية الكردية" حيث لا توجد فيدرالية أخرى مطبّقة في العراق حالياً. وتناسى هذا المهتم بشؤون المنطقة الأسباب الحقيقية المتمثّلة بدوام تواجد القوات الأمريكية الذي يتخذه الارهابيون (القاعدة) و(فلول البعثيين) المتوشحين أردية الدين الحنيف خداعاً ومؤقتا ذريعة لهمً. كما لم يذكر التدخلات السورية السياسية والاستخباراتية في الشؤون العراقية، وكأنه لم يسمع ولم يقرأ البتة اتهامات الحكومة العراقية (حكومة المالكي) لسوريا مباشرة، وتكرار التصريحات التي صدرت عن عسكريين أمريكان في ذلك الاتجاه.. وتغاضى تماماً عن التدخّل التركي بشأن موضوعي "كركوك" و"حصول الكورد على مزيد من الصلاحيات الاقليمية"، فالمشكلة ليست في نظر هذا المثقف العتيد وحده "فيدرالية الكورد" وانما في نظر كثيرين من "العروبيين" الذين يرفضون أصلاً أن يكون للكورد شيء من "الادارة الذاتية" أياً كان نوعها، سواءً في العراق أو في سوريا، فمثل هذه "الادارة" تعني نزوعاً كوردياً نحو الانفصال، وأخطر ما يمكن أن يحدث للعرب هو انفصال الكورد عنهم، حتى حدوث انفصال كهذا في الحلم يفزعهم، وهم (العروبيون) منفصلون عن بعضهم بعضاً أكثر من (22) مرّة ولكن هذا لا يهمهم بقدر اهتمامهم ب"انفصال الكورد" الذي هو من وجهة نظر أخرى "وحدة الكورد القومية" التي لاتخالف الشرع الالهي، وهي حق مشروع دولياً أيضاً.

لقد كتبنا فيما مضى عن الفيدرالية والحكم الذاتي والادارة اللامركزية، وقلنا مثل غيرنا من الناشطين الكورد بأن هذه المطالب "اللامركزية الادارية" كالحكم الذاتي والفيدرالية، ليست "انفصالاً"، بل على العكس تعزز وحدة البلاد ذات القوميات المتعددة، كما نراها مطبّقة في العديد من بلدان العالم، المتقدم والمتأخر وما بينهما من عوالم متفاوتة في التطوّر الاداري – السياسي.

وأعود هنا مرّة أخرى، حيث استمع الآن لدى كتابة هذا المقال إلى معارض سوري "ديموقراطي" وحقوقي من "اعلان دمشق" يتحدّث في احدى غرف البالتوك الكوردية، ناصحاً الكورد السوريين بترك التاريخ جانباً (أي تاريخ مظالمهم ومعاناتهم وحضارتهم) والعمل من أجل "دولة المواطنة" أي الكف تماماً عن المطالبة باللامركزية الادارية – السياسية (الحكم الذاتي أو الفيدرالية)، فهما برأيه (وهو القانوني الحقوقي) نزوع نحو الانفصال وتفتيت البلاد، ولكنه ذكي ويغطي كلامه ببرقع من المصطلحات الديموقراطية وعبارات الحداثة فيدعو إلى التعلّم من التجربة الأوربية في بناء دولة المواطنة هذه، وكأنه يستغبي شبابنا الكوردي، الذي يعلم تماماً أن هذه الدول الأوربية لاتحث على تطبيق اللامركزية الادارية – السياسية (الحكم الذاتي أو الفيدرالية) فحسب، بل تطبقها بذاتها في العديد من بلدانها تطبيقاً عملياً ذي نتائج إيجابية، كما هو حال الألمان في بلجيكا، والدانماركيين في ألمانيا، والكاتالونيين في اسبانيا، والسويسريين والايطاليين وغيرهم...

إن نظام اللامركزية الادارية (*) يعني تعدد مصادر النشاط الاداري في دولة من الدول، عبر توزيع وظائف الدولة الادارية بين الحكومة المركزية والهيئات المحلية (الاقليمية) ومن خلال القيام بممارسة اختصاصاتها على أساس اقتصادي أو ضمن جغرافية معينة، وهذا النظام الاداري قد يكون على شكل لامركزية صناعية أو فنية أو ثقافية أو رياضية، ولكنها عندما تصبح لامركزية على أساس سياسي فإنها تدعى ب"الفيدرالية" (**).

هذه الفكرة قديمة وحركية متطورة تاريخياً، ذات تباينات وتعددية في توزيع وظائف الدولة ومؤسساتها المختلفة، الادارية والاقتصادية وسواهما. وهو نظام يعني وجود تنوّع في الصلاحيات والممارسات وتوزيع المهام على وحدات محلية (اقليمية) ذات استقلال ذاتي، تحت رقابة ونظر السلطة المركزية في الدولة، وليس في غياب عنها.

وهذا يقودنا إلى التأكيد على وجود:

- مصالح محلية للمتحدات الاقليمية في الدولة
- وجود هيئات تقوم بأداء المهام وتنفيذ تلك المصالح المحلية
- وجود رقابة عامة (مركزية) على هذه المصالح والهيئات الاقليمية

طبعاً، هذا لايمكن تحقيقه وتنفيذه دون وجود (ذمّة مالية) مستقلّة عن (الذمة طبعاً، هذا لايمكن تحقيقه وتنفيذه دون وجود (ذمّة مالية) مستقلّة عن (الذمة المالية المركزية)، يسبقه اعتراف بوجود الجماعة الاقليمية التي لها الحق في ممارسة هذه المصالح الاقليمية. ومن البدهي أن تعيش هذه الجماعة على أرض (رقعة جغرافية)، كما لا يمكن القيام بأي عمل بشكل فوضوي، لذا يجب السماح لهذه الجماعة أن يكون لها (مجلس محلي "اقليمي") منتخب، أي نوع من "الاستقلال المحلي الذاتي"، وهنا لا تختلف اللامركزية الادارية عن (الحكم الذاتي الداخلي) الذي فصلنا أمره في مقالات سابقة.

ولذا يمكن القول بأن من شروط وضرورات استقلال ذاتي كهذا الذي نذكره وجود:

- شخصية معنوية مستقلّة
- ذمة مالية اقليمية
- مصالح اقليمية

وفي هذا تبيان للفارق بين الدولة المركزية والدولة القائمة على أساس اللامركزية الادارية. وعليه فإن القومية الكوردية التي فرضت عليها ظروف سياسية تاريخية معينة العيش ضمن اطار دول ذات غالبيات سكانية غير كوردية (عربية، فارسية، تركية)، والتي تقوم كأي قومية أخرى على أساس وحدة التاريخ والأصل واللغة والشعور والآلام وألامال المشتركة، وقبل كل شيء العيش على رقعة أرض وفي اطار جغرافيا محددة لا يمكن أن يتجاهلها أو ينكرها إلا جاهل أو ظالم، لها الحق حسب الأفكار الدولية المطبّقة عملياً في أنحاء عديدة من العالم، والمعترف بها دولياً، أن تتمتّع بأن تكون لها مصالح خاصة بها تديرها بنفسها بأسلوب لامركزي، وباستقلال ذاتي، وذمة مالية اقليمية، وأن تحصل على الاعتراف بوجودها على أرضها التاريخية، إن كانت لا تستطيع الحصول بسبب ظروف موضوعية وذاتية حالياً على استقلالها كشعب واحد (الشعب الكوردي) على أرض وطنها (كوردستان) التي اعترف بها سلاطين العثمانيين والفرس من قبل أن تتكوّن الدول القومية العراقية والسورية والتركية بقرون، بل إن تسمية "كوردستان" ربما تكون جاءت من السلاجقة وليس من الكورد أنفسهم.

الدولة الفيدرالية (الاتحادية) - State Federal

أصل كلمة (فيديرال) آتٍ من (فويودوس) الذي يعني (اتفاق، عصبة، تحالف، عقد وثيق...) لدى الاغريق.

الفيدرالية أساس للحكم والاتحاد لولايات أوقاليم أو دول تعيش مع بعضها دون انفصال ودون وحدة مركزية تامة. وهي فكرة ادارية عريقة في التاريخ، منها (ائتلاف الولايات اليونانية) تحت اشراف مجلس الأمفكيويين، أو اتحاد مدينتي أثينا وديليا، قبل الميلاد، وكذلك عمل الهندوس بفكرة الاتحاد (الفيدرالية) في ولايات ڤيرات، سوبتاجانا، پينجاب. كما عمل المسلمون إلى حد ما بفكرة الفيدرالية، كما في زمن الأيوبيين الذين كانوا تابعين إلى دولة الخلافة في بغداد رسمياً، إلاّ أنهم كانوا يتمتّعون بحرية واسعة للغاية في ادارة بلادهم الواسعة الممتدة من اليمن إلى شمال كوردستان، ومن أعالي ليبيا إلى ولاية صلاح الدين في العراق، بل كانت مصر وسوريا تداران بشكل لامركزي، من سائر النواحي، وبخاصة في مجالي الضريبة والجيش. وتأسست فيما بعد الولايات المتحدة الأمريكية بعد مؤتمر مؤتمر أنابوليس للعلاقات التجارية 1786 ومؤتمر فيلادلفيا عام 1787م.

الدولة الفيدرالية هي التي تتضمّن كيانات دستورية متعددة، لكل منها نظام قانوني خاص واستقلال ذاتي، وتخضع كلها لدستور فيدرالي (عقد سياسي بين مكونات الدولة الفيدرالية) ينظّم البناء القانوني والسياسي للكيانات المتحالفة. والدستور الأمريكي يعتبر التشريعات الاقليمية باطلة إذا ما تعارضت مع نصوصه التي يصفها بعضهم ب"القانون الأعلى" الذي ينص على اختصاصات الدولة الفيدرالية واختصاصات الولايات، ولا يمكن تعديله إلا بموافقة 2 /3 من أصوات أعضاء الكونغرس (إن كان الاقتراح من داخل الكونغرس) وبموافقة ¾ من أصوات الولايات (إن كان الاقتراح منها). كما للدولة الفيدرالية صلاحيات ومصالح في داخل الولايات والأقاليم لايجوز للولايات والأقاليم الاعتراض عليها أو منعها.

نشوء الدولة الفيدرالية

إما أن تنشأ الدولة الفيدرالية بتفكيك دولة واحدة (مثل الاتحاد السوفييتي 1922، البرازيل 1891، الأرجنتين 1860، المكسيك 1857، تشيكوسلوفاكيا 1969) واعادة بنائها على أساس دولة فيدرالية، أو بتنازل بعض الامارات والولايات والدول عن بعض سلطانها وسيادتها لصالح تكوين دولة فيدرالية (مثل الولايات المتحدة الأمريكية 1787، ألمانيا الفيدرالية 1949، سويسرا 1874، اتحاد الامارات العربية 1971) أو بتغيير دستور دولة موّحدة ومركزية إلى دولة قائمة على أساس فيدرالية ومركز (مثل العراق بعد اسقاط نظام البعث في عام 2003)... وفي كل من هذه الأساليب عنصران يبدوان متناقضين، هما (الاتحاد) و (الاستقلال الذاتي).

الاتحاد الفيدرالي الذي يشكّل فيه المضمون السياسي أساساً قد يتكوّن بسبب حاجة الشركاء إلى تأمين القوة والمنعة، للدفاع عن النفس، كما في حال الاتحاد السويسري،أو لأسباب تجارية واقتصادية كما في حال اتحاد عدة ولايات شمالية ألمانية (هانزا شتاتن) في عهد المستشار الشهير بسمارك، أولكل هذه الأسباب مجتمعة كاتحاد الامارات العربية، أو انهاءً للصراعات المسلّحة والسياسية بين القوميات كما هو حال العراق، حيث توقفت الحرب بين الحكومة المركزية والكورد باقامة النظام الفيدرالي الجديد، وتحوّل قادة الكورد العسكريون والسياسيون إلى بناة مشاركين في تأسيس الدولة العراقية الجديدة. ولا يخفى أن هذا التنازع المستمر في الدولة الاتحادية بين عنصري (الميول الاتحادية والنزعة الاستقلالية) سيستمر، بل هو الذي يضمن بقاء واستمرار الدولة الفيدرالية.

قبل الانتقال إلى الجزء الثاني من موضوعنا هذا، أوّد التنويه إلى أن هذه العبارة (ذريعةً" لهم) سقطت سهواً من الجملة الثانية في الجزء الأوّل المنشور في عدة مواقع. ومن ثم أريد التأكيد على أن لا داعي للخوف من فيدراليات كوردية في أجزاء كوردستان المختلفة، فهي ستكون صمام أمان لوحدة تلك البلدان وليس باباً للانفصال. ولذا أوّد متابعة الكتابة عن هذا الموضوع لأنه بالنسبة لي ولشعبي الكوردي هام، ولكنه هام أيضاً بالنسبة للشعوب التي نعيش نحن الكورد معها جنباً إلى جنب، والله تعالى قد خلقنا نحن الناس جميعاً "شعوباً وقبائل" لنتعارف، لا لنتحارب ونتنازع ونتقاتل، فالأصل هو الاعتراف بالوجود القومي لجميع الشعوب، ومنها الشعب الكوردي، وليس الزعم بأنه مجرّد "مواطنين من نوع آخر" منثورين كالبهار الأسود على الرز المسلوق.

خصائص الدولة الفيدرالية

أساس الدولة الفيدرالية (الاتحادية) هو فكرة "الاتحاد" وليس "الانفصال"، ولذلك سميت بالدولة الاتحادية ولم تسمى بالدولة الانفصالية. وتعبّر فكرة "الاتحاد" هذه عن نفسها من خلال مختلف التنظيمات السياسية والقانونية والادارية للدولة الفيدرالية. ويوجد في هذه الدولة مجلسان بدلاً عن مجلس تشريعي واحد. المجلس الأهم والأعلى والأوسع صلاحية هو المجلس التشريعي للدولة المركزية، حيث المفترض أن يتساوى ويتعادل فيه تمثيل الأقاليم أوالولايات، والمجلس الاقليمي الأدنى والأقل صلاحيات، وينتخب بشكل مباشر كأي برلمان آخر من قبل سكان الولاية دون غيرهم من سكان البلاد، وهذا المجلس هو ممثل الشعب في الاقليم، أما في كندا فيتم اختيار مجلس الولايات العام بالتعيين مدى الحياة، في حين يتم انتخاب أعضاء الكونغرس الأمريكي، وكذلك كما كان في الاتحاد السوفييتي سابقاً، أو يتم انتخابه -كما في فنزويلا- من بين أعضاء المجالس التشريعية للاقاليم أو الولايات، في حين أن النظام الفيدرالي الألماني يحكم بوجود ممثلين لكل ولاية ألمانية في المجلس الأعلى (بوندسرات أي المجلس الاتحادي) وهو غير البرلمان الاتحادي الذي ينتخب في كل البلاد انتخاباً مباشراً، كما انتخب البرلمان العراقي الأخير منذ أيام قلائل.

كان لكل جمهورية فيدرالية في مجلس السوفييت الأعلى (32) نائباً، في حين أن لكل ولاية أمريكية عضوان فقط في الكونغرس، وفي الهند، كما في ألمانيا يتم ذلك على أساس نسبة عدد سكان الولايات ومساحتها وليس على أساس التساوي. ..... يتبع .....

نسوة في المدينة

بتن أدب الاعتراف والسيرة الذاتيّة

فاطمة نزّال

كم سيعرّي هذا الكتاب من عورات؟ هل سيكشف ضعفنا الإنساني كبشر؟

كم منا سيواجه المرآة دون أن يكسرها؟ كم منا سيتصالح مع ذاته ويتقبلها؟

كم منا سيزيح هذا العبء من المثاليات عن كاهله؟ كم منا سيرجم كاتبها وسيجلده بسياط الستر والفضيلة؟ أي إشكالية سيثيرها هذا الأزرق القاتم بشفافية فراس حج محمد وتحت أي مسمى سيندرج هذا النتاج الأدبي؟

هل كان يهدف الأديب والناقد فراس حج محمد إلى الشهرة وإثارة الرأي العام كونه معروفا في جرأته غير المعهودة في طرح أفكاره وما يخالج نفسه في مجتمعنا المحلي والعربي وهو المتأصل القروي الناشئ في كنف حزب إسلامي متشدد والمنتسب مؤخرا الى حزب يساري، أم له غرض آخر؟

هذه الجرأة التي وردت بأكثر من مقال إشكالي كادت تخسره وظيفته في سلك التوجيه التربوي ، وجمدت تقدمه فيها وحجمت دوره.

هذا البوح الذي يعري كاتبه بالدرجة الأولى ويضعه في مقصلة الرقيب، الرقيب المجتمعي الذي يرفض بأي حال هذا الجهر "بالرذيلة" تحت مسمى الأدب، وحتى نكون منصفين علينا أن نقرأ ما بين سطوره من خيبات وما يفرغه من حمولة خطيرة تكاد تكون ظاهرة وإن تعامينا ووضعنا رؤوسنا في الرمال.

المتتبع لما ينشره الكاتب على جداره في الفضاء الأزرق من فيس بوك وتويتر إلى المقالات التي تنشر في الدوريات الإلكترونية والورقية أو ما نشره من إصدارات، من كتابه "يوميات كاتب يدعى **x**" إلى كتاب" و"كأنها نصف الحقيقة" و"ما يشبه الرثاء" ومؤخرا "نسوة في المدينة" يستشف بوضوح أن لديه مشروعه الأدبيّ الذي يعكف على تكريسه، بتمرد على نمطية الكتابة وثورة على تدجين الكاتب وتكبيله بالسائد المجتمعي المرضي عنه، وإطلاق مارد الكاتب المتجلي في ذاته الحقة المتصارعة مع ذاته الثقافية المكتسبة بفعل الاجتهاد. وهذا يقودنا إلى البحث عن رواد من الكُتّاب في مجال يسمى "أدب الاعتراف"، فما هو هذا المجال؟ وهل نجده في ظل مجتمع منغلق الثقافة محاصر ومتخم بالذاتي؟ وماذا يختلف عن أدب السيرة؟

يقول مايكل سبرنكر في كتاب "حياتي" ص82: "لا تتحقق السيرة الذاتية إلا في نطاق الكتابة التي تتضافر فيها مفاهيم الذات والأنا والمؤلف وتنمحي الحدود بينها في عملية إنتاج النص". وهذا ما يؤكّده برنارد شو بقوله "أروع السير الذاتية هي الاعترافات، ولكن الكاتب لو كان عميقًا فإن كل مؤلفاته تصبح اعترافات".

والاعترافات ترتبط عادةً بالأنا وعلو هذه النزعة، يقول جان جاك روسو في سلسة اعترافاته ص9: "إنني مُقدم على مشروع لم يسبقهُ مثيل، ولن يكون له نظير؛ إذْ إنني أبغي أن أعرض على أقراني إنسانًا في أصدق صور طبيعته.. وهذا الإنسان هو: أنا". ويستطرد "فإذا ما انطلقت صيحات بُوق البعث، عندما يُقدّر له أن يدوّي، فلسوف أمْثُلُ أمام الحاكم العادل، وهذا الكتاب بين يديّ، ولسوف أقول في رباطة جأشٍ هذا ما فعلت، وما فكّرت، وما كنتُ، لقد رويت في كتابي الطيب والخبيث على السواء، بصراحة، فلم أمحُ أي رديء، ولا انتحلت زورًا أي طيّب، لقد صوّرت نفسي على حقيقتها، في ضعتها وزِرايتها، وفي صلاحها، وحصافة عقلها وسمُوّها. لقد كشفت عن أعمق أغوار نفسي، كما كنتَ أنتَ تراها، أيها الخالد السرمدي".

ومن هذا المنطلق كما يبدو لي انطلق فراس حج محمد في خوض غمار هذه التجربة التي تحمل ما تحمل من مخاطرة قد تودي بكل ما عكف على بنائه أو قد تنقله إلى مصاف أعم وأشمل، له مؤيدوه ومناصروه وإن خفت صوتها اتقاءً للعاصفة التي سيثيرها. يقول في كتابه "نسوة في المدينة" ص13: "ثمة أشياء ستحدث لي بعد نشر هذا الكتاب، سيشيع بين القراء شيوعا كبيراً وسيطبع منه عدة طبعات عربية ومحلية وسيزوّره تجار الكتب أما أكثر الأحداث توقعا فهي ترجمته لأكثر من ثلاثين لغة"، ويستطرد: "هذا الكتاب على ما فيه من سرد سيكون طاغيا ليس لأنه يتحدث عن كاتبه كما هو عار عن كل بلاغة وجمال لغوي، بل لأنه سيشكل علامة فارقة في مسيرة الكتب التي تتحدث عن شيء مجهول حتى لكاتبه غير المعروف حتى لحظة انشائه أول جملة فيه".

واذا أسقطنا ما أورده روسو في اعترافاته على ما صدّره الكاتب حج محمد في "نسوة في المدينة" فإننا نجد أن الكاتب يريد أن يتطهر بهذه الاعترافات ويتخلص من وزرها بمكاشفته ودلقها دون أن يحسب حساباً لما ستتركه من أثر سلبي على متلقيه فما يهمه قبل ذلك وفي الدرجة الأولى سلامه الداخلي وانعتاقه مما يجيش في صدره وما يحمله على ظهر حقيقته من تجارب قاسية أودت بكل ساكن، وقلبت كل ثابت حيث يقول"تجاربي في هذا الكتاب واقعية وحقيقية بالكامل، لم تكن على سبيل التخيل أو التعويض النفسي الذي لا أؤمن به، إنني هنا اتقيت شر نفسي بنفسي وأحسنت إليها فكتبتها عارية دون أي مواربة ودون التمترس خلف نظريات اجتماعية وفلسفية وفكرية وأخلاقية ودينية.

كنت مقتنعا أنه من الجميل أن تكتب كل ما تستطيعه لتكون أنت كما أنت لا كما يريدك الآخرون . لا شيء أخجل منه وقد حدث كل ذلك بكامل إرادتي".

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم

على رأي الشاعر العباسي المتنبي يتسائل حج محمد بمرارة ص78: "هل كنت سعيدا بعقلي؟ وهل هو مآل خراب النساء الراحلات وحسب؟

ثمة آخرون خربوا عقلي كذلك، الأحزاب والسياسة كانت أقل تخريبا، المؤلفون العرب والأجانب، كانوا كثيرين يربض كل واحد منهم في كتابه يتربعون على حصيرة عقلي فاتحين كتبهم فتتطاير منها الأفكار واحدة واحدة كمثل فراشة نار أو ربما كتنّين أسطورة تتسابق وتتصارع على التهام ما تبقى من خلايا عقلي الخرب. فكيف السبيل إلى طردهم خارج العقل لعلني أنظف من غوغائيتهم وجلبة أفكارهم الضاجة والصارخة؟ يا ليتهم لم يعرفوني ولم يدخلوا حيث هم الآن".

ما افتتحت به مقالي هذا من تساؤلات يضعنا أمام إشكالية تتعدى الكتاب وفحواه، فالأدب العربي عدا الغربي قديمه وحديثه زاخر بالكثير من الأدبيات الجريئة التي تسمي الأشياء بمسمياتها دون مواربة أو حتى رمزية، وفي ظل الانغلاق الذي نعيشه في عصرنا الحالي وعدم اطلاعنا وتبحرنا في القراءة وتبنينا نظرية المؤامرة لطمس ما نتباهى به من إرث أدبي معرفي. بعض المتلقين يقولون لا نريد معرفة هذا ولا يعنينا. وهذا صحيح؛ إن التعري يجعلنا نشعر بعدم الارتياح، كما لو أننا نتلصص متواطئين.

من المفترض بالأدب الاعترافي الإقرار أو ما يعادله، ولكن إذا شعرنا بالقرف، والاستحالة، فقد فشلت المهمة. المؤلف يمد يده مستنجدا مستصرخا، لكننا نرفضها. عندما يكاشفنا بأموره الخاصة ويتيحها هكذا إلى العامة، سيواجه احتجاجات وسخط وسب ربما. ولكن أيضا بالمقابل سيكون هناك قراء يشعرون بالتصالح مع ذواتهم، ويمتنّون لما تمّ تدوينه.

يمكن للسرد أن يحظى بالقبول. ولكن إذا كنا في الأدب نرفض حرية الكلمة والارتجال، وإذا كانت قيمته تكمن في كسر القواعد عن طريق قول الحقيقة، وإن كانت موجعة إلا أنها بالاعتراف تعتبر أصدق أنواع الأدب، وبالتالي فإنّ أدب الاعتراف بما يتمتّع به من صدق ومكاشفة ذاتية يعدّ أحد صور السيرة الذاتيّة الأكثر دلالة على الذات وتجاربها في بعديها النفسي الذاتي والبعد الاجتماعي، كما هو واضح في كتاب "نسوة في المدينة".

وأيّا كان، فإنّ ما أورده حج محمد في كتابه من ما يجري في غرف الدردشات الزرقاء، وعلى قدر انخراطه في هذه اللعبة التي خرج منها بعقل خرب، كما وصف نفسه، إلا أنه يكشف الخراب الذي يداخلنا جميعا، وإن تفاوتت جرأتنا في مواجهة أنفسنا، ومواجهة مجتمع كامل يتظاهر بالفضيلة في العلن بينما يمارس في الخفاء كل رذائله. مجتمع استفحل فيه المرض، مكابرا يسير إلى الهاوية، بينما ببعض المكاشفة والشفافية والاعتراف يجد السبيل ليتعافى.

* صدر الكتاب عن دار الرعاة للدراسات والنشر، وجسور ثقافية للنشر والتوزيع، رام الله وعمّان، 2020.

قراءة في كتاب "نِسوةٌ في المدينة"

بالأبيض و الأسود

صفاء أبو خضرة

"وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ، قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا، إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ". (يوسف، 30)

هل فعلها الكاتب فراس حج محمد؟ لا بُدّ لهُ من ذلك وهوَ العارف باللغة، فالنسوةُ جمعُ قلّة، لذلك كانت التسمية (النسوة) وليس النساء (جمع كثرة).

ثم سألتُ نفسي بعدَ قراءة العنوان وخطرت ببالي تلك الآية الكريمة، وراودتني مخيلتي الروائية بأنّ نسوة فراس في مدينته مثلُ هؤلاء النسوة اللاتي قطّعنَ أيديهن دلالة على الفتنة والشهوة..

لكنَ نسوة فراس، كانت فتنتهنّ ذلك الفضاء الأزرق، تلك البوابة العمياء التي لا تبصر، واستطعنَ الاختباءَ والتخفّي خلفها.

أما اللغة، والصنعة اللغوية التي تميّزت بها لغة الكتاب، هي ساحة النزال بين عوالم فراس ونسائه، فجعل من (مدينته) تجمّعاً لمدنٍ كثيرةٍ وبعيدةٍ في واحدة.

كما أنّه كتبَ نصوصه وأسرارهُ هذه بالأبيض والأسود، دونَ مؤثرات خارجية أو (فلتر) تجميلي حتى، بل كتبَها كما هي بسوادها وبياضها دون ملوّنات، لتكون له مطلق الحرية في فضائه ليكتب ما يشاء، عمّن يشاء، وكيفما يشاء..

وهنا قد يختلف كثيرون معهُ بمفهومه المطلق للحرية، وكنتُ واحدةً من هؤلاء عندما توقفتُ عند بعض المشاهد الساخنة ليجرحني سؤال دون أن أجد لهُ إجابة شافية (ماذا أرادَ فراس بالتحديد من هذه المشاهد؟)، فالمشهد ليس مشهداً اضطرارياً في رواية، وليست سيرة ذاتية ليكون حريصاً على الصدق والوصف التامّين لما وقعَ فعلاً، بل كانَ وصفاً حقيقياً كما ذكر في مقدمة الكتاب أن تجربته حقيقية، كما ورد في الصفحة رقم (8) على لسانه: "تجربتي بل تجاربي، في هذا الكتاب واقعية وحقيقية بالكامل ولم تكن على سبيل التخيّل أو التعويض النفسي"..

هل أرادَ أن يكون حراً على طريقة غاندي بقوله: "الحرية هي روح الإنسان وأنفاسه، فكم ثمن هذه الأشياء؟"..

فكان حراً طليقاً في فضائه دون أن يتركَ لنفسه عناءَ التفكير في العواقب، لأنّ قلماً حراً لن يكفّ عن التغريد والتحليق حتى في العتمة.

أو على طريقة مارتن كينج بقوله: "لا يستطيع أحد أن يمتطي ظهركَ إلا إذا انحنيتَ له"، فأرادَ أن يخفف وطأةَ حملٍ ثقيل على كاهل ذاكرته فعرّاها كما يعري برتقالةً من قشرتها..

ربما فعلَ هنا ما لم يخطر ببالنا للوهلة الأولى، على طريقة جيمس بالدوين بقوله:"الحرية لا تُمنح وإنما يتم انتزاعُها"، أن يصنعَ حريةً ما لنساءٍ غلبهنّ الواقع فلم يستطعنَ البوح بعلاقاتهن لأسباب مجتمعية ودينية وشخصية، فأعطى لنفسه الحق بأن يفتح لهنّ الباب على مصراعيه كأنهنّ عصافير طيّرهن الى فضاء لا يُعرفُ لهن فيه أسماء وأتاح لهن "الفضفضة" غير المباشرة، انتزعَ منهنّ ومعهن حكايات الحب والجسد والشهوة وأطلقهنّ عبرَ كتاب..

وربما نصّبَ نفسه الأمل الذي تحدث عنه ابراهام لينكولن "بأن ***الحرية هي آخر وأفضل أمل على ظهر الأرض***"، فأطلق لنفسه العنان وكتب ما كتب، ليكون الأفق الذي أطلق لهؤلاء النسوة الفرصة بالصراخ والنشيج (نحن نحب، نحن نشعر، نحن نخطئ، نحن ونحن ونحن)، ولن يحاسبنا أحد لأننا مجرد حكايات وأسرار مجرد كشفنا اختفينا..

استوقفتني جمل كثيرة وجميلة وثرية في الكتاب منها:

"لم أكن جميلاً بما يكفي، كنّ أجملَ مني، وهنّ يهدينني أجمل ما لديهنّ من طقوس لأصنع تماثيلي اللغوية".

كل تمنياتي بالتوفيق للكاتب، آملةً لهُ الانشقاق عن نسوته، لتُعمّرَ كتبهُ بما يفيض من إبداع متجدد، فأن يتعدد الكاتب باتجاهاته وأفقه يجد بصيرة أخرى، قد يلوك فيها ما كتب سابقاً دون انتزاع حريته التي يشاء.

فضح المستور

أفضل طريق للمواجهة

جيهان سامي أبو خلف

إنَّا إنَاثٌ لِما فِينَا يُولِّدُه فلنحمدِ اللهَ مَا فِي الكونِ من رَجُلِ
إنَّ الرجَالَ الَّذِين العرفُ عَيَّنَهُم هُمُ الإنَاثُ وَهُم سُؤلِي وَهُم أمَلي

(الوصايا، ص14)

بهذا المفهوم، وهذه النظرة العميقة للأنثى وكينونتها وأصالتها التي صاغها سلطان العارفين محي الدين بن عربي أبدأ قراءتي المتواضعة لكتاب "نسوة في المدينة" للكاتب والشاعر الفلسطيني فراس حج محمد.

"هُمُ الإنَاثُ وَهُم سُؤلِي وَهُم أمَلي"

كيف لا تكون الأنثى سؤله وأمله وهي رحمٌ رحيمٌ لسر التكوين كله، وهي أصل ديمومة هذه الحياة البشرية والروحية، المرأة التي جُعِل فيها ما لا غنى للرجل عنه، تلك التي تجذبه إلى معادلة كونية دقيقة يشعر فيها الرجل بفقره وضعفه ويترجم قوته الحقيقة بحضورها وبمعيتها.

هذان العنصران البشريان اللذان يرتكز الوجود على اتصالهما والتناغم الروحي والجسدي بينهما، لمَ لا يصحُّ لكاتب أو لشخص ما أن يُعبّر عن تلك العلاقة بينهما بشيء من الأريحية وفق ما يراه، ووفق مفهومه الخاص ونظرته دون أن يُشنّع ويُقدح في خُلُقه وتربيته وأصالته؟

كتاب "نسوة في المدينة"، منتج نوعي من أربعة فصول، اجتمعت في (330) صفحة، وهو ذو فكرة مبتكرة، تتطرق لجانب خاصٍ حقيقيّ مما يُحاك وراء الكواليس في وسائل التواصل الاجتماعي، وخصوصا في هذا الفضاء الأزرق الذي جمعه بكثير من النساء، وبالأخص بملهمته الأبدية تلك المؤلمة والجِدَّ طازجة والتي خصص لها فصلًا كاملًا لتعلقه الشديد والصادق بها.

كتابٌ صُنِّفَ كأدبٍ سرديّ، شخصيًا رأيت فيه أيضاً مزيجًا من أدب الرسائل والسيرة الذاتية، البطل في الكتاب واحد، وهو السارد ذاته، لا يخفى على كل قارىء قوة النصوص من الناحية الأدبية الفنية، وجرأتها، بل أقول إنَّ الكاتب كسَّر الحواجز كلها في توصيف تلك العلاقات، وخرج عن النمط العام في السرد المستتر وراء الكلمات المحتشمة.

فرغم متانة النصوص وتلقائية السرد وجمال الصور البلاغية فيه، إلا أنَّ الكتاب قد نال من التشنيع ما نال، بسبب المضمون، وفضّ بكارة الحياء على مرأى ومسمع من القارىء دون حجاب ولا ستار، فالكاتب تعرّض لتفاصيل هذا الجمع العشقي بين الأنوثة والذكورة عموما، جسديا وروحيا، وأرى أن الأمر يخص الكاتب وحده، الكاتب وحده من يختار أسلوبه، لا يجب أن نملي نحن عليه شيئا، فالروح عندما يفيضُ مدادها يبدأ جوهر الكتابة حقًا، ولا شيء يوقفها وهنا يكمن الجمال الحقيقي، فما الكتابة إلا عملية قذفٍ لمكنونات النفس إلى الخارج بطريقة صانعها الخاصة، مترجما رسالة ما، لبيئة ما، بأسلوب يرتضيه هو ويمثّله، هنا فقط يسود كيانَه سكونٌ وطمأنينةٌ بدنية وفكريةٌ وروحية، فالكاتب له مطلق الحرية باختيار أسلوبه للقذف كما تختار أنت أيها المعترض أسلوبك في كل أعمالك.

لن أطيل الحديث عن النصوص وما حازت عليه من اعتراضات، دعوني أذهب لما وراء النص، للأمر الذي سيطر على تفكيري في كل صفحة من صفحات الكتاب، للأمر الذي دعا فراس حج محمد لأن يكون صاحب قلمٍ قويٍ جريءٍ قبّح المشهد العام وتعرّض لكشف عوراته الافتراضية في علاقات مع نساءٍ وصفها بتجارب واقعية وحقيقية والتي لم تكن من قبيل التعويض النفسي الذي لا يؤمن هو به، كتب بكل شغف وصدقٍ وحبٍ ورغبةٍ مكنونة في داخله، كتب كإنسان حقيقي خالٍ من أي تزييف، سبر أغوار روحه وعقله وأخرج كل تلك المشاعر المتفجرة القوية الصارخة الفاضحة دون ضغطٍ من أحد ودون التعرض لأذية شخص بعينه، فما الذي دعاه لوضع عنقه تحت مقصلة العوام والغوغائيين؟

وحقيقية والتي لم تكن من قبيل التعويض النفسي الذي لا يؤمن هو به، كتب بكل شغف وصدقٍ وحبٍ ورغبةٍ مكنونة في داخله، كتب كإنسان حقيقي خالٍ من أي تزييف، سبر أغوار روحه وعقله وأخرج كل تلك المشاعر المتفجرة القوية الصارخة الفاضحة دون ضغطٍ من أحد ودون التعرض لأذية شخص بعينه، فما الذي دعاه لوضع عنقه تحت مقصلة العوام والغوغائيين؟

كيف يخاطر باسمه ومهنته ويعرّض محبيه لمشرحة الجرح والتشنيع في مجتمع محاصر بعادات وتقاليد موجعة لا ترحم؟ ما هي رسالته الحقيقية؟

رأيتُ أن الكاتب استهدف بالأساس هذا المجتمع، الذي يضجّ بالقبح المبطون، ويصرّ على أن يظهر بثوب العفةِ والطهارة. ثم أظنه أراد تسليط الضوء بالعموم على علاقة الزوجين المرتبطين بزواج تقليدي لا فكاك منه، أو على زواجٍ يفتقر للسكينة والودّ بسبب فقدان الانسجام الفكري أو الروحي أو البدني، باختصار انعدام الحب والشغف في استكمال العلاقة معا، أراد تسليط الضوء على الأنثى بكينونتها الروحية قبل الجسدية وأهميتها في كونها ذاك الوطن الذي يحنّ وينتمي إليه الرجل مهما عاند نفسه أو قاوم حبّه وانجذابه إليها، فأراد بلغة ثائرة أن يخبرنا أنها تمثل محورا مهما لا يصحّ أن نتجاهله، والأمر لا يتعلق بالاتصال الجسدي وحسب، كما قد يظهر من لغة الكتاب العامة، فمخلوقٌ يسببُ اضطرابا عاما في وجود الرجل تؤثر عليه نفسيا وصحيا واجتماعيا وعقليا هذا ليس مخلوقا عاديا بالتأكيد، ولا يصحّ أن يكون مهمَّشاً.

اضطرب السارد وجنّ وماجَ فكان تارةً يعاتب نفسه على التنقل من حبّ إلى حب، وتارة يتعامل بأنفة وكبرياء، وتارة بخنوعٍ وتسليم بسبب المرأة، ذاك الجِرمُ الذي لا يحلو العيش إلا به، ولا يستقرُّ نبض القلب إلا بوصله، تلك الأنثى التي يجب أن تُحبَّ لذاتها رغم علّاتها، فمن أحبّ الجمال المكنون فقد أحب اللّهَ حقيقة، لأن اللّهَ جميلٌ سبحانه.

الكاتب لا يختلف عن أي إنسان آخر في حبه للمرأة عموما وتعلقه بها، هو فقط سمح لنفسه أن ينفجر من القاع إلى الجبل وأن يطفو بحبه وعلاقاته إلى السطح، هو فقط تحلّى بالجرأة والقوة على المواجهة، أما من حيث الوجود فالكل يعيشُ بحياة ملغومة محفوفة بالمخاطر ولو كُشِف عنا الستر لعمّت وطغتْ روائح أفعالنا، وذنبٌ عن ذنبٍ لا يختلف برأي، فجوهر الذنوب عموما هو مخالفة لأمرٍ رباني، إنما مجتمعاتنا هي من تحكّمتْ حقيقةً وجعلتْ تبرُّجَ امرأةٍ أقذر وأعظم من الكذب والرياء، هذا موضوع يطول، وهو جرحٍ غائر فينا يحتاج لمقال طويل وهذا ليس مقامه بالتأكيد.

الفصل الأخير كان مختلفا، بالنسبة لي كان مؤثرًا، يرفق فيه السارد (108) مدونة يومية لإحدى النساء المغرمات به، مدونات بسيطة في لغتها، موجِعة في جوهرها، نقيّة في طرحها، تلك المرأة التي تصبر وتصبر وتصبر وتعاني الكثير من الألم والهجر والولع، تحبُّ بصدقٍ وتنطقُ الصِّدقَ ، تلك التي ينطبق عليها الحديث الشريف: "مَنْ عشِقَ فعفَّ فماتَ، ماتَ شهيدًا".

حقا وصدقًا:

لا يعرفُ الشوقَ إلا من يكابِدُهُ ولا الصّبابةَ إلا مَنْ يُعانِيها

وكما يقول ابن عربيّ: "كلّ مكانٍ لا يؤنّثُ لا يعوّلُ عليه".

يؤخذ على الكتاب التكرار في الفصل الثالث "مصابيح زرقاء في ليل المدينة"، هي تجارب مختلفة كل واحدة على حدةٍ، لعل الكاتب أراد إدراجها للتوثيق أو لأي سبب يخصه، إنما شعرت بشيء من الإطالة التي أدتْ بي إلى الملل، برأيي كان من الممكن الاستغناء عن بعضها دون أن تُحدِثَ في النّص خللاً.

بقي لدي سؤالٌ يقضُّ مهجع عقلي، كان مثارًا عندي في السابق، والحقيقة أن هذا الكتاب أعاد تأجيج التفكير فيه: هل فعلا يستطيعُ المرءَ منّا أن يقع في حبٍ صادقٍ نوعيّ لأكثر من شخصٍ في مراحل متنوعة من عمره؟ وهل من الطبيعي أن يشتركوا معا في ذاك القلب مع العلم أن الكلّ لهُ زخمه؟

اخترتُ لكم هذا الاقتباس، وبه أختم بعد الشكر الجزيل للكاتب والشاعر فراس حج محمد على هذا العمل السابق لنوعه، وأنا أكيدة بأن الكتاب سيستفزّ أعماقنا حتى ولو شنّعوا به، فقد اعتدنا أن يفارق الظاهرُ بواطنَ الأمور والمواقف.

يقول الكاتب: "لن يكذب العرّاف هذه المرة، وسيكون الحلم الأخير صادقا وحقيقياً وحادًا كحافة الشّفة اليابسة، سينبتُ الظلُّ الأسودُ وينشرُ كغمامة محمّلة بعناقيدَ أرواحٍ حارّة متدلية بأطراف الذنب القصير، وستتأرجح حرّة في تلك المسافة بين أول نقطة في اللامرئي وصولا إلى التلاشي في السديم الأسود سنضيعُ كما ضاع النّص الأخير للعرّاف المشاكس الذي راود الأقدار عن مسالكها، لن نجد حبلا نتشبث فيه، ستموتُ الفكرة التي انحنتْ كلماتها ويبستْ عروقها وجفَّتْ سواقيها، وسيكون الخروج النهائي إلى تيه بلا حد".

طيرُ الحُلم في سماء

(أطياف متمرّدة)

لزياد جيوسي

رفعة يونس

ها هي الثمانية والسّبعون طيفاً تتغلغلُ في الذاكرةِ، وتبحرُ بين شغافِ القلبِ، هاهي أراجيحها تعلو بنا إلى سماءِ الوطن المقدّس، تحكي لنا مناجاةَ الكاتب والإعلاميّ (زياد جيّوسي) في أطيافهِ المتمرّدة، من خلالِ المتين والإحدى عشرة صفحة من كتابه، والتي عشنا بين ثناياها صباحاتهِ والمساءات، وارتشفنا مذاق قهوته اليوميّة، ورافقناه في جولاته المكوكية، في شوارعِ رام الله، وناجينا برفقتهِ أكفَّ الياسمين وعطره، وحلقنا مع الفراشات لنقبل وجنات الأزهار في حدائقها، يأخذنا زياد لنشتمَّ عبق الرّبيعِ في فصوله التي قاربت الأحد عشر عاماً، فترةً قضّاها الكاتبُ مكرها في رام الله التي يعشق، بعد أن صادر العدو الصهيونيّ حقه بهويتهُ الفلسطينيّة لإبعاده عن أيكة عشقه وهواه، وللأبد، أبى الكاتبُ أن يغادرَ وطنه بعد فقدان هذا الحق له كابنٍ لفلسطين وابن لرام الله، مثلما هو الابن لبلدته جيّوس.

نرى الكاتبَ قادراً على اصطياد الحُلم، على المعايشة معه ليلاً نهاراً، ليجتاز هذه المحنةَ، وهو يمثلُ بذلك تحايل الشعب الفلسطينيّ الأبيّ والقدرة على التأقلمِ وسط أقسى الظروف وأحلكها، وكسر كلّ القيودِ بالحُلمِ والأمل.

رسم جيّوسي من خلال كتابه (أطياف متمرّدة) سلالم للصّعودِ والبحثِ عن السّلامِ النفسيّ، والتّمتّعِ بكلِ ثانية من وجوده على أرض الوطن، حيث استحضرَ ما عايشه من حبٍّ عميقٍ، وانعتاقٍ للرّوحِ في مداراته، وظلَّ الوطن الجميلُ في قلبهِ وروحه، وفي عمقِ وجدانه وأحاسيسه، فالحبُّ واحدٌ، ومن يحبُّ بصدقٍ، هو من يقدرُ أن يحبَّ وطنه بكلّ الصدق.

سمح لنا زياد من خلالِ أطيافهِ تلك أن نجولَ في أعماقهِ، لنستشفَّ هذا الحبّ الواحد والذي لا يتجزّأ ولا يتشظّى، حبٌّ عميقٌ لقلبِ أنثاه، كما هو الحبّ العميق لمدينة رام الله، لشوارعها، وأحيائها، ولمعالمها، لبيوتها، ولسيلِ الذكرياتِ في كلّ زاويةٍ من زواياها، أحببناها وتعلقنا بها من خلال ما كتب ووصف وأبدع، أحببنا البيلسان ونسغه فيها، وتعلقنا بصنوبرها وكبريائه بأرجائها، عشقنا عرائش الياسمين ونقائهِ، عطرهِ، وابتسامات زهيراته، في ربوعها، سافرنا مع هذا الحُلمِ والذي طال مدة أحد عشر عاماً، وكأنَّ الحصار في الوطن لا يُعدُّ حصاراً، بل هو فترة بوْحٍ عاشها كاتبنا بكلّ حيويّةٍ ونشاطٍ، بكلّ فرحٍ، وهو يتحدّى هذا العدوّ ويقول له: ان تمكنت من سرقةِ هذه الأرض عنوةً، لن تستطيع أن تسرقَ الحُلم والأملَ من صدورنا، حتى وإن صادرتَ أراضينا لفترةٍ، لن تستطيع أن تصادر أحاسيسنا الصّادقة، وأرواحنا المحلّقة، نحن الأحياءُ وسط كلّ هذا الموت الذي يحيطُ بنا، ويتربّصُ بأجسادنا وأرواحنا، ونحن القادرون على التحليقِ ولأبعد سماء، مهما طال الحصارُ، وزاد الظلم علينا.

للكاتب والإعلاميّ (زياد جيوسيّ) بلقات من الاحترام والتقدير، والمحبّة، ودمت ودام حسّك نابضاً، وقلمك سيّالاً، في حبِّ الوطنِ وعشقهِ.

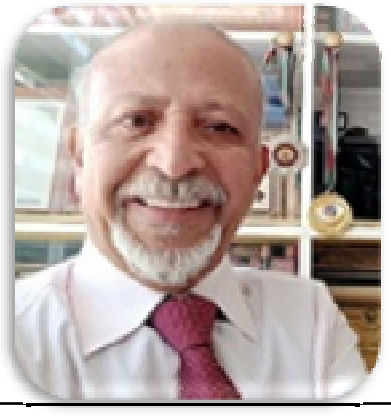

نسوة في المدينة

وحكايات لم تكتمل بعد

زياد جيوسي

"نسوة في المدينة" من آخر اصدارات الكاتب والشاعر فراس حاج محمد والذي اعتدت أن اخاطبه بصديقي المشاكس، فهو دوما في نصوصه ومقالاته يجيد المشاكسة بجرأة الطرح والوصول لموضوعات أحيانا قد لا تخطر ببال أحد، وفي الكثير من الأحيان كنت اتناقش معه مطولا سواء عبر الهاتف أو نوافذ التواصل الاجتماعي حول هذه الكتابات والنصوص والكُتب، وأذكر أن ديوانه الأخير أثار عاصفة من الهجوم عليه من نساء ومن رجال والبعض هاجموا الديوان بدون أن يروه واعترفوا امامي وأمامه بذلك، وأنهم كتبوا بناء على ما قرأوا عن الديوان فهاجموه وهاجموا الشاعر، وكنت دوما أرقب هذه الهجمات باستمرار وارقب العواصف التي تثيرها مقالات فراس.

من بداية الكتاب يبدأ الكاتب بالمشاكسة من خلال الإهداء "إليكِ لعل المسافة التي بيننا تصبح صفرا يوما ما"، فهل سيمكن للمسافة أن تصبح بينه وبين ملهمته صفرا وهو يتحدث عن علاقاته النسوية في الفضاء الأزرق وهو يؤكد منذ البداية أن ما يرويه هي علاقات فعلية وواقعية وحقيقية بالكامل عبر وسائل التواصل الاجتماعي ولا علاقة لها بخيال الكاتب، فعلاقته حسب ما يقول علاقة لغوية وسردية وليست عاطفية سواء مؤقتة أو دائمة، فهو في كتابه "المفخخ" هذا يعيد صياغة الحوارات مع تلك النسوة بأسلوبه الأدبي بدون أن يحدد شخصية أية امرأة منهن، وما لفت نظري تسمية الكتاب "نسوة المدينة" وأعتقد أن علاقات الكاتب كانت بأكثر من مدينة وأكثر من بلدة وقرية ولم تنحصر بمدينة واحدة، وفي نفس الوقت يؤكد أن بعض النسوة سقطن سهوا من متن الكتاب وبعضهن كانت حكاياتهن مملة حد المرض النفسي فلذا لم يذكرهن، وفي نفس الوقت يشير لامرأة الفصل الثاني انها من أثرت به رغم انه حين التقاها فعليا لم تكن تتق به، وهذه الاشارة لهذه المرأة تأتي وكأنها توجيه للقارئ ليبحث عن هذه السيدة بشكل خاص مما يصرفه عن باقي النسوة.

حين قرأت الكتاب لم أكن معنيا بمعرفة النسوة بمقدار معرفة ماذا اراد فراس من كتابه هذا، وما هي الحكاية الكامنة خلف الحروف والحكايات، فمن يقرأ لفراس شعرا أو نثرا عليه أن يقفز عما تقرأ عيناه وينحي فراس جانبا كي يخترق مسافات الحكايات الأخرى التي لم يرويها، ففي الفصل الأول "أصابعُ تشتعلُ بلهبٍ أزرق" تحدث الكاتب عبر مجموعة من القصص والسرديات عن الكِتاب وعن الكِتابة وعن الكُتاب وعن صديقه الذي أثر بكتاباته وعن مجموعة حكايات مختلفة تدور حول نفس الفكرة، اضافة للاشارة أنه يريد أن يكون كما الأنبياء وأنه نرجسي إلى درجة مرضية، فهل أراد الكاتب أن يوجه القارئ بعيدا عن مسألة ما ويدع تفكيره باتجاه "نسوة المدينة"؟ وهل أراد أن يوجهه إلى تمرد الكاتب في كتبه ومقالاته على "المحرمات" الثلاثة التي يصر فراس أن يقتحم اثنتين منها باستمرار: الجنس والدين، ويبتعد عن الخوض بالسياسة؟، وهل أراد أن يبعده أيضا عن بدايات الكاتب الدينية والسياسية؟

هي تساؤلات دارت في ذهني وأنا أقرأ بالكتاب بتمعن للمرة الثانية وهي تساؤلات لم تتوقف هنا، وبعد ذلك يتسلل للحديث عن النساء ذوات الطلبات من الكُتاب والشعراء ومن يرغبن ان يبقين الجميع يتراقصون من حولهن كما "القرود" كما اشار الكاتب، ونسوة أخريات بسلوكيات مختلفة في التعامل مع الكاتب، ولكنهن جميعا يبحثن عن استمرارية العلاقة أو اثارة جنون الكاتب وعصبيته وحفيظته وتمرده عليهن ثم العودة اليهن من جديد على طريقة المقولة: "يتمنعن وهن راغبات"، فهنا أرى الكاتب يحاول أن يحول بوصلة القارئ لما أراده منذ العنوان باتجاه نسوة المدينة، وكما قلت في السابق لا أعرف لما يصر أنهن نسوة المدن فقط، حتى أن الغلاف الأمامي جرى تصميمه ليوجه القارئ لذلك، حيث مجموعة من خمس فتيات يرتدين ملابس المدن وأمام بنايات شاهقة تشير للمدن، بينما يتصدر الغلاف رسم للكاتب وهو يدير ظهره للمشهد الشامل للفتيات والمدن، بتوجيه لما اشار له الكاتب أن علاقاته افتراضية وأنها " علاقة لغوية وسردية وليست عاطفية"، أو انه يريد أن يوجه القارئ عبر كل من ذكرهن من النساء أن كل النساء واحدة كما ورد في أحد النصوص في الكتاب؟، لكن بالتأكيد أن فراس تمكن بأسلوب قصصي جميل احتوى أركان القصة من مقدمة ومتن ونهاية ولغة سليمة وبطل واحد هو السارد والقاص، من امساك القارئ من يده كي يوصله إلى لب الكتاب وهو الفصل التالي وسيدة الكتاب ملهمة الكاتب وهي سيدة الفصل الثاني خصوصا.

في الفصل الثاني والذي اسماه الكاتب: "امرأةٌ مؤلمة مع أنّها طازجة" ووصف سيدته تحت عنوان الفصل بالقول:"تقترب وكأنها لم تهجر قط، وتبتعد وكأنها لن تقترب ابدا، لكنها ستبقى هي هي، وأنا سأبقى ذلك الخاضع لقوانين علاقتها الخاصة"، وبهذا الوصف نرى أن فراس اراد بكل ما سبق أن يوصلنا لهذه النقطة ولهذه المرأة التي أفرد لها فصلا خاصا من بين كل النسوة، وأنه وكما أشرت كان ذكيا بأسلوبه لشد القارئ للوصول لمراده وهو هذه السيدة التي تركت كل الأثر وحتى أني أعتقد أن الكتاب بأكمله كان من أجلها، وإن لفت نظري كيف وهو المتمرد دوما يقبل أن يكون: "الخاضع لقوانين علاقتها الخاصة"، فهل هذه لحظة ضعف انساني أم كبوة جواد؟ أم لأنه اعترف منذ البداية في ص 9 "من المؤكد أنها غيرتني، ولكني لست متأكدا أنها تغيرت"، حتى انه حسب قوله انها في ص 93 "تلبست الكاتب سردا وفكرا ومشاعر مضطربة"، ليبدأ عبر نصوص هذا الفصل بسرد رواية هذه الأنثى المجهولة إلا للكاتب من البداية تاركا لها أن تستعيد الحكاية من خلال الكتاب حين صدوره بعد أن أخذ قراره أنها لن تقرأه قبل نشره ولن يترك لها المجال لإبداء أية ملاحظة مسبقة، فهل قرر العودة لتمرده من جديد وعدم الخضوع لقوانينها الخاصة؟

لا أعتقد فهو يصر أن يقول لها: "بعد كل الذي بيننا أحبك أكثر"، وبعد النص الذي اورده على لسانها: "أنا الآن في كامل هدوئي" ص 105 وربما فقط أعاد الصياغة والنص لها، أرى انها تمكنت من السيطرة عليه عبر الشاشة الزرقاء بما وصفته عن لحظات الحديث والنشوة عبر الشاشة والتي تستمر معها حتى وهي تأخذ حمامها الدافئ بعد كل لحظات غياب العقل وحضور النشوة، رغم كل ما أورده من تمرد أو محاولات للتمرد، وهذا واضح بكل النصوص التي وردت على لسان تلك المرأة المجهولة سيدة الفصل الثاني، فهي واثقة من نفسها وأنها رغم كل ما تقوم به سيبقى تحت طوعها رغم انها تعترف له أنها مارست الخداع معه وطورت اساليب الخداع وتتمتع به، وهو يعرف أنها تمارس ساديتها تجاهه بقوة، بحيث تسائل في أحد النصوص ان كانت مومس محترفة، ووصفها صديق مشترك بينهما بأنها عاهرة شهية حين وعدت الاثنين في نفس الفندق.

في الفصل الثالث الذي اسماه: "مصابيح زرقاء في ليل المدينة" والذي وضع فيه تحت العنوان عبارة قد تثير غضب بعض من سيقرأن الكتاب حين يقول: "يحكى أن المرأة أقوى المخلوقات مع أنها مائية تتصبب شهوة عند كل حديث"، وهي عبارة توجه القارئ وأفكاره بأن النساء كلهن ذوات شهوات تسيطر عليهن، وبالتالي يوجه القارئ لذلك قبل أن يقرأ عن نساء هذا الفصل، وكأنها ردة فعل بسبب امرأة الفصل الثاني وتصرفاتها مع الكاتب، ولكنه يبدأ الحديث عن زوجته وكيف أصبحت العلاقة بينهما باردة وقائمة على استفزازتها بسبب علاقاته عبر الشاشة الزرقاء بالنساء، ثم ينتقل للحديث عن نساء عرفهن عبر الشاشة الزرقاء والبعض التقاهن، وكل امرأة منهن تبدأ بالحديث العادي لتنتقل بعده الى أحاديث الاشتهاء والشهوة، وباستمرار يعيد صياغة ما جرى بينه وبينها بشكل قصة أو نص، وفي الكثير من النصوص يخرج عن حدود المألوف في الكتابة، مما يدفعني لوضع التساؤل: إن كن النساء كما قال في بداية الفصل شهوانيات عند أي حديث، فلم يتحدث اليهن بما يثير؟؟

ففي احد النصوص بعنوان: "ليست صعبة هذه المهمة" خرج عن المعقول والمقبول في وصف من يتحدث اليها ويوجهها لما تفعل، وفي نصوص أخرى كان يصف أكثر أعضاء المرأة حساسية وباقي أعضاء جسدها حتى وصل الى درجة من الاباحية بالوصف، والمفترض ان هذه أحاديث واقعية وإن كانت مجنونة عبر الشاشة الزرقاء وليست من نسج الخيال وكما يصفها بأحد النصوص "رحلة من الشوق والشبق لا تنتهي عند حد" ونصوص ورد فيها الحوار بين الطرفين بدون تحفظ من كليهما، ولكل فعل ردة فعل فكيف حين يكون الكلام الموجه مثير للمرأة ومن ذكر أيضا؟، ولماذا يتم اتهام المرأة وحدها بالشهوانية وهذه من صفات الذكور وجزء من تركيبتهم البيولوجية؟

في الفصل الرابع الذي اسماه: "تدوينات خاصة لامرأة لم تعطني ما وعدت به فخلقت فيّ حنينا لم يجف"، فيورد تدوينات بلغت 108 تدوينات تعود لتلك المرأة مؤكدا انه لم يجري عليها أي تعديل سوى تصحيحات لغوية أو املائية ويؤكد في مقدمة الفصل: "لقد كشفت لي التدوينات عظيم حب المرأة"، ويقول أيضا: "امرأة كهذه كيف لي ألا أن أحبها حتى النفس الأخير وهي التي يعترف أنه يحبها وأحبها وأنها: "مبدعة اذا كتبت، وملهمة اذا جعلتني أكتب لها"، ويقول أنها: "لم تجرحني بأي صفة أو عبارة"، وبذلك تكون امرأة أخرى غير امرأة الفصل الثاني التي وصفها:"امرأةٌ مؤلمة" التي كانت تتعمد احراجه بعبارات وكلمات أمام الآخرين وخلال تواصلهما معا، أو انه غفر لها كل ما اورده من حكاياتها المزعجة معه حين اعاد قراءة هذه التدوينات المحلقة بالحب والوجدانيات والعشق، فهو اعترف انه لم يحب سوى هذه المرأة بالفصل الرابع وأن امرأة الفصل الثاني من أثرت به وغيرته، فهل كان الكاتب بين امرأتين كالهائم بين فراشتين؟ وأن كل النساء الأخريات كن عابرات في الفضاء الأزرق، وأن هذه هي المرأة الحلم كما اورد في نص الكتاب الأخير، لينهي حكايته مع نسوة المدينة بالقول: "كيف لي أن أتخلص من كل النساء العالقات على جثتي؟".

بماذا يمكن تصنيف هذا الكتاب الممتلئ بالحروف المجنونة، فأدب الرسائل أدب قديم حين كانت الرسالة تأخذ ايلما وأحيانا اسابيع حتى تصل بالبريد ويعود الرد عليها، وفي عهد بدايات الشبكة العنكبوتية أصبحت الرسائل عبر البريد الالكتروني أسرع بالذهاب والاياب، لكن في عهد منصات التواصل الاجتماعي خرج الموضوع عن أدب الرسائل ليصبح حوارا مكتوبا ومباشرا أو عبر الحديث أو عبر المشاهدة مع الحديث، وهذا ما اراه بنسوة المدينة فهو مازج بين أدب الرسائل من حيث نشر رسائل متبادلة أخذت طابع النصوص الأدبية، وبين سيرة ذاتية تتعلق بالنساء فقط فلا يمكن أن تجعل الكتاب مصنفا في أدب السيرة الذاتية، ولكن بالتأكيد وحسب قناعتي أنه مازج أصناف مختلفة من صنوف الأدب، حتى تحول الى كتاب حافل بالتمرد والجنون، وأعاد إلى ذاكرتي بعض مما قرأت من كتب كُتبت فترة ازدهار الفترة العباسية، فهل اراد الكاتب أن يعري هذا المجتمع وماذا يجرِ فيه خلف الشاشة الزرقاء، أم أراد أن يكشف عن معاناة المرأة بدون شريك في حياتها يمنحها الحنان والحب والجنس، ولذا يرى كل النساء شهوانيات ولكن في المقابل.. مقابل كل امرأة هناك ذكر، فليست المشكلة بالمرأة لوحدها بل بالطرفين، و"نسوة في المدينة" فضح هذا الاستخدام للفضاء الأزرق بهذا الشكل، فكل اختراع له وجهين للاستخدام، وكل من الذكر والأنثى يستطيع أن يختار الوجه الذي يناسبه.

في النهاية بالتأكيد يعجبني الكثير مما يكتبه فراس ويثير اعجابي بتمرده وخروجه عن المألوف ضمن حدود مقبولة بالنسبة لي، ولذا كنت وكلما قرأت له نص يثير دهشتي احاوره به أو أرسل له ملاحظاتي سلبا وايجابا، والجميل به أنه يستقبل الملاحظات بكل اريحية، رغم أنه أحيانا يخلط الخاص بالعام، وأذكر حوار بيني وبين أحد الكُتاب عن فراس فقال عنه أنه مجنون، فقلت له ولعل هذا الذي تعتبره جنونا هو أجمل ما في فراس، ويعجبني دوما في فراس قوة اللغة التي يكتب بها وسلاستها ومباشرتها، وإن كان يقع أحيانا باستخدام كلمات غير عربية وأحيانا بقصد كما في عنوان لنص في الكِتاب، وأحيانا يستخدم كلمات عربية أصبحت سائدة كما "الكِمامة" بدون العودة لمعناها الفعلي باللغة العربية وأن الكِمامة تستخدم للبعير والحمار وليس للبشر، إلا حين نريد التشبيه فنقول: تكميم الأفواه.

وباختصار لم ارد الحديث عن تفاصيل الكتاب أو عن تفاصيل النصوص، مكتفيا بالبحث خلف النصوص تاركا للقارئ أن يحلق بهذه النصوص المجنونة، متأكدا أن نسوة في المدينة حكايات لم تكتمل بعد، وأكتفي بالقول: فراس يا صديقي.. أنت عاشق تجاوزت الجنون.

قراءة في ملحمة ممي آلان (3/1)

"ممي آلان فكرياً"

حيدر عمر

كما قلنا سابقاً، إن هذا النص الذي بين أيدي القُرَّاءو الباحثين قد دُوِّن بعد ظهور الملحمة بزمن طويل، و لا بد أنها في مراحل انتقالها شفاهاً، من جيل إلى جيل، و من عصر إلى عصر، تعرَّضت للحذف من جهة و للإضافة من جهة أخرى، شأنها شأن جميع أنواع أدب الفولكلور[1]، حتى انتهت إلينا و هي ترتدي لبوساً إسلامياً، دون أن تفقد سماتها الكردية. حيث أن وجود الأخوة الجلاليين "حسن و قَرَتاجين و چكو" من جهة، و "بكو" الشرير من جهة أخرى يعكس شيئاً من الفلسفة الدينية الكردية القديمة، أقصد الزرادشتية، التي تدعو إلى "العمل الخيِّر و الكلام الخيِّر و الفكر الخيَّر"، و تغلُّب الخير على الشر، و مثلما يدعو إليه الفكر الكردي الأيزيدي أيضاً من ضرورة طلب الخير للآخر أولاً. و كذلك من خلال حفاظها على الكثير من المعتقدات الشعبية الكردية، من مثل الاعتقاد بوجود نجم في السماء لكل شخص، يسقط بموته:

" اليوم هوى نجمي من السماء."[2]

و الاعتقاد بأن ليلى و مجنون أصبحا نجمين و صعدا إلى السماء. فقد ورد في الملحمة على لسان حسن في ما يشبه المونولوج:

" مازال چكو شاباً لمَّا يبلغ العشرين من عمره

أخشى أن تكون زين أحبَّته منذ الطفولة.

و لا تريد أن تكون زوجة لسواه.

لعلَّهما يحبان بعضهما مثل ليلى و مجنون، اللذين أصبحا نجمتين، و صعدا إلى السماء ".[3]

و كذلك من خلال احتوائها على الكثير من العادات و التقاليد الاجتماعية الكردية، منها مثلاً ورود تحيةٍ في أكثر من موضع، تختلف عن التحية الإسلامية التي تكون بإلقاء السلام "السلام عليكم"، و يردُّ الآخرون بقولهم "عليكم السلام"، بينما ترد التحية في الملحمة في شكل آخر، نعتقد أنها التحية الكردية قبل ظهور الإسلام بكثير، و تكون بأن يضع المرء يده على الأرض، ثم يرفعها إلى صدره أو رأسه:

"لمس الأرض براحته، ثم رفع يده إلى رأسه و عينيه."[4]

تطلعنا هذه الملحمة على مدى الاحترام الذي تحظى به المرأة في المجتمع الكردي، فلها منزلتها الرفيعة، و هي جميلة، تستحق أن يقطع المرء آلاف الأميال من أجلها، فقد قطع "مم" مسافات طويلة، و اجتاز صعوبات كبيرة، كل ذلك من أجل الظفر بالفتاة الكردية التي تراءت له في الحُلم، مثلما تطلعنا الكثير من القصص الفولكلورية و الأساطير أيضاً على المنزلة التي تحتلها المرأة الكردية في مجتمعها، و لها كلمتها التي لا تُرَدُّ.

يَرِد في الملحمة أن اثنتين من بنات الجن حين تَعِدان أختهما الصغرى بأن تُرِياها كلاً من "مَمْ و زِين"، تُقسمان لها بـ "كلمة المرأة" أنهما ستفيان بوعدهما، فتقولان: " كلمتنا كلمة المرأة "[5]. ما يعني أن للمرأة مكانة مرموقة في المجتمع الكردي، و كلمتها مسموعة. و لا ترى المرأة الكردية، كغيرها في المجتمعات الشرقية و الإسلامية خاصة، ضيراً في الاختلاط مع الرجال، فلا تحتجب عنهم، و خاصة في الأرياف و بين العشائر. ستتحدَّث بشيئ من التفصيل في الصفحات القادمة.

يتمثَّل العنصر النسائي في الملحمة في الشقيقتن "زِين" و "ستية" زوجة حسن، كلتاهما لا تحتجبان عن الرجال. لقد ظهرت جموع الفتيات و النساء، بينهن "ستية و زِين" حاسرات الرؤوس أمام" مَمْ "عند نبع "عين القسطل"[6]، رغم أنه غريب بالنسبة إليهن، و إذ يحين واجب الدفاع عن ثغور البلاد في وجه الغزو الفارسي، يترك "حسن" ضيفه مع أهل بيته، و ينصرف مع أخويه إلى قتال الأعداء:

" قال حسن لضيفه "مم":

إذا حلَّت الفرائض، تُترَك النوافل.

ها أنت، و هذه الدار، فقد سبق و قلنا نحن أخوة."[7]

و في هذه الحال، حال غياب زوجها عن البيت، تتخذ "ستية" القرارات الخطير، فهي بعد وفاة "مَم" تدعو الأخوة الثلاثة إلى طلب الثأر و الانتقام له[8]. بينما في المجتمعات الإسلامية الأخرى لا تختلط المرأة حتى مع أخوة زوجها.

كما إن ثبات "حسن" على موقفه، و تمسُّكه برأيه لدرجة أنه أجبر أخاه على فسْخ خطوبته، يذكرنا بالقول الدراج الذي يشير إلى عناد شخص ما (كلمتُه كلمةٌ كرديةٌ). و لعلنا لا نذهب بعيداً إذا قلنا إن العناد أحد أهم الخصال الكردية، و هو في العقلية الكردية خُصلة ذات وجهين، أو لها نوعان، سلبي و إيجابي و قد ظهر في الملحمة بكلا النوعين.

سلبي مفاده الجمود و العنجهية و التعنُّت و عدم المرونة. وقد جسّده في الملحمة بطلها "مم" منذ بدايتها، واستمر كذلك حتى نهايتها. لقد أصرَّ على أن يتبع حلمه الذي تراءت له فيه الفتاة "زِين"، و لم تنفع توسُّلات والديه و عمَّيْه في ثنيه عن المضي إلى بلد و عالم مجهول لا يعرف عنه، لا هو و لا أبواه و لا عمَّاه، شيئاً:

" رأى أمَّه العجوز جالسة عند رأسه،

و وقف أبوه الشيخ قبالته،

و في كل جانبٍ واحدٌ من عمَّيه الجليلين.

و الجميع يمطرون وجهه بالدموع.

قالوا معاً: الأمان! ماذا تفعل يا مم؟ من غيرك لا أمل لنا نحن الأربعة.

استمعْ إلينا، و لا تدع نفسك منقاداً مع الأحلام.

تلك التي حلّت عليك ضيفة في الليلة الماضية،

ليست إلا الشيطان متنكراً في هيئة فتاة.

من أجل حُلمٍ، لا تدَعنا جميعاً في عزاء ".[9]

و لم يردعه كون "زِين " مخطوبة لابن عمها، بل أصرَّ على المضي فيما صمم عليه.

و إيجابي مستظل بالوعي المستنير و الثبات على الحق.[10] و قد جسّده "حسن" كبير الأخوة الجلاليين. ظهر عناد "حسن" في الملحمة من خلال الثبات على موقفه و استمراره تكريم ضيفه "ممي آلان"، رغم معرفته أنه قادم إلى الجزيرة من أجل ابنة عمه، خطيبة أخيه، و إجبار أخيه على فسخ الخطوبة إكراماً للضيف، و كذلك في مواجهة الأمير، ابن عمه، إكراماً لضيف غريب حل في بيته:

" قال حسن: أسرعوا يا اخوتي!

البسوا الدروع، و اعقدوها على الصدور.

احملوا السلاح، و امضوا نحو قصر الأمير أزين.

فإما نموت اليوم، أو نستولي عليه "[11].

إن موقف حسن و أخويه هذا، لَيدلُّ على كثير من الاعتزاز بالنفس أيضاً. فقد وعد ضيفه بأن يساعده، و يمنعه اعتزازه بنفسه من أن ينكث بوعده.

إن احترام الغريب و إكرام الضيف، كما يبدو في الملحمة ليس وقفاً على حسن وأخويه الذين ينحدرون من الأسرة الحاكمة فحسب، بل إن الفقراء و عامة الناس أكثر التزاماً بها، و هذا ما يبديه أحد المارة العابرين حين يلتقيه "مَمْ" و يسأله أن يرشده إلى قصر الأخوة الجلاليين الثلاثة، فهو من ناحية يلوم "مَمْ" لأنه لم يستجب لدعوته إلى بيته، ربما لأنه فقير الحال، و من ناحية أخرى، يطلعنا على عادة متأصلة في سكان مدينة الجزيرة بفقرائهم و أغنيائهم، و العاطلين عن العمل، الذين ربما يفتقرون إلى ما يعيلون به أُسَرَهم و الذين يَرِدون في الملحمة باسم (العَبَبُوز)، و هي أن إرشاد الغريب إلى بيوت الآخرين يُعتبَر نقيصة في عُرفهم. و هنا يدور حوار مؤثِّر بين ذلك الفقير و "مم"، يعبِّر الفقير من خلاله عن مدى تأثُّره بعدم قبول "مم" دعوته:

" وقف محيِّياً إياه، و مدَّ يده إلى رسن الأشهب العدّاء.

معرباً عن رغبتة في استضافته.

قال مم: إن كنت تريد أن تقدِّم لي خدمة،

فارشدني إلى قصر الأخوة حسن و چكو و قَرَتاجين.

قال الرجل الفقير: تمنَّيتُ أن تقتلني، و ألّا تطلب مني إرشادك إلى بيوت الآخرين.

فهذا في عُرْف مدينتنا نقيصة كبيرة.

تمنيت أن تنزل ضيفاً لديَّ ليوم و ليلة ".[12]

و هذا كبير التُجَّار أيضاً حين التقى " مم " الغريب عن هذه الديار، استضافه في بيته، و عرض عليه مساعدته:

" حُلَّ ضيفاً على عمك هذه الليلة.

سأفتح لك أبواب الدكاكين و المخازن.

إن لم يُفدْك هذا، فسأفتح الخزائن و الكنوز، خذ منها ما تشاء.

ليس عليك سوى أن تدل عمك باصبعك حيث تشاء.

سأغرق ذلك المكان بالمال و الذهب "[13].

إذا كان موقف كبير التجار يعبِّر عن الكرم و الضيافة كقيمة اجتماعية متجذِّرة في المجتمع الكردي، فإنه يعبِّر في الوقت نفسه عن ثقافة الأغنياء و التُّجار، ثقافة البرجوازيين، الذين تكمن قوتهم في أموالهم، و يعتقدون أن جميع المشكلات يمكن أن تُحلَّ بالمال، و لهذا حين يعلم أن ما يسعى إليه " مَمْ "ربما لا يتحقق بالمال، بل قد يتطلب سفك الدماء، يرشده إلى الأخوة الجلاليين الثلاثة، فهم معروفون بالشهامة و الشجاعة و البطولة، وهم وحدهم قادرون على مثل هذه الأمور:

" مادام أمرك لا يُقضى إلا بإراقة الدماء،

فليأخذك أحدٌ إلى قصر الأخوة حسن و چكو و قَرَتاجين.

حين يقصدهم أحد ما،

يداوون جراحه، و يفدونه بأرواحهم "[14].

و تطلعنا الملحمة أيضاً على صور للحياة الاقتصادية المزدهرة في مدينة "جزيرة بوتان"، فهي بأحيائها الخمسة و العشرين مزدهرة الأسواق، و تُقام فيها المزادات الكبيرة[15]، و تجارها يرسلون القوافل التجارية إلى مختلف الجهات. يَرِد في الملحمة على لسان ابنة بكو النمَّام عن المدينة:

" الأمير شَمْ و الأمير سيف الدين[16] يسيِّرون القوافل التجارية إلى مختلف الدول و البلدان."[17]

ولكنها تفتقر إلى الوحدة و التكاتف، فهي مقسَّمة بين أبناء الأعمام إلى ثلاثة أقسام:

" قسم لأبناء الأمير تاجين، و هذا كله للتجار.

قسم لأبناء الأمير جلال، حسن و چكو و قَرَتاجين.

قسم ثالث لابن الأمير زنكين، أمير جزيرة بوتان ".[18]

و كثيراً ما تُثار المنازعات بينهم، فيبدون غير متكاتفين، و على الرغم من أن أمير الجزيرة أحد أبناء عمهم، فإن سلطته لا تتجاوز أحد الأحياء إلى الحيين الآخرين.

نعتقد أن هذا المشهد في الملحمة يترجم إحدى السمات الجوهرية في الشخصية الكردية، و هي عدم انصياع الكرد للحكم المركزي، و ربما كان هذا الأمر من أهم أسباب عدم وصولهم إلى دولة مستقلة لهم. و لعل هذا يتضح أكثر من خلال وجود سلطان لهم في الملحمة هو "ممي آلان"، يمد يده لأحد أمرائهم، هو الأمير "زين الدين" أمير الجزيرة، و يريد مصاهرته من خلال الزواج من شقيقته، و لكن الأمير يرفض هذه المصاهرة. . ربما انتبه المخيال الشعبي إلى هذا الأمر، إلى نفور الكردي من الحكم المركزي، فعبر عنه بهذه الصورة. أليس الأدب الشعبي هو المرآة التي تنعكس عليها أحوال الشعب و آمال الأمة؟!

و لعل نفور الكردي من الحكم المركزي عائد ، حسب ما يذهب إليه الدكتور أحمد خليل، إلى الجغرافيا التي تكوَّنت فيها الشخصية الكردية، و هي جغرافيا جبلية في الغالب "تكثر فيها الأمطار و الثلوج و الينابيع و المراعي الصالحة لتربية الحيوان، و فيها السهول الصالحة لنموّ النباتات و الأشجار"[19]. فأضحت هذه الجغرافيا منبتاً لثقافة تكوين الشخصية الكردية، نمّت فيها نزعة رَفْض السلطة المركزية، و رسَّخت الذهنية القائمة على الحكم الجماعي. و لعل نمط الإدارة في الدولة الميدية يشكِّل دليلاً على ذلك فمن المعروف أن قيادتها كانت جماعية تتكون من زعماء القبائل الست، التي كانت تشكِّل قوام التحالف الميدي، و حين مال القائد الميدي "أستياك" إلى نوع من المركزية في الحكم، ثار عليه بعض الأعيان بقيادة " هارپاك "، قائد جيشه، فأسقطه عن الحكم بتحالفه مع الفرس، و لعل أحدث مثال على ذلك في التاريخ الكردي الحديث، هو النجاح الذي أحرزته " الجبهة الكردستانية "[20]، التي ضمَّت مختلف القوى و الأحزاب الكردستانية في إقليم كردستان أثناء الانتفاضة الشعبية عام (1991).

إن هذا الازدهار الاقتصادي و التجاري في جزيرة بوتان، يشي بتقدُّم فكري أيضاً، ذلك لأن هذا النوع من الازدهار لا يمكن أن يتحقق في ظل الجمود الفكري. إن مقارنة سريعة بين مواقف "مَم" و مواقف "حسن"، لَتدلُّ على أن ثمة تحوُّل فكري بدأت طلائعة تطلُّ في الأفق و لو بصورة باهتة. بدا "مَم" شخصية تتحكم فيها

قوى خفية غير مرئية، فكل ما حدث معه و له في الملحمة، كان كان بمساعة الخضر و الجن و قوة السحر، و نراه يرضخ كلياً لتلك القوى، التي رسمت له مصيره في نهاية الملحمة. بينما يبدو حديثُ "حسن" حديثَ إنسان واعٍ، صادراً عن شخصية تتكلم بلغة العصور المزدهرة، "إنه يشعر بقوة الإنسان و قوة عزيمته، فهو كائن حرٌّ، لا يرضى بالرضوخ للعبودية، يدعم أميره في حماية الوطن، و يهاجم العدو دون تردُّد، و عندما يشتط الأمير، يتمرّد عليه، و ينوي قتله. إنه يعشق القيم الإنسانية الرفيعة، فهو الصدق بعينه، و النبل و المروءة و الشجاعة و الوفاء بالعهد و الشهامة، يعكس في تصرُّفاته القيم الكردية المُثلى."[21] يحب الإيثار و التضحية في سبيل الآخرين. و هو في ذلك يذكّرنا بالفكر الديني الكردي متمثّلاً في الديانة الأيزيدية. و هو في كل ذلك يمثّل الأصالة الكردية في تطلُّعها إلى المعاصرة، و لا غرو في ذلك، فإن نواة الجديد تبدأ في النمو من صلب القديم.

ثم إن هذا التغيير الذي حدث في الملحمة حذفاً أو إضافة، و انتهاءها إلينا بها اللبوس الإسلامي، يكشف عن تطوُّر الذهنية الكردية، و عدم مراوحتها في المكان، كما يدل على أن الكردي، رغم التغيير الحاصل في الملحمة، لم يتنازل عن هويته، بل ظلّ محافظاً عليها. و يبدو هذا من خلال الشخصيات، فجميعها كردية، و كذلك من خلال اختيار المكان، فهو "مدينة جزيرة بوتان"، و هي مدينة كردية، تقع في الجزء الشمالي من كردستان، الملحق بدولة تركيا، حيث جرت أحداث الملحمة.

إلا أن هذه الطلائع الفكرية تصطدم بموانع متعددة، منها ما هو فكري داخلي تعبّر عنه شخصية "مَم" برضوخه للقوى الخفية، و ما هو اجتماعي، يتجلّى في الجفاء الذي نلحظه بين أبناء العمومة من الأسرة الحاكمة، و منها ما هو خارجي، متمثّل في أطماع الأعداء.

إذا أخذنا كل ذلك بالاعتبار، و أضفنا إليه أن مدينة الجزيرة المزدهرة كانت عاصمة إمارة كردية، لها حكومتها، و لها قوانينها، و على رأسها أمير، ولكنه ذو سلطة ضعيفة، فسوف ندرك أن كردستان كانت تمر في مرحلة اجتماعية و سياسية و اقتصادية و فكرية متقدّمة، و تخطو نحو اجتياز الاقطاعية، و لو بخطىً بطيئة جداً، ولكن ضعف سلطة الأمير الذي بدا ألعوبة بيد حاجبه بكو النمام، رمز البطانة الفاسدة، و خلافات أبناء العمومة (الأمير و أبناء أعمامه الآخرين)، التي يمكن أن تكون رمزاً للخلافات الكردية التي أدت إلى سقوط مملكة ميديا، و أطماع أعدائها، و تجزئتها بين دول متعددة، حال دون ذلك.

مصادر و هوامش

[0] يقول البستاني عن الإلياذة: "أما الإلياذة، و قد تناشدها الرواة نحواً من قرنين، و لا ضابط لها سوى أذهان المنشدين، فلم تكن ثَمّ قوة بشرية قادرة على حفظها من أولها إلى آخرها على ما نطق به هوميروس، مهما بُذِل في سبيل ذلك من العناية و الهمة". المرجع السابق، ص 39. و قد أشار إلى الحذف في الإلياذة و الإضافة إليها في الصفحات 40، 41، 42.

[1] Memê Alan, rû 121 [2] Memê Alan, rû 122, 123

[3] Memê Alan, rû 90, 94, 13 [4] Memê Alan, rû 46

[5] Memê Alan, rû 138 [6] Memê Alan, rû 185

[7] Memê Alan, rû 206. [8] Memê Alan, rû 63

[9] د. أحمد محمود الخليل: الشخصية الكردية، الطبعة الأولى، دار موكرياني للبحوث و النشر، أربيل 2013، ص 176.

[10] Memê Alan, rû 206 [11] Memê Alan, rû 81

[12] Memê Alan, rû 87. [13] Memê Alan, rû 89, 90

[14] Memê Alan, rû 83, 84

[15] كلاهما أبناء عمّ أمير جزيرة بوتان.

[16] Memê Alan, rû 76. [17] Memê Alan, rû 76

[18] د. أحمد خليل: لماذا لم تكن الأمة الكردية أمة غزو و فتوحات؟ مقال إلكتروني.

[19] **https://www.box.com/s/z9i11dwhyflyoj7ii8ut**

[20] الجبهة الكردستانية هي ائتلاف سياسي ضمّ القوى السياسية الكردستانية في إقليم كردستان عام 1991 أثناء الانتفضة الشعبية في مواجهة النظام الديكاتوري في العراق.

[21] Memê Alan. Pêşgotin, rû 27

.....يتبـــع .....

ميزوبوتاميا

مغامرة شعرية في الحقل التّاريخي

صبري رسول

صدرت المجموعة الشّعرية ميزوبوتاميا للشّاعرية السّورية الكردية ميديا شيخة اكترونياً على صفحة الموقع (صرخة الشّيوعي) قبل بداية العام الحالي بأيام، يُذكر أنها المجموعة الثّانية لها، حيث أصدرت الشّاعرة مجموعتها (الخسوف الجزئي) سابقاً، التي هي عبارة عن مقاطع من الشّعر الهايكو.

تحتل هذه المجموعة، اثنتين وثمانين صفحة من القطع الكبير، وهي عبارة عن نصّ طويل، اتّخذت الشّاعرة من جغرافية « ميزوبوتاميا» منطلقاً إلى كتابته، مع غلافٍ أنيق تتجاور فيه رسوماتٌ من التّراث التّاريخي لميزوبوتاميا، لكن من دون إشارة إلى لوحة الغلاف والتّنسيق.

الجغرافيا المعروفة بذاك الاسم والمشار إليها بين نهري دجلة والفرات، مليئة بأحداثٍ ووقائع، دينية وتاريخية لشعوبٍ عمّرت حواضر النّهرين، وتعاقبت بضعُ حضارات فيها، ثمّ غابت بفعل الصّراع الدموي الذي ساد العلاقات بينها، توسّعت حدودها بفعل الحروب وطغيان حكامها فطغت فتراتٍ طوال، ثمّ غابت غالبية تلك الشعوب، وقد يكون الكرد مستثنين منها، فحافظوا على وجودهم، وبنوا دولاً وإمارات كثيرة خلال التّاريخ. هذه الجغرافيا وأحداثها هي محور النّص الطّويل، تستحضرها الشّاعرة بفخر واعتزاز:

«نحنُ المتجذّرونَ في القرونِ الغابرةِ

من (أهورا مزدا وأهريمان)

نحملُ سلالاً ملأى بألفِ حقلٍ وحكايةٍ» ص**8**

كما أنّها تبني تفاؤلاً مطلقاً بأن حضارة الكرد ستسجّل الانتصار على الظّلم والظّلامية، وعلى جيوشٍ تبيحُ نساء الكُرد، في ترميزٍ واضح إلى القوى الدّينية المتطرفة التي تعيث في الأرض فساداً باسم الدّين وتحت علمه وشعاره:

«لن تنحني لجيشٍ سيوفُه من خشب

يدعو إلى إقامة معارض النّساء باسم الآلهة» ص**8**

فالخلودُ، الذي بحث عنه الإنسان منذ القدم - هو الخلود ذاته الذي قدّسته الدّيانات ودعت الناس إلى عمل الخير من أجل الدّخول إلى «جنات عدنٍ» - لم يأتِ من خارج جغرافية ميزوبوتاميا، بل وليدُ الفكر البشري الذي آمن به عشاق معبد «لاله ش» والديانة الإزيدية، ...

« و "لالش النوراني" دربُنا نحوَ الخلودِ

من قبسِ روحِهِ ننهلُ

العلمَ، الحكمةَ، التراتيلَ والصلواتِ»ص**12**

لجوء الشاعرة بين حينٍ وآخر إلى الصّور البلاغية، يكثّف التّعبير، ويعفيها من الشّروحات والتّطويل، ويشحن الجملة بطاقة من الأحاسيس، إنّها الرّوح الشّعرية المختزلة بالصّورة الشّعرية.

«... أنا المرأةُ الطافحة بالحبّ، تجوبُ الأرضَ/ وتلفحُ أناشيدنا أكتاف الهضبات الواثقات ص**20**. «باتتْ شفتايَ كنوتٍ بريّ/ ينضجُ على صفيحِ الزمنِ»ص**28**

التّركيز على الرّموز يضع القارئ العادي أمام إشكالياتٍ في القراءة والتّأويل، ويُضفي على النّص إبهاماً إضافياً، ذاك من طبيعة النّصّ المتشابك مع التّاريخ، والخوض الشّعري في النّصوص التّاريخية أكثر خطورة من الرّكض في حقل الألغام، فاللّجوء المتكرّر إلى الكنايات، والاستعانة بالتّرميز، والاتّكاء على الصّورة الشّعرية، منحت الشّاعرة ميداناً إضافياً للمراوغات وإنتاج المقاطع بشكلٍ تلقائي. وأضفى التّناص متعةً روحية للقارئ

«وفي جبالِ وتّدها الله ص**54**. والعظامُ رميمٌ ،ص**67**».

هذه القيم النّقدية تبيّن أنّها أرادت أن يكون النّص حافلاً بالرّموز والكنايات عكس ما ورد في مقدمة الزّميل والصّديق عبدالوهاب بيرني على خلفية الغلاف

«اختارت المفردات البسيطة وبعفوية بالغة، ودون اللجوء الى الكنايات او الرمز او التناص».

كثافة الصّور البلاغية، كالاستعارات والكنايات تخلقُ متعةً لدى المتلقي عند قراءة النّصوص:

«كان وطناً نهشه التّاريخ المزيّفُ. نحملُ سلالاً ملأى بألفِ حقلٍ وحكايةٍ. يدعو إلى إقامة معارض النساء باسم الآلهة. تَعِبَ الورقُ من كثافة بياضها. إلى روحِ التّكالى في سنجارَ».

وقد يحتاج بعض القرّاء إلى البحث عن فكّ دلالات الجمل وترميزاتها، فكلّ اسمٍ وموقعٍ وواقعة له دلالات ورموز لا يمكن اختصاره، فمن لم يكن مطّلعاً على ألواح سومرية، ومدونات اللّوح الجلجامشي لن يتمكّن من معرفة المقصد من الألواح:

«هيا، فسّر لنا ألواح الحكم ومواجع التقلّبات/ ثمانية عشر لوحاً تنتظر رواة التّاريخ»ص**36**

ما أصاب الكُرد لا يمكن اختزاله في كتابٍ أو مجلّد، فالمصائب أكثر مما يمكن إحصاؤها، أو وصفها، بصور شعرية من غير تكلّف، نجد الشّاعرة أوجزتْها في تلميحاتٍ عميقة، صورٌ بائسة من الحياة اليومية تؤرّخُ حروباً تاريخيّة خلّفتْ هذه المعاناة التي لا تنتهي، تلك المصائب أنهكت طاقات شعبٍ جاء من رحم ميزوبوتاميا. فنصب الشّعر نفسه لتأريخ الصّور من دون أرقامٍ زمنية:

«طفلٌ يبحثُ عن ابتسامةِ أمّهِ هنا/ ضاعتْ منه ليلة العاصفة/ صبيّةٌ على قارعةِ الطريقِ/ أمٌّ منحنيةٌ على وليدِهَا هناك/ شيخٌ يبكي عمرهُ والذكرياتِ/ والدٌ ينتظرُ عودةَ أبنائِهِ إلى عتبةِ البابِ»ص**21**

هناك أصواتٌ كثيرة من الفرس والتّرك والعرب، تدّعي أنّ الكرد بلا حضارة، بلا ماضٍ، بلا تراثٍ ولا ثقافة، كنوعٍ من الإنكار على وجودهم تاريخياً على أرضهم، وتلك المواقف لا تأتي عبثاً، بل إنّها محاولاتٌ لاقتلاع جذورهم حتى في التّاريخ بعد فشلهم في التّذويب والإبادة. الرّد الشّعريّ في نصّ ميزوبوتاميا يأتي بسيطاً، لكنه عميقٌ وقويّ، فالكردُ أصحابُ أبجديةٍ تاريخية هي المفصل لبداية الكتابة التّاريخية.

«حروفُنا كانت رسوماً، أشكالاً، كائنات/ تسرّبتْ روحها، مختزلة إشاراتها، إلى رموزٍ/ هي أبجديتنا» ص**29**.

هذا النّصّ، هذه النّصوص، التي تشكّل مقاطعُها نصّاً طويلاً واحداً، جديرة بالقراءة، وقد صدرت المجموعة ورقياً عن دار بيلا في قامشلي مؤخّراً وهي الثّانية للشّاعرة بعد «الخسوف الجزئي» في شعر الهايكو وهي ترتّب لصدور الثّالثة «الباب المواري للصّدى».

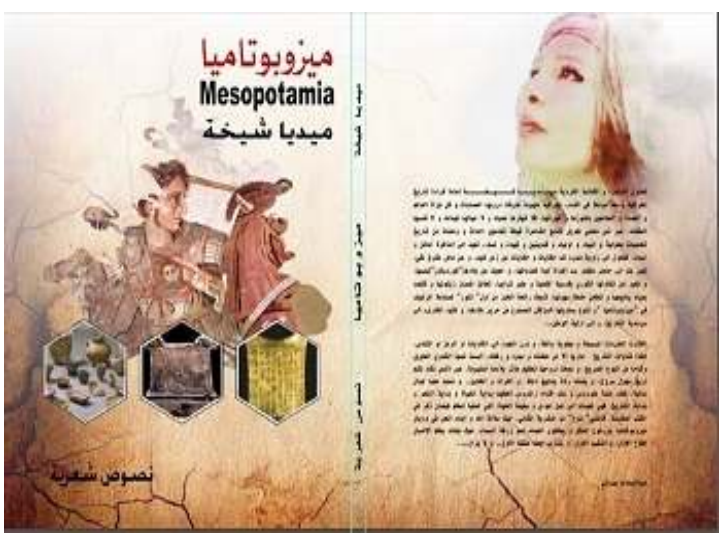

يحضن الخطر ويمضي به بعكازة الأمل!

عن أحمد ضياء في ديوان ورقةٌ ميكانيكيّة للحياة

خالد ديريك

يركز ديوان " ورقة ميكانيكية للحياة **2020**، دار أبجد" للشاعر أحمد ضياء على هموم الوطنية والإنسانية بالدرجة الأولى، عبر بوابة النقد السياسي لحالة الفوضى والإهمال والفساد والعسكراتية الميليشاوية في بلده حيث الحرب والموت حين يسود شبيه لقانون الغاب، وكما يضم الديوان قليل من الوجدانيات الجريئة!

العناوين فيها المثير والكثير من التأويل، خلط مفردات الشاعرية بالدرامية بحجم المصائب التي تجتاح أفئدة البشر في بلاد لم تعرف الهدوء يومًا منذ نشأتها!

نصوصه ما بين طويلة وقصيرة مكتوبة بطريقة قريبة من السردية/ الدرامية الملتحفة بعباءة ألم الجهات، بين أسلوب سردي سلس أحيانًا والعميقة المعنى في أحايين أخرى، معظمها لغة شعرية متمكنة تناور في نص واحد من معنى إلى آخر بكثافة الصور والانزياحات قد لا يكون غامضًا معقدًا. يصب إحساسه الشعري في بوتقة الوطن الذي يحترق منذ عقود، بكلمات لها دلالاتها الكبيرة!

وأنت تقرأ الديوان، تشعر بأن الشاعر يكتب بغضب ثم يشهق حسرة وألمًا، فيحدد مواقع الهدف من موانئ لغته المشبعة بالفلسفة والفنون والأدب، إن أحمدًا يحاول وضع أسلوبًا سرديًا شاعريًا خاصًا يليق بأنين قلمه وشساعة مداركه؟

يبدأ الشاعر ديوانه بنص " **4** كيلوات ونص من الإنسانية" وفيها يناجي الله ويشتكي من الواقع المرير والفواجع التي ألمت بالأرض والإنسان والطفل والشجر، وأن التيه، العجز، قلة الحيلة، والألم يفوق التصور جراء المصائب التي تذوقها العباد من الوحوش البشرية، ففي كل تغيير وثورة تتسلق الذئاب على الأكتاف افتراسا، قد ينجو الخامل نعاسا، والفهيم سأما واستسلاما، حيث يقول في مطلع النص:

يا الله، لِمَ تقطّرُ

الألم في شبّاك الرّحلة

لِمَ تُجنّد القلق

بمكيال الفجيعة

وتهزهزُ الظلال المرتكنة

ثم وكأنه يستجمع قواه ويتنفس بصعداء، لم نعد نخشى العضات، لم نعد نملك شيء نخسره، دموع الأطفال جرت كالسيل في مجرى النهر، وبعدد أوراق الشجر سنحيا من جديد:

المدافع التي نصبتها الوحوش

لم تعد تخيفنا

لأنَّ الأطفال سجلوا هزائمنا

على أوراق الشجر

في نص "الجحيم بعكاز وساق مقطوعة" يستعين الشاعر بأعضاء الجسد والعناصر الطبيعة لتجسيد المعنى الضبابي، نكاية بالوطن، فالساق التي بترت ودفنت هي من الأرواح البريئة، والفصل كان مفزعا كالطوفان في وطن غير مستقر، السلاح غير المنضبط هو السائد، والدم... يقف في زاوية الخيبات لعل الأمل يبرعم من جديد ويتسع اللون الأخضر وتنتهي حالة اللا أمان. حيث يقول في مطلع النص:

المسافة الفاصلة بين ساق هوائيّة والأرض

طولها أمتارٌ من الحنين.

السّاق الّتي تعبتُ كثيراً في تربيتها هي الآن

حبيسة التراب.

لأنَّ الشّتاء مختلف هذا اليوم

فضلّتُ رسمَ ساق معدنيّة على خارطةٍ إسمُها وطن.

أقفُ تحت كثير من الأشجار دائمةِ الخضرة

تنزعُ أجفان توترها مع الرّياح.

وفي ختام النص يتذكر ما سميت ببداية الحرب الأهلية 2006 في العراق، ويبين مدى التحول الكبير الذي حصل في عمليات القتل، الفوضى وبتر أعضاء الوطن بطرق أكثر دموية ورعبًا بأدوات طائفية إيمانية يرونها كـ إيديولوجية مقدسة. البلد منذ صرخته الأولى يزحف جريحًا، حيث يقول:

ذباحون

في عام 2006 لم يعد الرصاص مجدياً بات الذبحُ هو الوسيلة الأكثر تطرفاً في هذا البلد والأكثر رواجاً تلك النفحات الإيمانية.

الصرّة التي تضعنا فيها الخالة

تشكو الضيم لجميع القطط الملحة في حيّنا اللاهث وراء

فتياتٍ تزحف على أرزاقها.

الزاحوف الوحيد الذي عرفته في حياتي

هو الألم.

نص "حياةٌ على إيقاع أمريكي" يعكس غضبه في وجه المتسلطين والمستبدين من خلال رمزية العلم العراقي فهو ضد الحرب والموت الذي لا يهدأ تحت ظلال هذه الأعلام، الأعلام التي احتكرتها فئات متسلطة لخدمة أجنداتها لا لخدمة المواطن والوطن، فاللون الأحمر كان ولا يزال غزيرًا يذكر الأجيال برائحة الدم فقط، والأبيض لم يكن كحمام السلام ولم ينتج أي ازدهار والعيش الكريم، والأسود كان بمثابة غطاء لحجب الرؤية من خلال الكذب والخداع وصنع طوابير من الساكتين والمرعوبين على قوت يومهم، لذا ير إن الطبقات الحاكمة لم يقدموا شيئًا سوى نوع من الدجل وجلبوا الويلات والميليشيات ومجموعات شريعتها تبدأ من الحد السكين! فيقول:

واقعاً وعلى غير العادة

أكرهُ علمَ بلدي

المزروع في كلّ الطّرقات

فالأحمرُ منه لا يمتُّ إلى الوطنيّة بشيء

إلاّ في تذكير اليتامى

بسائل من أبائهم

الأبيضُ ذلك لونُ البطرانين

فهو لم يزكّي الأرض بتاتاً

ولم يجعل سريرة أيّامنا تفوزُ بطعم الرّائحة

ولم يدرك أي مساحيق تطّوحُ رنّته أطافيلنا المسكونين بالأمراض

أمّا الأسود

فكان سراجاً يمتطيه الخرسان وذوي القلوب المختلفة

فالسّياسيون في بلدي

قاسوا حجم أرديتنا

ثم ألبسونا الدّين الكاذب

وعلّمونا كيف نكون طرشاناً غير مبصرين لشيء

بعدها رفعوا عجيزتنا

وصاحو أن

أضربوا مؤخراتكم الصّامتة بالخجل.

(الله أكبر) كلمة غريبة

في مجتمع ردّدها أكثر من الأسماء الحسنى لنفس الإله

فالدّنيا لا تقوم إلّا بسكين كتب عليه (بالطّريقة الإسلاميّة)

لم يكن العهد السابق بأحسن الحال، وتحت ظلال علمه جرت معارك طاحنة في الداخل والخارج، فنجومه الخضراء الثلاثة كانت جوعًا و حصارًا

ولهيبًا، وفي نفس النص يتابع:

أكرهُ العَلَم السّابق فهو يحمل نفس عناوين العَلَم الحالي

إلاّ أنَّ النّجوم الخضراء الثّلاثة

أحالت أيّامنا إلى جوع وحصار

ولهيب لا تحمد أوتاره من الاششششش

خوفنا كان من أخينا الّذي يقاسمنا اللقمة

ومن صديقنا ذي الطّوابع البريديّة

الّذي كلّما كلّمته أخبرني بجملته الشّهيرة

(علمونه كفدائيّ صدّام أن نأكل الجّربوع من طي ز...ه)

حروف الديوان تمثل الواقع المرير وغالبًا هي حقائق مرت في ذاكرة الشاعر، وذاكرة تاريخ العراق، وبين ثنايا الكلمات تظهر مدى تأثير هذه الأحداث على الأرض والبشر والهواء والطبيعة!

في المجمل، ديوان يعتبر تجليات من حمولة الوجع على امتداد عقود على خارطة القلب والوطن، حيث أسئلة وشكوى لا تنتهي!

ولد أحمد ضياء في 1 / 1 / 1990 بابل ـ العراق شاعر وناقد مسرحي، ممثل ومخرج، حاصل على الماجستير والدكتوراه في الفنون المسرحية وعلى الجائزة الثانية في مهرجان ميزوبوتاميا في بلغراد. ترجمت بعض نصوصه إلى اللغات الفرنسية والإنكليزية والعبرية. صدر له إلى الآن: ـ "شعراء داخل حقول الألغام" مجموعة مشتركة عن دار مخطوطات لاهاي ـ "مملكة العظام" مجموعة شعرية من ورقة واحدة على ورقB2 وهي مجموعة تجريبية عن المركز الثقافي للطباعة والنشر بابل ـ "الحرب دموعها خشنة" عن دار الانتشار بيروت ـ ديوان " ورقة ميكانيكية للحياة 2020، دار أبجد". ولديه عدة مؤلفات تحت الطبع منها: ـ في بعض الأحايين كنّا قتلة ـ الضحك بدم أسود ـ الميتامسرح الإفيهم والأداء ـ مسرح الصّدمة الآليّات والاشتغال ـ المسرح والفرانكفونية بين الأنا والآخر ـ الذّات المتحوّلة في الجّسد الكريوغرافي.

الملامح التاريخية لشعوب شرق المتوسط

- الكرد نموذجًا -

.الحلقة الرابعة

خورشيد شوزي

الأتـــراك

الأتراك في آسيا الصغرى تاريخياً

هناك إشكاليات تاريخية على منشأ الترك، حيث إن المصادر الأولى لتاريخهم لم تكتب بلغة الترك. وحتى أن لغة المؤرخين العثمانيين التركية كانت تحوي من الكلمات العربية والفارسية أكثر مما تحويه من الكلمات التركية. وهناك العديد من الآراء حول المكان الّذي جاء منه التّرك، منها:

- إن الأتراك من قبيلة مَذْحِج اليمنية، إلا أن هذا الرأي غير مقبول وليس له سند تاريخي.

- إن الأتراك أصلهم عائد إلى "قنطوراء" جارية النبي إبراهيم، وهذا الرأي لم تثبت صحته.

- إن الأتراك هم من نسل يافث بن نوح، وهذا الرأي ليس له دليل منطقي أو تاريخي.

وغالبية المؤرخين يقولون بأن التّرك هم جيل من المغول، وينسبون موطنهم الأساسي إلى آسيا الوسطى، وتشمل سلسلة من الجبال والهضاب تمتد، من جبال "الهملايا" وحتى جبال "الألتاي" و "يابلونوي" شمالاً، ومن جبال "تيان ـ شان" غرباً حتى جبال "كنجان" و "كوكونور" شرقاً. وفي تلك المناطق تواجد عنصران، وهما: "التركي و المغولي"، وهؤلاء كانوا قبائل متفرقة خضع قسم منهم للروس وآخر للصينيين.

إن أول من ذكر كلمة "ترك" هو المؤرخ الإغريقي هيرودوت 425-484 ق.م، وخلال القرن الأول الميلادي عرفوا باسم "Tarqitas"، وحسب المصادر الصينية في القرن السادس الميلادي فإن الترك سموا عندهم بـ "Tujue"، لكن لفظة "ترك" يشير أيضاً إلى مجموعة لغوية واسعة من الشعوب.

خلال العصور القديمة سكنت الأناضول شعوب قديمة معظمها من الصيادين والتجار، وبعد غزو الإسكندر الأكبر في 334 ق.م، تأثرت المنطقة بالحضارة اليونانية، وأقرب النصوص التي ما زالت موجودة، تتضمن كلمات غير شائعة في التركية لا علاقة لها باللغات الآسيوية الداخلية. وعلى الرغم من أن شعوب الأناضول القدماء كانوا من البدو الرحل، فقد اعتنقوا عبادة "التنجرية"، وإن كان هناك أيضاً أتباع للمانوية والبوذية والمسيحية النسطورية.

إن أقدم آثار تركية تسمي أصحابها بالترك هي نقوش أو آثار "أورخون"، وهم قوم ظهروا في القرن السادس الميلادي واستولوا في زمن قصير على مساحات تمتد من حدود الصين إلى إيران وبيزنطة. و "نقوش أورخون" تتناول فترة نصف قرن فقط، من سنة 630 إلى سنة 680 م، وهي الفترة التي كان أتراك الشرق في أثنائها تحت حكم الصين. أما دولة أتراك الغرب فكانت تتصل ثقافياً بالخارج، حيث كانت واسطة بين حضارة الشرق الأقصى وحضارة غرب آسيا.

وهؤلاء الترك استطاعوا الحصول على استقلالهم تحت قيادة بعض الخانات (زعماء)، كما أنهم استطاعوا في زمن قصير أن يخضعوا لحكمهم أبناء جنسهم من أتراك الغرب. والـ "خانات" كانوا يقبضون على زمام الأمور بالقوة، إذ لا يُنتخبون من القبيلة ولا يعينون، وإنما تجد جماعة الشعوب نفسها أمام الأمر الواقع فتقبله بلا مقاومة، أو بعد مقاومة طويلة.

يؤكد "الكشغري" في كتابه ما جاء في "نقوش أورخون" أن من بين الأقوام التي تعتبر غير تركية خالصة "التتار"، والمغول كانوا يسمون أنفسهم بهذا الاسم، ومن بين هذه الأقوام قوم "ياباقو".

وبعض الدراسات تقول بأن بعض المغول اتجهوا إلى الغرب، حتى وصلوا إلى مناطق يسكنها الترك. كما كان "القيرغيز" القاطنون في الحوض الأعلى لنهر "ينيسي" الصيني يذكرون بوصفهم من الترك. ويؤكد "الكشغري" في كتابه أن (المغول طردوا الترك من منغوليا). وترى المصادر الصينية أن آخر الأقوام التركية التي حكمت بمنغوليا هم "القيرغيز" الذين طردوا "الأيغور" سنة 840 م. ويرتبط طرد الترك من منغوليا بظهور قوم من منغوليا بظهور قوم من المغول يعرفون باسم "الخطاي" الذين أقاموا دولة قوية لهم في شمال الصين.

الفرق بين الترك و التركمان

الترك كلمة تطلق على ما يقارب من عشرين قبيلة ينسبون أنفسهم إلى "تورك بن يافث بن نوح" (هذا ادعاء بدون سند تاريخي، ولا تذكر المصادر بأن أحد أبناء نوح اسمه تورك)، ومن أشهر هذه القبائل "الأوغوز"، والتي أصبحت من أهم الفروع التركية بظهور السلاجقة على مسرح التاريخ. وأتراك الأوغوز هم الذين فتحوا الأناضول وأسسو امبراطويتهم التي تلخصت في نهايتها بدولة تركيا.

انتشر الاسلام بصورة واسعة بين الأوغوز في عام 915 م، وفي النصف الأول من القرن الحادي عشر كان الأوغوز جميعاً مسلمين. ونتيجة لذلك فقد أطلق العرب على هذه القبيلة التركية التي أسلمت بأكملها "ترك إيمان" تمييزاً لهم عن غيرهم من الأتراك الذين لم يسلموا، ومع الزمن تم حذف الألف والياء فأصبحت الكلمة تلفظ (تركمان)، أي أن التركماني يقصد به التركي الأوغوزي الذي اعتنق الإسلام.

إن قبيلة الأوغوز قد أخذت اسمها من مؤسسها وجدها الكبير "أوغوز خان" مؤسس الامبراطورية الهونية التركية، وقد كان لأوغوز خان ستة أبناء، ومن نسلهم ظهرت العشائر الأوغوزية التركمانية والتي عددها أربعة و عشرون عشيرة، من أهمها:

- "قنق" ومنهم السلاطين السلاجقة الذين أقاموا الإمبراطورية السلجوقية سنة 1059م.

- "كايغ" وأقاموا الدولة العثمانية عام 1299م.

- "سلغر و "و أقاموا الدولة السالغورية في فارس عام 1148م.

- "أفشار" وأقاموا الدولة الافشارية في آذربيجان الجنوبية، والدولة الزنكية في بلاد الشام.

إن العشائر الأوغوزية التركمانية متمثلة اليوم بجمهوريات تركيا، أذربيجان، تركمانستان، أما التركمان المتواجدون في كل من سورية والعراق وفلسطين والأردن فهم تركمان (أوغوز) هاجروا إلى هذه المناطق في وقت قريب.

تم إطلاق اسم التركمان على الأوغوز الترك كافة اعتباراً من القرن الحادي عشر، وفيما بعد اقتصر على الرحالة والقرويين من الأوغوز، وبعد قيام الدولة التركية بعد الحرب الكونية الأولى استبدلت كلمة الأوغوز بـ الأتراك.

اللغة التركية

إن معظم اللهجات التركية متشابهة إلى حدٍ ما، وهي مشتقة من لهجتين متمايزتين، وهما لهجة "ياقوت" ولهجة "جوفاش". والناطقون بلغة "الياقوت" انسلخوا عن الأقوام التركية منذ أقدم العصور، وهاجروا إلى المناطق الشمالية، أي أنهم لم يشتركوا في الحياة التاريخية للأتراك. أما لغة "جوفاش" فقد استعملت على الضفاف الوسطى لنهر "الفولجا"، ويمثل أقدم مرحلة لتطور اللسان التركي بعد انفصاله عن أصله، وذلك زمن انفصال اللسان المغولي عن اللسان التركي.

إن كلمة "ترك" لم تكن موجودة قبل القرن السادس الميلادي. وينقل عن "طومسن" أن كلمة "تورك" اسم لقبيلة مستقلة أو لأسرة حاكمة. كما ينقل عن "رادلوف" أن الأتراك الذين دامت دولتهم من القرن السادس إلى القرن الثامن كانوا ينتسبون إلى "الأتراك الغز/ الأوغوز"، وقد صدّقت النقوش الأثرية ذلك.

وكان هؤلاء "الغز" ينقسمون قبائل عدة، ففي الشرق يوجد "الثولوس" و"الطاردوش". وفي الغرب يوجد "التوركش"، وهناك قبائل أخرى من "الترك" بالمفهوم الحالي للكلمة، وأشهرهم "القارلوق" و"الأوريغور" و"القيرغيز". ولذلك فإن المفهوم الحالي لكلمة "ترك أو تورك" على الأغلب هو اصطلاح إسلامي، انطلاقاً من ملاحظة العرب أن أقواماً كثيرة من تلك التي حاربوها في القرنين السابع والثامن الميلاديين كانت تتكلم اللغة نفسها التي يتكلمها الأتراك، فأطلقوا عليهم كلمة ترك. كما إن الروس والأوروبيين الغربيين في الأزمنة المتأخرة لم يطلقوا كلمة "ترك" إلا على السلاجقة ثم على العثمانيين. مع الإشارة إلى أن هؤلاء جميعاً منحدرون من "الغز".

الأتراك القدماء و الدين

العقائد الدينية لدى قبائل الأوغوز تتحدث عن عبادة السماء والأرض، حيث أن عبادتي الأرض والماء عندهم كانت تشكل ألوهية واحدة لا ينفصل جزآها. ومن بين الألوهيات المنعزلة عن غيرها يذكر روح واحد هو الروح الحارس للأطفال الرضع والمسمى "أوماي" حتى يومنا هذا عند الشامانيين من الألتاي. كما انهم يقدسون "بل" وهو أحد الأرواح أي الجن. والمصادر الصينية تذكر أن الخان التركي أراد إقامة معبد بوذي في عاصمة ملكه، إلا أنه عدل عن رأيه لأن الديانة البوذية -كما رأى أحد مستشاريه- تؤثر تأثيراً سيئاً على خصائصهم العسكرية.

في العهد "الساساني" الإيراني، بدأ تأثير المدنية الإيرانية يحل محل المدنية الهندية في آسيا الوسطى، خاصة أن إيران كانت تسيطر على طرق التجارة العالمية، البرية و البحرية، بوقوع الغز تحت تأثير المدنية الإيرانية، دانت بعض عشائرهم بالديانة الزرادشتية

ومن جهة أخرى، فإن الديانتين المانوية والمسيحية دخلتا هذه المنطقة من القرن الثالث الميلادي. وقد انتشرت الأولى بين الغز على نطاق واسع، بينما دخلت الثانية عبر الأبجدية السريانية. كما كان بعض عشائرهم يعتقدون بالتناسخ، فتصبح روح المرء بعد موته طائراً أو حشرة.

الترك و الإسلام

قتيبة بن مسلم الباهلي في الفترة من 705 إلى 715 م، كان قائداً للغزوات الاسلامية في آسيا الوسطى، وتذكر النقوش أنه في السنوات العشر من حكم قتيبة استولى الأتراك الشرقيون على دولة "توركه ش" لمدة محدودة. ووصلوا غرباً إلى ممر "بزغالة" الذي يفصل الصغد وطخارستان، أي يفصل البلاد المتمدنة الحضارية عن البلاد الواقعة قرب المجرى الأعلى لنهر جيحون.

وكما حصل مع شعوب الشرق الأوسط فإن قبائل الغز قاوموا الغزاة ولكنهم في النهاية خضعوا لهم كما غيرهم. وانتشر الإسلام بينهم خاصة عندما بسطت دولة "آل سامان" الإيرانية نفوذها في أواسط آسيا، وتحديداً خلال القرنين التاسع والعاشر الميلاديين.

كان للتجار المسلمين دور في نشر الإسلام في بلاد "الخزر"، وخاصة في عاصمتهم "إيتيل" الواقعة على نهر "الفولجا"، وكانت بلاد "الخزر"، تشترك في حدودها الجنوبية الغربية مع بلاد الخلافة الإسلامية. و "الخزر" سنة 965 م تعرضوا لهجوم من الروس، فطلبوا العون من الخوارزميين. فاشترط عليهم هؤلاء أن يدخلوا الإسلام، فقبلوا بذلك، وعاونهم الخوارزميون وأنقذوهم.

إن السبب الرئيسي لدخول الترك في الإسلام هو عسكريتهم وتأثرهم بفكرة الجهاد، فضلاً عن دخول الكثيرين منهم الاسلام أثناء الغزوات.

الممالك التركية الإسلامية

- **القاراخانيون و الغزنويون:** في سنة 960 م، قامت دولة "القاراخانيين" وعاصمتها "كاشغر" بقيادة الخان "بغراخان". ويُعد "ساتوق بغراخان" أول من أسلم من خانات الترك كحاكم لـ "كاشغر"، وفي القرن العاشر نفسه أسلم قسم من "الغز"، وهم المقيمون عند مصب نهر "سيرداريا".

وفي سنة 966 م احتل "القراخانيون" سمرقند وبخارى، كما احتلوا بلاد ما وراء النهر. وامتاز "القراخانيون" بتقواهم والتزامهم الديني، وبعدهم عن عمل المحرمات، بخلاف "الغزنويين"، الذين ورثوا ملك "السامانيين" في حكم البلاد الواقعة جنوب نهر "جيحون".

ويعد محمود الغزنوي من أبرز زعمائهم، حيث كان قد أعلن الجهاد في بلاد الهند، إلا أنه لم يكن يجد حرجاً من ..... التتمةفي ص 38.....

ماذا حصل للأدب الكوردي بعد الإسلام

- الجزء الخامس -

د.محمود عباس

بدايات الشعر والغناء العربي

تطويرهما أو تطورهما خير مثال للمقارنة بين مراحل مسيرة أداب الشعوب في المنطقة، والتي ظلت دون مستوى فنون وأدأب الحضارة الساسانية، حتى في مرحلة الترجمة أي في القرن الثاني الهجري، والتي سادت فيها السلطة العربية الإسلامية على المنطقة.

فمنذ خروج العرب من شبه الجزير العربية فيما إذا عرضناهما من يومنا هذا، وقصر عمرهما لو نظرنا إليها من مرحلة الوحي المعتبر من قبل معظم المؤرخين، واللغويين، لوجدنا تفاوت واسعا بينهما. فرغم أن اللغة العربية الحالية، فرضت ذاتها بعد الوحي، وبعد نزول القرآن، ونقصد لهجة القريش، المكتوب بها النص الإلهي، وسادت على اللغة الفهلوية الساسانية بعد انهيارها بقرون قليلة، تدوينا وليست ثقافة، ورغم أنها لم تكن تعرف الكتابة بها، إلى فتاته، يوم كانت المراكز الثقافية في الحضارة الساسانية، كالتي في كوندي شابور، ونصيبي وأربيل، ومدائن، وغيرها تستقبل الوفود العلمية من الطلاب والمدرسين من الحضارة الرومانية والبيزنطية، ومن الهند، وكتب أنه كانت لتلك المراكز علاقات مع مراكز ثقافية في الإمبراطورية الصينية، وعلى أثرها يوم خسر يزد كورد، أو يزد جرد حاول السفر إلى الإمبراطور الصيني طلبا لمساعدة، قبل أن يقتل على أطراف مدنية مرو...

لتسارع التطور في الفن العربي، كالموسيقى والغناء، وإلى حد ما الشعر، أسبابه وعوامله، فرغم قصر عمرهما الزمني مقارنة بفنون وشعر شعوب الحضارتين الساسانية والبيزنطية، أو فيما لو نظرنا إليهما من مرحلة الوحي، ونستثني منها الشكوك التي جالت حول الشعر الجاهلي. يلاحظ أنهما تجاوزا الجميع وبكل أبعادها، وجل ذلك عائد لدور السلطات الداعمة، التي ساهمت في تجاوز فنون وآداب معظم شعوب المنطقة، كالآرامية والمصرية والبيزنطية والفهلوية، بعد قرنين من خروج أول الغزوات من شبه الجزير العربية، والتي أدت إلى تفاوت رهيب بينهم.

فرغم أن اللغة العربية الحالية، فرضت بعد الوحي، وبعد نزول القرآن، ونقصد لهجة القريش، المكتوب بها النص الإلهي، كانت حينها دون مستوى اللغة الفهلوية الساسانية ثقافة وتدوينا، ولكن بفرضها من البعدين الديني والإداري، كلغة وحيدة للسلطات الإسلامية والعربية، تطورت بشكل متسارع في كل الجغرافيات التي طالتها السلطات العربية، والاستثناءات كانت نادرة.

كما ومن المعروف تاريخيا أن الغناء العربي ظهر بعد الخلافة الراشدية، المأخوذة بوادرها من سبايا الإمبراطورية الساسانية، بعدما سمعهم أحد الموالي، وأسمه سريج يغنون أثناء إعادة بناء الكعبة، ويتنشر من بعده وبوتيرة متسارعة، إلى أن بلغت سوية ما جمعه الأصفهاني بين دفتي كتابه (الأغاني) الرائع، والذي يذكر في الصفحة (52) عن أول غناء تم في مكة " قال إسحاق وحدثني أبي قال أخبرني من رأي عود ابن سريج وكان على صنعة عيدان الفرس وكان أبن سريج أول من ضرب به على الغناء العربي بمكة وذلك أنه رآه مع العجم الذين قدم بهم ابن الزبير لبناء الكعبة". كما وذكر في صفحة (حقيقة أدعياء السلفية وبيان انحرافاتهم وضلالاتهم) ليوم 28 نيسان، أن (سيرين) (اسمها الحقيقي شيرين كما ذكرها ابن كثير في كتابه السيرة الجزء الرابع ص (600 و648) أخت ماريا القبطية أم المؤمنين زوجة الرسول الكريم، هي أول من أدخلت العود المصري إلى المدينة، وكانت تتمتع بصوت شجي،

يقول أبن حجر في كتابه (الإصابة) الجزء الثامن ص (198) " عن ابن عباس؛ قال: مر رسول الله صلى، بحسان ومعه أصحابهُ سماطين وجارية له يقال لها سيرين، فجعل بين السماطين وهي تغنيهم، فلم يأمرهم ولهم ينههم" ومن المرجح أنها كانت تغني باللغة المصرية مع إيقاع العود، فلا يظن أن تكون قد أجادت العربية إلى درجة الغناء خلال سنة الفترة التي كانت لا تزال تدرج كإمة، ولم تكن قد ولدت أبنها عبد الرحمن من حسان بن ثابت، ولم نأتي على مصدر لتبيانها، علما أن الحديث نادر عن إدائها الغناء والعزف، وجلب العود المصري، لأنها ربما كنت أخت أم المؤمنين ماريا القبطية، فقل نقل الخبر في هذا. ثم قام (أبن حارث) عام 624م بتعريف أهل مكة بألة العود والغناء.

ففي رواية ابن سريج، تتبين إلى جانب مرحلة بروز الغناء العربي، الإشكالية التي كنا بصددها في الحلقات السابقة، وهي أن بعض المؤرخين يضفون الفارسية على جميع اللغات الإيرانية، لكن الأصفهاني يفصل بين العجم كوصف لسبايا الساسانيين، والصفة الفارسية عن منطقة معينة، وقد كان الطبري في كتابه تاريخ الأمم والملوك، وأبن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ، دقيقين في هذا المجال، فكل تذكير للفارسية كانت تعني منطقة فارس دون اللغة وهي جنوب أصفهان. والغناء لم يكن قبلها دارجا كما يدعي البعض، وإلا لما تم التالي مع الخليفة عمر بن الخطاب، كما رواه البيهقي في الجزء العاشر ص (224) " في حديث السائب بن يزيد، بينا رباح يغنيه أدركهم عمر بن الخطاب، رضي، في خلافته، فقال: ما هذا؟ فقال عبد الرحمن بن عوف، ما بأس بهذا، نلهو ونقصر عنا، فقال عمر: فإن كنت أخذا فعليك بشعر ضرار بن الخطاب"، وعن العود الذي لم يكن يعرف رغم ما تم ذكره هنا، يقول الفاكهي في (أخبار مكة) الجزء الثالث ص (27) وأبن عبد البر في العقد الفريد الجزء السابع ص (13) " إنه كان لعبد الله بن الزبير جوار عوادات. وإن أبن عمر دخل عليه فرأى العود فقال: ما هذا يا صاحب رسول الله؟ فناوله فتأمله ابن عمر وقال: هذا ميزان رومي فقال ابن الزبير: توزن به العقول" هذه دلالات من العديد أمثالها تؤكد أن الغناء والآلات الموسيقية دخلت الجزيرة العربية من الشعوب المجاورة، كالساسانية كالغناء والعود، ومن مصر كالعود المصري، والحكمة هي أن هذا النوع من الفن والشعر تحت السلطة العربية الإسلامية تجاوزت فن الشعوب المحتلة ولقرون عديدة، إلى أن أعادت تلك الشعوب أمجادها وببطء، وخير مثال ما كان عليه الفهلوية الساسانية، والتي ظهرت بشكل خجول في بدايات القرن العاشر، وفي مناطق متفرقة من جغرافية كوردستان.

وقد تكون صدمة فيما إذا ذكرنا أن المقال يسري على اللغة العربية ذاتها، ففي مقالة ضمن موقع العاصمة نيوز، تحت عنوان تاريخ اللغة العربية وأول من تكلم بها، بتاريخ 2018/9/9م " أن أقدم ما وصل منها بعض العلامات والنقوش التي ترجع في تاريخها إلى القرن الثاني الميلادي، كما وصلنا أرقى آثارها من الشعر والنثر الذين أُلفا في الجاهلية وجُمعا في القرن الأول للهجرة؛ حيثُ يُبينان كمال هذه اللغة وعظمتها ومرونتها". ويتمم في مقطع أخر " روت الكثير من المصادر التاريخية أن يعرب بن قحطان بن عامر بن شالخ بن قينان بن أرفخشذ بن سام بن نوح هو أول من تكلم العربية؛ لأنه من انعدل لسانه من اللغة السريانية إلى اللغة العربية".

وبالمقابل تراجعت أو عتمت وأهملت لغات الشعوب الأخرى، إن كانت بالقوة عن طريق فرض لغة القرآن أو بالتخلي طواعية عنها من قبل أصحابها متأثرين بلغة النص الإلهي والسلطة العربية الإسلامية، كاللغة الساسانية وورثتها الكورد، والفارسية، والأمازيغية والقبطية والأرامية وغيرها. لكن البعض من السلطات التي ظهرت تحت خيمة الخلافة العربية الإسلامية، كالمملكة السامانية والغزنوية تمكنت من إنقاذ لغة شعبها الفارسي بعدما فرضت ذاتها كقوة، ولحسها القومي استطاعت وبفترة قصيرة من إحياء ما تم تدميره على مدى القرون من الهيمنة العربية الإسلامية، ومثلها العثمانية التركية.

يقال إن بعض العشائر العربية في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام لم تكن تفهم بعضها، ونحن هنا لا نتحدث عن لغة العرب العاربة والمستعربة، بل حتى بين القبائل المستعربة، فالكثيرون يشككون أن تكون حتى المعلقات هي نفس اللغة التي وصلتنا بها اليوم. وهنا لا نقف على الدراسات المحرفة لتاريخ اللغة العربية، بل المنطقية، والتي لا تقلل من مكانتها ولا من جمالياتها.

كحديث للرسول الكريم، ذكرها الرواة أنه عندما كان يستمع إلى الرائع من الشعر والنثر يقول: "إن من الشعر لحكمة. وإن من البيان لسحر" وقيل إن مناسبة قوله الجملة الثانية كان على خلفية حدث ومحاكمة وقول بيان، جرى أمام الرسول الكريم، ولسنا بصددها هنا. وذكر أنه كان يقول لشاعره حسان بن ثابت "نافح عنا، وروح القدس يؤيدك. أجب عني اللهم أيده بروح القدس". ويقال إنه قال لكعب بن مالك يوماً "أهجم فوالذي نفسي بيده لهو أشد عليهم من النبل" ...

ان مساندة السلطتين؛ الدينية الإسلامية والدنيوية العربية، بعد الخلافة الراشدية، وبسند من أحاديث الرسول الكريم، مهدت للشعر والشعراء العرب أفاق جديدة، فمثلما ساهمت تلك السلطات في تطويرها على حساب الأقسام الأخرى من الأدب حتى منتصف العصر العباسي، سارعت في طمس اللغة الفهلوية الساسانية، وإزالة كل الآثار الأدبية والفكرية ومن ثم الروحية، وبالتالي على الحركة الثقافية لتلك الحضارة، والتي كانت ركيزة اللغة والأدب الكوردي الحالي، وهو ما أدى إلى تيه الأدباء الكورد بين لغة الدين الجديد ولغتهم التي حصرت عقد بعد أخر، في زوايا البيوت والمراكز الأدبية الضيقة، وعلى مدى قرون عديدة، لم يظهر للكورد أثر أدبي أو فكري باللغة الفهلوية الساسانية، أي الكوردية، إلى أن ظهرت فجأة وكصحوة من سبات طويل، شعراء وأدباء كفطور متناثرة وعلى مسافات زمنية ومكانية متباعدة، على جغرافية كوردستان.

وقد حدث مثلها في الفن بين العرب، وخاصة الطرب والموسيقى، مع غياب معظم الأجزاء الأخرى منه، وخلافها هنا عن الشعر أنها ظلت محصورة لفترة طويلة بين الطبقة السائدة، وتنامت متسارعة، رغم ظهورها المتأخر على الساحة، وذلك في المراحل الأخيرة من الخلافة الراشدية، في الوقت الذي كان الفن بكل أنواعه منتشرا بين الشعب، وأبعاد واسعة من التطور في الحضارة الساسانية، ومعظم المصادر في هذا المجال تؤكد على أن فن الغناء والآلات الموسيقية تمت على خلفية تأثر العرب بثقافة الحضارتين الساسانية والبيزنطية، والقبطية كنت جزء من الأخيرة، خاصة بعد احتلالهم لها. وهنا لا نتحدث عن الأنواع الأخرى من الفن، كالرسم والنحت والمسرح، وغيرها، الذي لم يكن له وجود في الجزيرة العربية؛ وبدايات ظهوره كان متأخرا جداً، والأصنام التي كانت في مكة، نحتها وبناءها له تاريخ من خارج الجزيرة العربية، وقصة هبل الصنم الأكبر الذي جلب من منطقة العمالقة، والتي كانت تحت سيطرة الحضارة البيزنطية، معروفة في التاريخ، والمحلية أو التي كانت تعبد من قبل القبائل لم تكن أصنام منحوتة.

مصادر، وكما ذكرنا سابقا، وما قيل ليست بناقصة، بل الناقصة تكمن في الاستئثار بها دون غيرها من ثقافات الشعوب التي أحتلت وفرضت عليها الإسلام، تذكر أن العرب تعلموا قرض الشعر من القبط والساسانيين قبل الوحي بقرابة قرن ونصف، ومارسوا بعض أنواع الفن، ومنها الغناء واستخدام الآلات الموسيقية، بعد مرحلة الوحي بعقود، وبما أنه لم يحكم على الطرب وأدواته بحديث مثلما حكم على الشعر، ظل الفن بكل أنواعه بين يدي الفقهاء والمتأولين للنص والأحاديث، وهو ما أدى إلى حدوث جدال فقهي بلا نهاية، حول مدى تحريم الطرب والآلات الموسيقية، ونوعية المكروه والمسموح. مع ذلك، ورغم العمر الزمني القصير، لهذين المجالين الثقافيين، إلا أنهما بلغا مراحل متقدمة من التطور بدءً من منتصف العصر العباسي، وللشعوب التي اعتنقت الإسلام دور كبير فيهما، إن لم يكن الدور الرئيس.

والقول في الشعر العربي متشعب الأبعاد، كتب فيه الكثير الكثير، لكننا في اختصاره نستند على بعض من الرأي في الشعر الجاهلي، كشكوك (طه حسين) فيه، تاريخا ونصاً، وهو القائل في كتابه (في الشعر الجاهلي) " لقد أغلق أنصار القديم على أنفسهم في الأدب باب الاجتهاد، كما أغلقه الفقهاء في الفقه، والمتكلمون في الكلام. فما زال العرب ينقسمون إلى بائدة وباقية، وإلى عاربة ومستعربة. وما زال أولئك من جرهم، وهؤلاء من ولد إسماعيل. وما زال امرؤ القيس صاحبَ قصيدة "قفا نبك..."، وطرفة صاحبَ "لخولة أطلال..."، وعمرُ بن كلثوم "ألا هبى ."...لكنني شككت في قيمة الأدب الجاهلي، وألححت في الشك. وانتهيت إلى أن الكثرة المطلقة مما نسميه أدباً جاهلياً، ليست من الجاهلية في شيء، إنما هي منحولة بعد ظهور الإسلام. فهي إسلامية تمثل حياة المسلمين وميولهم وأهوائهم، أكثر مما تمثل حياة الجاهليين".

ويرسخ الجاحظ هذه المقولة بطريقة أخرى، ففي كتابه (الحيوان) الجزء الأول الصفحة (74) في البعد التاريخي المعارض لشكوك طه حسين، ودون أن يذهب بعيدا كبعض المؤرخين العرب الذين يرجعون بدايات الشعر العربي إلى قرون عديدة قبل الإسلام، فيقول "أما الشعر العربي فحديث الميلاد صغير السن، أول من نهج سبيله وسهل الطريق إليه امرؤ القيس بن حجر ومهلهل بن ربيعة. فإذا استظهرنا الشعر وجدنا له – إلى أن جاء الله بالإسلام – خمسين ومائة عام، وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتي عام" ..... التتمةفي ص 38.....

تتمــة: ماذا حصل للأدب الكوردي بعد الإسلام

وهكذا فمعظم المصادر مثل التي اختصرنا بهم يؤكدون على أن الشعر العربي والذي بلغ اليوم سويات عليا من التطور، حديث العهد بالنسبة لشعر الشعوب المجاورة كالأراميين والساسانيين والقبط، الذي أصبح؛ وبعد هيمنة السلطات العربية الإسلامية على جغرافياتهم من النادر أن نجد له أثر، أو كتب من الماضي، رغم أن شعراء العرب الأوائل استسقوا من أولئك الشعوب طريقة قرض الشعر، واستخدموا اللغة الأرامية في الكتابة قبل أن تنفرد بذاتها، يقول في هذا مقدم كتاب (بدايات الشعر العربي بين الكم والكيف) للكاتب الدكتور محمد عوني عبد الرؤوف، الدكتور سعيد بحيري، في الصفحة (9) " يرجح استمرار الشعر العربي كيفيا طوال الفترة التي ارتبط فيها بالشعر الآرامي" ولا توجد أية نقوش أو كتابات باللغة العربية قبل الوحي، مثلما ورد في الكتاب المذكور وعلى لسان الكاتب في الصفحة (21) " وإن عدم وجود نقوش بوسط الجزيرة العربية، بلغة أهل هذه المنطقة أو باللغة المشتركة التي نزل بها القرآن، وعدم وصول أي شيء عن هذه المحاولات، جعل الباحثين لا يدرون تماماً إن كان السجع هو حقاً الصورة الأولى التي أنطلق منها الشعر العربي".

كما ويذكره محمد عوني عبد الرؤوف في كتابه (بدايات الشعر العربي) الصفحة 162 "يرى ابن سلام (ت231هـ) انه لم يكن لأوائل العرب من الشعر إلا الأبيات يقولها الرجل في حاجته، وإنما قصدت القصائد وطول الشعر على عهد عبد المطلب وهاشم بن عبد مناف" ويتمم في الصفحة 172م " ولكن أقدم قصيدة وصلت إلينا، فيما يقول جوستاف فون جرونيباوم في كتابه (نقد وفن الشعر) هي قصيدة عمرو بن قميئة (حوالي 480م -540م) أي قبل الإسلام بقرابة خمسون سنة... ولا يمكن أن تعد بمقاييسهم شعراً يستحق التوقف عنده" ويقصد هنا مقاييس النقاد العرب.

ورغم هذا التطور، والتي تعتبر كطفرة ظهرت بعد الاختلاط بالحضارتين المذكورتين، ظل العديد من الشعراء العرب الأوائل متأثرين بالثقافة الساسانية وآدابهم، فعلى سبيل المثال يذكر محمد عوني في كتابه المنوه إليه في الصفحة 176 " وكان الأعشى ولا شك أعظم شاعر قبل الإسلام، تُنمُ المظاهر الاجتماعية التي يتحدث عنها بشعره عن تأثره بالساسانيين"

فيما لو أسلمنا صحة ما يقال أن المعلقات كانت على جدران الكعبة، تنم على أنه؛ رغم القصر الزمني لظهور الشعر العربي، كان قد بلغ مراحل متقدمة من الأبداع، في زمن الوحي، وهذه أيضا من ضمن الروايات التي شك فيها طه حسين، بعكس الغناء والآلات الموسيقية التي كانت مجهولة في شبه الجزيرة، وظهرت في منتصف القرن الأول الهجري، وفي هذا يقول شهاب الدين النويري في كتابه نهاية الأرب في فنون الأدب الجزء الرابع، الصفحة (239) "لم يكن للعرب قبل ذلك إلا الحداء والنشيد، وكانوا يسمونه الركبانية". وأول من نقل الغناء العجمي إلى العربي من أهل مكة سعيد بن مسجح، فكان أول اتصال له مع الألوان الموسيقية الأجنبية، حينما سمع عمال البناء من سبايا العجم وهم يغنون أغانيهم أثناء عملهم ببناء وترميم الكعبة في عهد عبد الله بن الزبير بن العوام. وبعده برز تلميذه ابن سريج المغني .فقد كان ابن مسجح وابن سريج كليهما عبدين عند سيد واحد. للمزيد من معرفة روايته مع الخليفة عبد الملك بن مروان، يمكن العودة إلى كتاب الأغاني لأبو الفرج الأصفهاني، الجزء الثالث، الصفحة 278-279 من الطبعة الأولى.

لذلك لم يتم الحديث عنهما في زمن الوحي، ولم يأت على ذكره في النص، وما ورد في الحديث فمعظم الفقهاء يضعفونها على أنها أحاديث موضوعه، وكما نعلم من التاريخ...

لم يتم الحديث عن الفن في زمن الوحي، ولم يأت على ذكره النص، وما ورد عن الرسول الكريم فمعظم الفقهاء يضعفونها على أنها أحاديث موضوعه، وكما نعلم أن تداولها كانت محظورة إلى بعد وفاة الخليفة عمر بن الخطاب، فالصحيحين محل شك عند العديد من الفقهاء. وما يخص الطرب الوارد على لسان عائشة رضي الله عنها؛ أي الغناء والآلات الموسيقية، تناوله الفقهاء بعدة أوجه، فهي تقول (دخل عليَّ النبي وعندي جاريتان تغنيان بغناء بعاث، فاضطجع على الفراش وحول وجهه، ودخل أبو بكر -رضي الله عنه- فانتهرني، وقال: مزمار الشيطان عند النبي، فأقبل عليه رسول الله، فقال :دعهما، فلما غفل غمزتهما فخرجتا وفي رواية لمسلم فقال رسول الله :يا أبا بكر، إن لكل قوم عيدًا، وهذا عيدنا) أما ما تم تأويله وشرح الآيات، المقالة أن المقصود فيه الغناء، مشكوكة فيها، وتفسيراتهم وضعية حسب المكان والزمان والسلطة، فجميعهم فقهاء بعد الوحي وبعد الخلافة الراشدية، ولم يتم تفسير تلك الآيات في زمن الرسول ولا في عهد الراشدين، إلا بعد تطور الغناء والآلات الموسيقية في الوسط العربي، أو سمعوا الغناء من الشعوب التي دخلت الإسلام.

ويقال إن أوائل المفسرين هو عبد الله بن مسعود، أي بعد الخلافة الراشدية وعند سماعه الغناء والموسيقى، والتقول مطعون فيه، فلم يظهر التفسير عنه إلا بعد أكثر من نصف قرن من الوحي، وبعده بقرن تقريبا جاء تفسير الحافظ بن كثير، وأبن جرير، وغيرهم وجلهم يبنون على آيات ثلاث، أهمها الآية السادسة من سورة لقمان (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ). ونحمد الله على عدم قدرة هؤلاء المفسرين السلفيين التكفيريين التحكم في السلطات العربية الإسلامية ومن ثم بالفنون وإلا لكانت الشعوب الإسلامية تعيش اليوم في ظلمات الفن وخسروا أحد أهم ملذات الحضارات الإنسانية. وجل الحديث تثبت أنه لم يكن للقبائل العربية فن بالمفهوم الدارج حتى في مرحلة سقوط الإمبراطورية الساسانية، وما ظهر على الساحة بعد قيام السلطة العربية الإسلامية هو سيطرة على فن الحضارة الساسانية، والتي كانت على مسافات زمنية من الرقي، تمكنت السلطات اللاحقة ألقاء الغطاء العربي عليه، وعرضه مؤرخوهم على أنه الفن العربي، ملغيين الماضي ومأثر شعوب تلك الحضارة وفي مقدمتهم الشعب الكوردي. ..... يتبــع.....

تتمــة: الملامح التاريخية لشعوب شرق المتوسط

تعاطي المحرمات. وقد ظهر من "القاراخانيين" الرحالة "محمود الكاشغري" الذي كتب كتاباً في التاريخ في سنة 1075م وأهداه إلى الخليفة المهتدي، والكتاب يتضمن خريطة لتواجد المسلمين في بلاد الترك.

- **السلاجقة:** تذكر بعض المصادر ومنها "الكاشغري"، أن رئيس الأسرة "الغزية" التي حكمت مؤخراً في إيران كان يسمى باسم "سوباشي" أي قائد الجيش، واللفظ العربي للاسم هو: سلجوق أو سالجوق أو سالجيق، والمعروف عن "سلجوق" أنه أسلم وخلّص سكان الوادي الأدنى لنهر "سيحون" من الجزية التي كانوا يدفعونها "للغز".

تأسست دولة السلاجقة في القرن الحادي عشر الميلادي عن طريق حفيدين لـ "سلجوق". وأخذوا عن الإيرانيين قواعد المركزية، وتوحيد أداة الحكم، واستعملوا للمرة الأولى على العملة التي سكوها باسمهم اللقب الإيراني "شاهنشاه"، في حين كان " السامانيون" و "الغزنويون" يفضلون لقب "أمراء مسلمين". وعندما اتجهوا غرباً اتخذوا لقب "سلطان إسلام". وكان "سلطان الإسلام" يلي الخليفة من حيث الموقع والأهمية، كما كان يولى السلطة الزمنية من الخليفة نفسه. والسلطان "طغرل بك" حفيد "سلجوق" تزوج من بنت الخليفة العباسي آنذاك.

كان أحفاد "سلجوق" يسعون إلى السيطرة على كل بلاد العالم الإسلامي. ففي الوقت الذي تمت فيه الفتوحات السلجوقية في الأناضول، كان السلطان "ألب أرسلان" يغير على مناطق نهر "سيحون"، وعلى بلاد "القراخانيين". واستولوا على بغداد في 1055 م. وفي عهد السلطان "ملكشاه" المتوفي سنة 1092م بلغت إمبراطورية السلاجقة أوج عظمتها، فسار "ملكشاه" إلى مدينة "أوزكند" في "فرغانه"، وأخضع لحكمه خان "كشغر" ليمتد بذلك نفوذ سلطان الإسلام على آسيا الإسلامية كلها، وذلك من حدود بلاد "الأويغوز" شرقاً إلى البحر المتوسط غرباً.

وبعد معركة "ملاذكرد" ضد البيزنطيين تمكن السلاجقة من بسط نفوذهم على أجزاء واسعة من الأناضول، واتخذوا قونية عاصمة لهم في 1097 م. وبحلول القرن الثاني عشر ميلادي بدأ الأوروبيون يطلقون على منطقة الأناضول بلاد الأتراك، وخلالها انتشر الإسلام في المنطقة، ونتيجة لهذا حدث تزاوج وتصاهر بين الأتراك وسكان المنطقة الذين اعتنقوا الإسلام وتمازجوا مع القادمين.

بعد اجتياح المغول للمنطقة تفككت الإمارة السلجوقية، وبدأ عصر الإمارات التركمانية، فقامت أقوى الإمارات في البداية وهم الفرمان وكرمايان وتمركزوا في المنطقة الوسطى، في حين أن عائلة بني عثمان والذين أسسوا لاحقاً الإمبراطورية العثمانية كانوا يسيطروا على منطقة في الشمال الغربي حول سوغوت.

الإمارات التركمانية امتدت على طول بحر إيجة من الشمال إلى الغرب: بنو قراصي، وبنو صاروخان، وبنو آيدين، وبنو منتشا، وبنو تكة، وبنو جاندار.

- **التيموريون:** "توغلوق تيمور" المولود سنة 1330م، أصبح خاناً في الثامنة عشرة من عمره، وكان واله يعرف باسم "إيسا بوقا" المتحدر من قبيلة "بارلاس" المغولية المتتركة، والذي يعود بالنسب إلى "قاجول" وهو الجد الأعلى لـ "جنكيزخان". وينسب المؤرخون إلى توغلوق عبارة نُسبت من قبل إلى الاسكندر المقدوني، وهي "العالم لا يستحق أن يملكه حاكمان".

العاصمة الأساسية لحكمه كانت "سمرقند" ذات المركز التجاري المهم، وقد شيد فيها قصراً فخماً عُرف بـ"آق سراي" مستعيناً بالعديد من العلماء والصناع الخوارزميين، وكان مغطّى بالفسيفساء الصينية.

كانت المناطق المتأثرة بالمدنية الإيرانية هي الهدف الأصلي لغزوات تيمور (سكانها في ذلك الوقت كانوا من الأتراك)، ودمر جيشه خوارزم وخاصة عاصمتها "أوركانج"، حيث زرعوا في مكانها الشعير إعلاناً على خرابها.

كان "تيمور" متأثراً بالمدنية الإيرانية، مع العلم أنه كان أمياً، ولكنه كان على قسط كبير من الثقافة. وكان يلعب الشطرنج وبخالط العلماء، ومن المعجبين بثقافته ابن خلدون المتوفى سنة 1406 م.

بعد موت "تيمور" لم يتمكن أولاده من توسيع حدود الإمبراطورية، وعجز أحفاده عن المحافظة عليها، وفقدوا كل بلادهم ما عدا "تركستان" والمناطق الشرقية والجنوبية من إيران. وقد تحولت العاصمة التيمورية من "سمرقند" إلى "هراة"، لكن السلطان "شاهرخ" أعاد العاصمة إلى "سمرقند" زهاء أربعين عاماً (1409 - 1449) م.

في عهد التيموريين تطور الأدب التركي بعد أن كان معدوم الذكر، واعتلى شأن الشعر التركي واللغة التركية في تلك الفترة، واستطاعت التقاليد التركية المغولية أن تستأصل التقاليد التركية الخالصة وأن تقوم مقامها، وقد نقش"أولغ بك"عملته بالتركية، بعد أن كانت العملة في سمرقند تسك باسم الحاكم. ولم يكن تمسك "أولغ بك" بالقومية التركية يمنعه من الأخذ من المدنية الإيرانية إذ لم يقتصر على لقاء العلماء، بل كان يشتغل هو نفسه بالعلم، واتخذ من الترك تلميذاً وخلفاً له في العلم هو "علي قوشجي"، الذي أنشأ مرصد "أولغ بك"، ورتّب جداول الزيج، فشكّل بذلك أنموذجاً نادراً في التاريخ الإسلامي للحاكم.

نهاية الامبراطورية التيمورية كانت من قبل قوم من الترك وهم "الأوزبك"، أثناء حكم الخان "أبي الخير" الذي استولى سنة 1431م على مدينة "أوركانج"، وعلى القسم الشمالي من خوارزم، وفي سنة 1451م أغار على المناطق المجاورة لسمرقند ونهبها، وقام أولاد "أبي الخير" بإنهاء سلطنة التيموريين.

- **العثمانيون:** إن اصطلاح (عثمانيّ) كان مرتبطاً بأسرة حاكمة وليس مدلولاً قومياً، وهو في ذلك مثله مثل مصطلح (الأمويين و العباسيين)، ولذلك ترجع تسمية العثمانيين إلى مؤسس الدولة العثمانية "عثمان بن أرطغرل"، وهو من أسرة تنتسب إلى قبيلة تركمانية اسمها "قاتي" من قبائل الغز التركمانية، والتي كانت في بداية القرن السابع الهجري تعيش في كردستان وتحترف الرعي، وقد هاجر سليمان جدّ عثمان حوالي العام 1220م مع قبيلته من كردستان إلى بلاد الأناضول ليستقر في مدينة أخلاط؛ وذلك بسبب الغزو المغولي على العراق ومناطق شرق آسيا الصغرى.

بعد انهيار دولة سلاجقة الروم كان عدد الأتراك بالأناضول في ازدياد؛ بسبب التقدم المغولي، وفرّت بعض القبائل التركية الوثنية لتدخل الإسلام وتستوطن الأناضول، وهذا أدى إلى تشكيل دولة بني عثمان، وقد كان عثمان بن أرطغرل ملجئاً للعديد من المسلمين الفارّين من التتار، وقد انتسب إليه الخلفاء من بعده لأنه أول من اعتنق الإسلام من أمراء قومه، وقد توفي عام 1327م.

في عهد عثمان الأول، توسعت الإمارة العثمانية وأصبح سكان غرب آسيا الصغرى يتحدثون باللغة التركية ومعتنقين الإسلام. وفي عام 1354م توغل العثمانيين في أوروبا وأسسوا موطئ قدم لهم في شبه جزيرة جاليبولي، وفي الوقت نفسه اندفعوا إلى الشرق واستولوا على أنقرة. ومع فتوحاتهم في تراقيا ومقدونيا وبلغاريا، فإن أعداداً كبيرة من الأتراك استقروا في هذه المناطق.

قامت الجيوش العثمانية في عهد السلطان محمد الثاني بفتح القسطنطينية في عام 1453م، وجعلها عاصمة العثمانيين الجديدة. وبعد سقوط القسطنطينية توغلت الدولة العثمانية في أوروبا والشرق الأوسط، وشمال أفريقيا. ونشبت معركة جالديران 1502م بينهم وبين الفرس، فكان التقسيم الأول لكردستان.

بدأت الإمبراطورية العثمانية بالضعف في أوائل القرن العشرين، وفي 1913 بدأت حكومة جمعية الاتحاد والترقي وضع برنامج التتريك القسري للأقليات غير التركية، وبعد الحرب العالمية الأولى في العام 1918م وافق الأتراك على الهدنة مع انكلترا وفرنسا. كما وقعوا معاهدة سيفر في العام 1920م في إطار تفكيك الإمبراطورية العثمانية. ولكن مصطفى كمال أتاتورك رفض قبول شروط المعاهدة وألغى السلطنة، وظهرت الهوية التركية في عام 1923م من خلال معاهدة لوزان التي ألغت معاهدة سيفر، وتأسست جمهورية تركيا رسمياً بعد طمس ومصادرة حقوق الشعبين الأرمني والكردي. ..... يتبــع.....

جمهورية الكلب للروائي إبراهيم اليوسف

جان كورد

لن أتعمق في هذا السرد المصحوب بالكثير من "العنفوان الأدبي" فقد كتب عنه نقاد كورد وعرب، ومنهم إبراهيم محمود، الناقد بل والفيلسوف الذي تعمّق في بحور الروائي وعوالمه الدفينة في أعماقها، والكاتب محمود أبو حامد، إلاّ أنني سآخذكم معي في جولة قصيرة عبر التاريخ عن "الكلب في الدين والأدب" حتى نفهم حقيقة ما يسعى الروائي القدير جذبنا إليه، فهو لا يريد إظهار العلاقة بين الإنسان وهذا الحيوان الشهير بوفائه في مجتمعين مختلفين من حيث النظرة العامة للكلب فحسب، بل يبدي لنا العديد من مظاهر الحياة الإنسانية في الخيمة الاجتماعية التي تعصف بها رياح النزوح والهجرة والتشرّد من عالم ذي أبعاد وأطر عقيدية وفكرية معينة إلى عالمٍ واسع من المرافىء والموانىء الاجتماعية الجديدة التي نزل فيها الروائي الغريب عن كل ما حوله من صور منها غير مفهومة مطلقاً كما كان يظن وسعى في روايته الجمع بين العالمين في قبضته ونثر جواهر أفكاره وتصوراته وما اكتسبه من معارف في حياته المترنحة بين العالمين للقارىء الذي ربما يتيه أحياناً ولا يدري كيف ولماذا يتابع القراءة، ولكن أسلوب الروائي وقدراته الكتابية ومعرفته اللغوية العميقة وتجربته الشخصية الطويلة في دنيا الأدب والاجتماع يرغم القارىء على ركوب الموجات التي تتلاطم فوق بحر الرواية ولا يستطيع الهروب منها وكأنه مقيّد بسلاسل متينة تمتد إلى أعماق الرواية.

Tiango

كان الكلب عامةً والأسود منه ذا أهميةٍ بالغة في التراث الديني للعديد من الشعوب والأمم، فنراه في الأدب والدين لدى الصينيين تحت اسم (تيانغو)، حيث يرافق الأبطال الشجعان ويحرسهم ويرافقهم في النزوح من عالم الأحياء إلى عالم الأموات، دون أن يفقد قدسيته وأهميته. وتشبه صورة الكلب في الأدب والتراث الديني لليابانيين الذي أصولهم كورية ذات الصورة التي عليها الكلب في الميتالوجيا الصينية.

أما في الميثولوجيا المصرية الفرعونية فإننا نجد الكلب (آنوبيس) الذي كان القبطيون يسمونه ب (آنوب) وكذلك سماه الفراعنة بـ إتسي (Etsi)، فإنّ وظيفته هي مراقبة تحنيط الأشراف والملوك ومرافقة جثامينهم لدى الانتقال من عالم الأحياء إلى عالم الأموات والتأكّد من أنّ كل شيءٍ قد تم حسب المراسيم الدينية الصارمة وممارسة الرقابة على عملية وزن قلوبهم لمعرفة ما كسبوه من خير وشر... إنها وظيفة مهمة يجب التقيّد بتنفيذها على أكمل وجه في حياة البشر لدى موتهم، إلاّ أنها أهم بكثير في الحياة الأبدية بعد الموت، ولذا يعتبر الكلب مقدساً لدى المصريين القدماء.

Anubis

أما في الميثولوجيا الاغريقية، فإن الكلب ذا الرؤوس العديدة زيربيروس (منه برأسين أو ثلاثة أو حتى مائة رأس) وينتهي ذيله برأس أفعى، هو الذي يحرس البوابة بين الحياة والموت، فلا يمر أحدٌ من البشر

Zerberus

كما لا يخرج أحدٌ من عالم الموتى دون الاستئذان منه، فسلطته على حراسة البوابة أبدية ومطلقة لا غبار عليها، وقد كتب العديد من الرواة والكتّاب اليونان القدامى ومن ثم الرومان عن هذا الكلب الذي يسمى "كيربيروس" أيضاً، أو جعلوا له مكاناً مرموقاً في آثارهم الأدبية العريقة.

ونجد للكلب "الأسود" مكانةً مهمة في الميثولوجيا الإنجليزية التي معظم أصولها من الأساطير الكلتية والجرمانية والفاليسية، حيث نجد في الأساطير الفاليسية تسمية الكلب الأسود "CŵnAnnwn"ولكن دون مثل القدسية التي نراها لدى الصينيين واليابانيين والمصريين واليونان، إلا أنه أضخم من الكلاب العادية بكثير وذو عينين ثاقبتي النظرات، مضيئتين، وقوائم عالية متينة وقوة عظيمة ورأس كبير له مهمة مراقبة الانتقال من عالم الحياة إلى عالم الموت أيضاً، كما أن رؤيته أو لقاءه يعني اقتراب سوءٍ ما أو خسارةٍ عظيمة ولربما اقتراب الموت، فيتفادى الناس المرور بالكلب الأسود الذي يدعى (تيشكو) أيضاً وهناك في الميثولوجيا الفاليسية الكلب الذي يدعى (درودوين) إلا أنه ذو أذنين حمراوين وأسفل بطن أبيض، بل لا يختلف اسم وعمل كلبهم عما لدى المصريين القدامى من حيث مراقبة العالم السفلي ونجد (آنويين) قريباً جداً من (أنوبيس)...

وتعتبر رواية "كلب باسكيرفيلد" الإنجليزية (1902 -1901) لآرثر كونان دويلى من الروايات العالمية الشهيرة.

Der Hund von Baskerville, Roman von Arthur Conan Doyle(1902/1901)

ونجد في الميثولوجيا الكلتية والجرمانية القديمة اسم الكلب الأسود الذي يدعونه (غارم – Garm)، وهو كلبٌ باسط ذراعية في بوابات العالم السفلي يهاجم كل من يقترب من ذلك العالم، ويأخذ أوامره من الإلهة (هايل أو هيل – Hill) حيث الاسم هو للجحيم في الانجليزية، ويلتقي الإله الأكبر أودين للشعوب الشمالية بهذا الكلب القوي الشرس في غزوة له على مقربةٍ من بوابةٍ للعالم السفلي.

ويبدو أن القصص عن (غارم) متأثرة جداً بالأدب الأسطوري الاغريقي..

Hill

كما نجد الكلب الأسود ذا مكانة مرموقة لدى رجال الدين في مجتمعاتنا العريقة في القدم، لدرجة أن قذارته المجففة توزّع على الأتباع كنوعٍ من المواد التي فيها بركة، فتستخدم كعلاج أو يتم تناول أجزاءٍ صغيرة منها لأنها "مباركة!"

هذه الصورة عن الكلب الخيالي الذي يحرس العوالم الدنيا أو يجلب الموت ويعاقب المقتربين من بوابات العالم السفلي غير موجودة في الأديان السماوية الكبرى (اليهودية والمسيحية والإسلام)، بل على العكس من هيبة الكلب المعهودة، فإنه منبوذ، محتقر ومهان، ولا يسمح له العيش مع صاحبه في البيت ذاته، بل في أحسن الأحوال يبنى له كوخ صغير يأوي إليه في الليل، وقد يسمح لكلب الصيد السلوقي بدخول المسكن، وبخاصة في الشتاء، فوظيفة الكلب تصل أحياناً إلى التضحية بالنفس في التصدي لجده القديم (الذئب) من أجل إنقاذ شاةٍ أو عنزة. وهذا الأصل الذئبي أحد أسباب كره البشر له. فلدى ذم إنسانٍ لآخر يقول له: أنت كلب... ويطلق (الكلب) على الدنيء والخائن والغادر رغم الاعتراف بوفائه وذكائه وحمايته للقطيع وللبيوت. وفي اليهودية تشبيهات مختلفة عن هذه الحالات التي فيها إزدراء لهذا الحيوان، وفي الإسلام نجد الكلب في سورة أهل الكهف باسطاً ذراعيه بالوصيد يعاني ذات المعاناة التي يتعرّض لها أصحابه الذين معه في الكهف، ولكن من دون قدحٍ أو مدح... ومنظره في ذلك الوضع يذكرنا بالكلب الفرعوني أنوبيس الذي له ذات القعدة.

في الحديث النبوي الشريف، نجد وصفاً فيه ذم واحتقار للكلب كما في الكتاب المقدّس، فالكلب الأسود في (صحيح مسلم) هو "الشيطان" بذاته... وحيث أن الكلب دنس ونجس، لذا فإن لعابه إذا لامس جسد أو لباس الإنسان فيجب غسله سبع مراتٍ بالماء ومرةً أخرى مسحه بالتراب (أي التعقيم التام)، إلا كلب الصيد والحراسة، حسبما فهمت من الحديث الصحيح لمسلم.

ومن هذا كله نعلم لماذا موقع الكلب في المجتمع الذي تربى ونشأ فيه راوي (جمهورية الكلب) كما تربى فيه أبوه المتدين يختلف عن موقع الحيوان ذاته في المجتمع الجديد الذي ارتمى في حضنه وهو لا يدري أنه سيبتلعه وسيقضي في جوفه على كل أشكال المحظورات والممنوعات التي ورثها من أبيه وتشرّبها من متحده الاجتماعي السابق وسيضع له إحداثيات اجتماعية وسبلاً جديدة للتعامل مع كل ما هو خارج مدينته الفاضلة من عادات وبشرٍ وحيوانات فجاءت هذه الرواية التي تصل بك إلى حافة الشك والغموض والتنكّر وتحشرك في قوالب زجاجية لتنقلك عبرها إلى فضاءٍ اجتماعي وخلقي وثقافي جديد وكأنه واقع أزلي كان غائباً خلف الجبال والبحار التي أتى الروائي من خلفها باحثاً عن موطىء قدمٍ له تحت الشمس مثل كل البشر الذين نسميهم ب"المتحضرين" والذين يلتقي بهم الروائي في فضائه الجديد بعد الهجرة...

لا يسعني إلاّ أن أقول: إنها رواية ممتعة وثرية، جديرة بالقراءة... وحبذا لو كتبها باللغة الكوردية أيضاً، لأننا نحن الكورد بحاجة إلى هكذا روايات رائعة حقاً... وأعتقد أن النقاد الذين تطرقوا إلى لآلى الرواية من قبل أن أدوّن هذا المقال المقتضب حملوا عني مشقة التمعّن و التعمّق فيها، ولكن وجدت أن الكتابة عن دور الكلب في التاريخ قبل ظهور "جمهورية الكلب" ربما سيفيد القارىء والناقد بعض الشيء في فهم العلاقة بين الروائي والكلب في المحطتين اللتين عاش فيهما وكتب عنهما بإمعان ورغبة.

تشكرون أخي إبراهيم على هذا العمل. ..... جان كورد

أنس عبدالله

حروف من دم

أكتب بحبر من دم..
في بلاد بعيدة..
حيث في كل خطوة حانة..
و شجرة خضراء أو صفراء..
أكتب في السر..
بين دموع الجفون..
تغتالني الحروف..
حرفا .. حرفا..
أي إغتيال..
أي ألم هذا.. !
يخنقني صدى قلبي..
مسافات الدم..
كالبركان..
يحرقني..
يقتلني ألف مرة..
يغتالني..
فالأرض صامته..
و الكون يبدو ضيقاً..
كالزنزانة الإنفرادية المظلمة..
كالحزن تماماً..
كقطع الليل..
سلاماً..
من ندى قلبي سلاماً..
على دمٍ..
فُتنت به غراماً..
و على أضواء ثرية..
تأملت قلبي..
أرهقني..
دمعة من دم..
عالقة..
قد خيمت على شرايين الفؤاد..
تشعل القلب لهيباً..
ياساكن الفؤاد..
حبيبي..
جرح الأسى..
صار شيخاً في عز العمر..
استنجد بالسماء..
و أتكئ على السماء مرات..
مولاي..
هذه أحرفي..
مزقت السطور..
ذبحت الكلمات..
بكى الزمان صمتاً..
أيها الطير المسافر..
في ضوء القمر..
خذني إلى طيبة..
ولو مرة..
كرحلة ذاتي بين أوراق الكرم..
فالشوق يجلد قلبي..
ألف ألف مرة..
و ينثر على أوراقنا..
حروف من دم..
كقصيدة غرام..
أو طعنة خنجر..
ثلاثون عاماً..
وأدق أبوابك..
و المطر يتساقط..
على ثيابنا البيضاء..
و النجوم تهرول..
إلى سماءنا..
من قلب السماء العالية..
أتلفني الصمت..
و من أعماق الألم..
يتحطم ذاتي..
ذرة .. ذرة.. !
و يرتجف الروح..
سلاماً..
من ندى قلبي سلاماً..
تلك السنابل البرتقالية..
تحترق خلسة..
و في الغربة الحمقاء..
أُسند رأسي..
على أطراف النوافذ الباردة..
و أترك الدمعة..
تبرق كامرأة عارية..

فأنا على علاقة قديمة بالدم..
و قرب الغيوم الصامتة البعيدة..
أتفقد السماء و أذوب..
كليلة طويلة على صدر أنثى (لِمْ!)
أمضي باكياً..
بعيداً عن سماءك..
يا وطني..
كوردة صفراء..
على رابية..
فإنني مليء بالحروف..
و العناوين الدامية..
كطفولتي..
أود أن أحيا سيداً..
و أموت سيداً..
و عيناي مليئتان بالدموع..
أسطر الكلمات..
كرائحة القرنفلة الحمراء..
كالسحابة التي لا وطن لها..
أنشد على صفحة..
و على سطور..
أُترجم تراتيل قديمة بين..
حروف من دم..

كيفهات أسعد

قهوة غير مطحونة

ليس كما تتوقعين،
لن أجعلها حَبَّاً لحَمامٍ،
تحت ظل الزيتون،
يلتقطها، ويطير؛
لن أرميَ بذاكرتي للسمكِ.
هذا الصباح،
أقسم بإسمكِ
والكحلِ الخفيفِ حول عينيكِ،
وهمسكِ المنساب - عبر الموبايل ـ،
تفوحين كالموسيقى في البارات؛
تفوحين مني،
كما يفوح الهِيلُ من بُن بدويٍ،
يعبر كل الشمال عطرَه،
فيسكر العشاق.

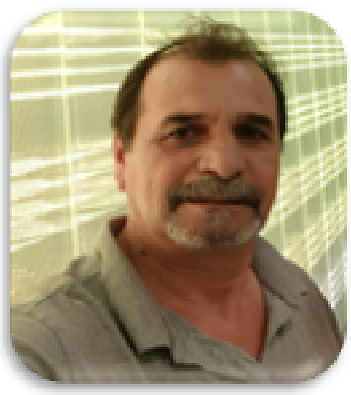

هجار بوتاني

وسائد ملونة

يا للوسائد !...
التي ثملت من أربطة عنقي
حين رسمت ،بجفاء،
ملامحي المقسّمة
أسلّمها لجدار مال،
وتستلم هي راحتي
تكتم أسراري،
عاداتي،
وحفلات السّمر الصّامتة
ولكن ! ...
في كل مرة
تثاؤبي يجر أجفانه،
نهاية ...

طعنني حزن وسادة مالت عليّ
وأدركت ضّالتي في فخذ أمي
أسرّح لها الطّفولة والأمومة..
تفصفص شعري
بحثاً عن التقليد.
.....
حلّ اليتم ضيفاً
طعنني فرح وسادة
فأدركت اليتم
جهة الحبيب،
أسرد له الإخلاص
بحثاً عن التخليد
حلب 1966

لمى اللحام

إيزوتيريك

ألبستني الدنيا عدد حالات الغيم من الأثواب..
علمتني الأسماء كلها
و أكدت. .
لكلِ صديقٍ لون..
*****
أعشق فيك ذاتي البريئة
قبل أن أمعن بفتح الباب..
على دنس العالم!
كلما اشتقتُ الثوب الأبيض..
تأخذني وجهتي إليك
متجردة القرار!
تعلمني أني مهما ولجتُ قمةً
فالأصل سفح!

أحب فيكَ بذرة ذاتي
الشاخصةِ من غيمة الصفاء
و سهلِ التربة
قالو ..
اتساعُ بساطِ الاصدقاء ينسيكِ أثره..
كلما ناداني وميضُ صديق..
جاورتُ بابكَ أكثر
أسطورةُ جوهرٍ أنت
تقف على خطوطِ المغيب.
2015/5/27

شعر: محمد سيد حسين
الترجمة عن الكردية: إبراهيم محمود

حلبجه

أي حلبجه
أصبحت
آية حيّة
في مصحف
ذي غلاف جديد
تذكاراً حزيناً
محفوراً
في جمجمة الناس..
بقيت معبداً كبيراً
أصبحت بيت الكرد العالي
يصلي لإله الحرية...
***
الحرب الأهلية
عاهدتُ
ألا أقرأ العناوين التي تتصدر
واجهة الصحيفة
ألا أسمع أخبار الإذاعة
في أول الصباح
ألا أتفرج على الفضائيات
...
لم أعد أريد
قراءة المقالات الدائرة
حول الحرب والقتل
لم تعد أذناي تريدان
سماع صوت الحرب الأهلية
لم يعد فمي قادراً
على تهجئة كلمة الدم
وهي تمطره
مثل الرصاص
على روحي.

ريبر هبون

ثورة الحب

الحب أقوى والقصيدة تعرف
نار الحروف لهيبها يستنزف
الحب أعنف ثورة لا تنتهي
هي أم مأساة الحياة وأعنف
ألمٍ على قلب المعذَّب بالهوى
هي نبعة من فيضها أنا أرشف
هي صرخة الأعماق تسمو بالشذى
هي للشعوب عقيدة وتصوف
العشق في شعري ضياءٌ قادمٌ
هذا الجنون تفوق وتطرف
فإذاً تعالوا يا شباب الغدّ يا
فتيات عالمنا وهيَّا نهتف
فجراحنا أزلية وعميقة
كلماتنا أحلامنا سترفرف
المرأة الأولى التي أحببتها
قبلاتها تغفو بصدري تنزف
ودموعها مطر يخبئ شرفتي
عينان تختزل الفضاء وتخسف

تلك الينابيع البهية في ربا
نهدين تنبع تجري لا تتوقف
تهب الفصول حنانها من نظرة
سكرى ويأسرها الشعور المرهف
في صوتها السحري صوتي والصدى
في شعرها الممتد ريح تعصف
نظراتها معزوفة هندية
أحضانها متنزَّه أو مصيف
غابت فما عادت وذابت لم يعد
للشعر جدوى فالقصيدة تأسف
تركت يدي ومشت, مضت ,من حينها
يبكي الرصيف ,يئن حتى الموقف
هذي بقايا الحزن في أنشودتي
تحيا بصمت العاشقين الأحرف
أيلول-2008م

سربست رفو

فردة حذائي

في يوم ما..
أردت أن أكتب شعرا،
عن الولاة وعهدهم المنشود..
جلبت اقلامي وأجود اوراقي..
كي أكتب نصا يليق بالولاة!!
حشدت مستجمعا كل طاقتي..
بحثت وتجولت في مخيلتي..
أرنو لرؤى وافكار،
لابدأ كتابة النص،
لكني لم اصل لشيء
يشدني ويحفز قلمي
ويلهم اصابعي فارسمه!!
في لحظتها..
واذا بنظري كالسهم
يصيب فردة حذائي،
فتأملت به للحظاتٍ
واذا بقلمي يكتب
شعرا ونصا جميلا!
عندها أيقنت..
ان فردة حذائي ومعذرة ،
أولى وأجدر بكلماتي واشعاري

نايف جولو

مقتطفات من ديوان "مقبرة العتمة"

خذي ما ترغبين فيه
من حاجيات لقاءاتنا
إلا
مزهرية الفرح
فهي
ثروة الذكريات
في وطن حبنا
.....
لم أدرك بأنك
ملهمة الحياة وغايتها
إلا حين علمت
بأن
المساء يبني عش هدوئه
من سهول وجهك
الحنطي
.....

ما أجمل قلبك
يا فاتنة بلاد الاشتياق
وهو
يرتدي الزي الفلوكلوري
للمساء
في عيد الهدوء
.....
ألغت نسائم المساء
جميع مواعيد التسريح
بعد اختفاء جدائلك
عن حدائق السهر
.....
مقدار الربع من
الهدوء
ومثله من الذكريات
زائدا

النصف من الكلمات
الشهية
من قاموس الأثير
هي وصفة المساء
لجائع الحب
.....
تعترف السماء للقمر
بتأمرها مع الغيمة
لإخفاء ضوئه
عن بركة الماء
كي لا تري الشجرة
قبلة بلبلين
لحظة الحب النادرة
الحدوث
في زمن حكم البارود

هي ذاكرة طفولة
تتدلى من ألم طير
يهديه الفخ مروحة
لجسد تموز
الهدهد يعدم الخوف
بعمامة الملا
حبات الحرمل رتب
تزين اكتاف جدران
البيوت الطينية
العاقول بوصلة
لمؤخرة الفري
لتوجيه النكاح
وحدها كومة القش
كعبة
لصلاة حكايات الاختباء

يد الظل تلبس خاتم
العصر
بعقيق النسيم
ذاكرة تكسر بورصة
شرائح الطوفان
.....
أفشوا سرالنار
للشمعة
وجعلوا الوهج
طلسما
في معبد الأمنيات
.....

يحن العود إلى
سهوله
كلما أهدت الأصابع
الأوتار
لحن النسيم
أتحدى قلوب كل
الرجال
أن يجعلوا منك عاشقة
برتبة الهيام
.....
اخاف إن غادرت
مساءاتي

من دون إذن من
حراس الذكريات
أن يصبح الأرق
قاطع طريق
ينهب من خزائن
روحك الهدوء
.....
لن أطرز عباءة
يومي هذا
بذهب الشمس
إن لم تكن حياكتها
بإبرة من ابتسامتك

غمكين مــراد

هُباب حرقة

(ا)

سوادُ القهوةِ
يشي بالنُعاسِ
بياضُ الورقةِ
يدعوكَ لليقظةِ
والضوءُ الخافتُ
المنثورُ على أجنحةِ الذبابِ
يلسعُ فيك
صُراخَ الكلماتِ.

(2)

كلُّ ما يدعوك إلى الخجلِ
ستارٌ خفيٌّ
وراء ذاتٍ حزينةٍ.

(3)

كآبةُ صمتكَ
موسيقى تُلْهِبُ
أوتار الروحِ
بالبقاءِ حالمين.

(4)

مُذْ كانت الطُرقُ مُمتلئةً
اخترتَ العُزلةَ،
وحين أصبحتْ الطُرقُ خاويةً
والبيوتُ أصبحت أعشاشَ حمامٍ،
خِلتَ نَفْسكَ
مَسَاحَاً لصدى الضجيجِ
الذي كانَ.

(5)

صيادُ ذبابٍ لا يُقهرُ
هي أهمُ بطولاتكَ
وما هزيمتكَ
إلا طنينٌ أخرى نسيتها المجزرةُ.

(6)

كلُّ ذاكَ الكلام
في الحبِّ
في الحنينِ
في الوطنِ
خبا
كنملٍ في شتاءٍ
يُعَمِّرُ في سباتهِ
قِلاعاً في التراب،
كما تهدمُ أنتَ بكلامِكَ
جدرانَ القلبِ
وجسورَ الروحِ.

(7)

أعقابُ سجائركَ
ذ رى لوعةٍ في منفضةِ الروحِ،
كأسُ "المتة" أمامكَ
اختبارُ يقينكَ
في الهروبِ من البطالةِ.

(8)

ركضكَ وراء سجينٍ

قيودُ أملٍ في قدميكَ،
انتظارُكَ لخروجهِ
غرفةُ إنعاشٍ
ليقظةِ جمادٍ

(9)

أثارُ الذبابةِ على قدميكَ
هويةُ الحياةِ في بقائها،
صرعَتُكَ لها
خلاصٌ من حكمٍ بالإعدامِ.

(10)

حماقةُ البراءةِ
في كرسي مسؤولٍ،
شهادةٌ تحوِّلُها
إلى بيدقٍ في رقعةِ الغباءِ
وجلادٍ لبريءٍ.

(11)

تطاوُلُكَ على الخوفِ،
انتحارٌ مُسلٍّ،
تطاوُلُكَ على الحربِ،
لعبةُ أطفالٍ بلوحةِ مفاتيحَ،
تطاوُلُكَ على العزلةِ،
لجوءٌ إلى
ما لنْ تكونَهُ.

رقيــة حاجي

وحي الجنون

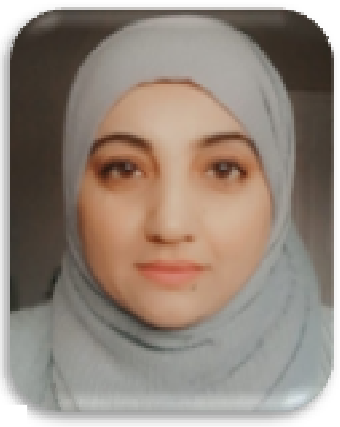

يا مَن عشقتَ فلهوى أَحْكلمُ
سُهْدٌ ودمعٌ مِن لظًى وسَقلمُ
مَن قالَ إنَّ الحبَّ يَحيا دونَها
هذا وربّي كاذِبٌ ظَلّامُ
مَن ذاقَ كأسَ الحبِّ يَدري أنَّهُ
سيَعيشُ عمرًا كلُّهُ آلامُ
ويَهيمُ بينَ الناسِ حتى تَنقضي
آمالُهُ بالزيفِ وهوَ حطلمُ
ويَخطُّ مِن وحيِ الجنونِ قصائدًا
أبياتُها الأوجاعُ والأوهلمُ
ويَسيرُ للمجهولِ مُنكَسِرَ الخُطى
وتَسوقُهُ في تِيهِهِ الأحلامُ
لكنَّها الأقدارُ تُلقي بالفتى
أنّى يَصُدُّ سهامَها الإحجامُ ؟!!

همسة بلون الرماد

شاخ صمتي..
وتجمد صراخي بين الأركان
وحدي..
أشتم نكهات الضجر
أقرأ يباس المزهريات
و أسقيها برشفات مرة
وجوهي المتعددة
تعلو فقاعات قهوتي..
تداعب شفاه فنجاني،
و تراقصني في صمت
يصرخ داخلي؛ يجن
و صمت صمتي
يرشفنا..
حتى قرارة الفنجان
يقرأ طالعي..
فتنبئني أنفاس قهوتي
الأخيرة..
بضبابية الغياب !! ..

فراس حج محمد

كيف طاوعتُ النهارْ؟

في الأرضِ غربةٌ أخرى
ظلامٌ دامسٌ وجنوح شيءٍ غامضٍ
يُدعى الهوسْ
في الروح أيضاً غربتانِ واحدتانِ
واغترابٌ جامعٌ نعْقَ الغرابْ
وأشلاءٌ من النجوى تنزُّ في خسرانها العاتي
وتستبقي العذابْ
أيّتها النفس الأليمةُ
فلتكفّي واكتفي
ما عدتُ أحملُ وقتَ موتي
فلتكفّي وانتهي
أنهي عذابَ الانتظارْ
ما زلتُ أحمل أنّتي في كلّ سطرٍ من غبارْ
متثاقلاً يأتي الصباحُ
ولا يأتي أحدْ
والشمسُ تحمل خطوها
يتمطّى في تثاؤبه الكسولِ يستلقي على الجدرانْ
وفراشي باردٌ مثل أحشائي وأنفاسي بطيئةْ
غائراتُ الحلم في الغربةْ
كنّا هناكَ
الليلُ أوسعُ من حنين زائلٍ
وكان الفجر تحت الأغشيةْ
يكمل طقسَه الضوئيَّ فينا
يا ليت أنّ الليل طال طويلاً واستطالْ
ولم نخرج إلى ذاك النهارْ
أبكيتُها وبكتْ على ذات السريرْ
وأبكتني حرارتُها بدفءِ راحةِ كفّها
وبجسمها الممتدّ حقلاً من جمانْ
ثمرٌ شتائيّ وردٌ
زهرتانِ نضوجتان بجلنارْ
بقبلتها وشهوتها
ودار فينا الكأسُ شعشع في المدارْ
وقاومتُ انهزامي
وصرتُ أحمل دمعتين ثقيلتين
في كلّ أفق دونها وَهْمٌ ونارْ
كيف طاوعتُ النهارْ
وانغمستُ بحلكة الطرق الطويلةْ؟
يا ليتها أبقت ظلالي دون مدّ
وظَلّ ظِلي ناعماً دون احتضارْ
يا ليتني ما متُّ في ذاك النهارْ ..... كانون الأول 2020

بدل رفـو

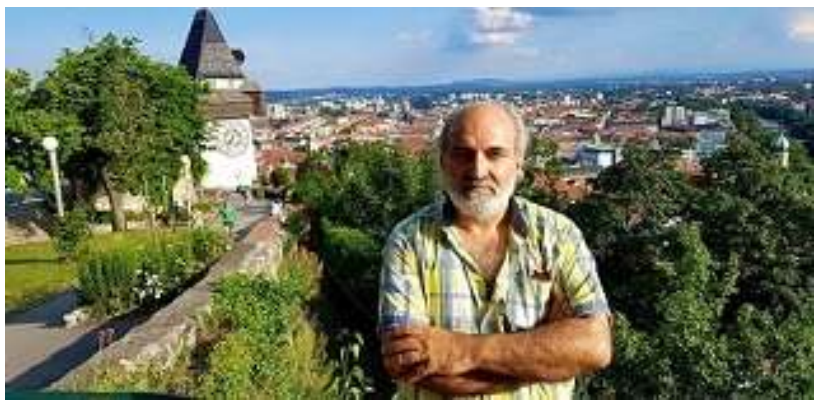

مَنْ يُقاسِمني رغيف الغربة؟

مَنْ يُقاسِمني رغيف الغربة؟
كي أُلملم حزني الغائم ..
الذي يجدف صوبي
ويرفع شكواه لقلبي وميلادي ..
كي لا تكبر الاسئلة فتستعر آهاتي ..
ليمتص سر البقاء من حياتي..!
*** *** ***
الحزن لغة..
لا يجيدها سوى دروب الندم ..
والخنوع للغزاة وسيوف الوهم ..
لا يطرق سوى ابواب الفقراء ..
وقلوب الحيارى
في حضن لهيب الوطن!!
*** *** ***
أحتسي قدح الصبر ..
وصور الطفولة تحتفل في مخيلتي
لتطيّب الحياة .. !
طائر ظمآن انا..
أصارع مرافئ الغربة
وقسوة الليالي وراء ضباب الخريف..!
أتمعن جزر الريح ..
اخطو صوب طرق تجهز على ليال
وبقايا ذكريات وطن..!
*** *** ***
تنفجر الزنابق،
النوارس،
أهازيج الهوى،
وصحوة الحلم من راية
تحتضن فؤادي حزناً..
بكبرياء وشموخ ..!
عدوت طويلاً باحثاً عن عينيك..
عن وطن في اساطير البلدان،
عن انكسارات عطش الخريف،
وكأس الشهد المزيف
على شفاه طاغية..!
*** *** ***
رافقتني النجوم،
الأقمار،
البراكين،
الاحلام،
الى أرض النرجس والياسمين..
قالوا:
ارضنا مباركة..
هي مرفأنا الأخير..
معمدة ببركة السماء،
تعشق الخير ..
اريجها يغتال رعب الغربة،
ارضنا ..
دفء لثكالى الحزن والحرب..!
*** *** ***
مَنْ يُقاسِمني رغيف الغربة؟
لا أقدر على الإنتظار ..
إشتقت لرقصة الحرية ..
لرقصة وطن
على رمال البحر الثمل..
إليَّ..إليَّ
لنكفكف دموع الغربة،
على ضفاف العشق،
تحت ظلال اشجار السلام
وقطرات المطر..
كي لا تنطفئ شعلة الحياة ..
وليطل وطن الحلم في اعيننا
اغنية المهد والام والجبل..!
28\9\2020

فاطمة يوسف محمد

ورد الخريف

من شرفة الخريف
يتدلى عنقها الذابل
تحت ضوء قمر حيران
يتمايل على جدار غرفتها
كلما هبت رياح الشوق
من نافذتها الصغيرة
هدوء صاخب يملأ قلبها
لا (حد يقاسمها همومها سوى
أنين شمعدان يتيم
موضوع في زاوية ميتة
على منضدة
ينسكب دمعه
بين حين وآخر
إنها تبكي ذكرياتها المكدسة
في قاع بئر عميق
لذاكرة قديمة
تحلم ....أبداً
بأحلام كبيرة
بحجم السماء

ألا ليتك هنا الآن !!!
ليتك تعود من الغياب
تودع الهجر و البعاد
تلوح بمنديل الوصال
متى الوصال؟!
ملل ... كآبة ....
برد شديد
يعصف بعمرها
و يقضم سنينها بشراسة
إلى ماذا تنظرين أيتها العجوز؟!
ومن تنتظرين؟!
ربما تحلم بما هو آت من بعيد
من وراء أفق مجهول
أو بمن
يخطف تعاستها
و يبحر معها إلى شاطىء الأحلام
فيملأ قلبها بصخب الربيع
رأيتها تغوص في عمق الخيال
تسافر إلى موانىء الأمان
تحلق في نشوة المكان
تطير بجناحين مستعارين
من فراشة محترقة بنار
تلك الشمعة الوحيدة المضيئة
في غرفتها الضيقة
وجدت روحها تتجه
صوب الباب
تفتحه لهوى قادم
من جهة الشمال
دون سابق إنذار
تعانقه طويلا
وتهمس له :
مرحبا بك بين الضلوع!!
أمسكت بيده و غادرا معا
إلى عالم الحب والهيام
على سرير مفروش بعبق
الأزهار
رأيتها تضحك
ترقص فرحا
تغني كالبلابل
على فنن الحياة
تعال!!!
تعال فقد بلغ الشوق الزبى
تعال املأ الكون بعطر الجنون
دعنا نشرب نخب حبنا
كأسا مريئة من شهد الشفاه
دعنا نعزف على وتر ينبض
بالعشق
هات يدك الحانية
لفها حول خصري النحيل
ضمه بحنان
تعال لتوقظ في جسدي
عشرات الثورات المختبئة خلف
أنوثة نائمة
صفراء
تبعثرت كأوراق الخريف
في مهب الرياح
لكم تمنيتك معي!!!
هنا في هذا المساء
لتغزو الحصون والقلاع
و تفتحها بانتشاء
لكم أحببتك معي دوما
فنسبق الزمن و نسرق
اللحظات المتسربلة منه
ليتك تمرر شفتيك الآن

على صدري المنطفئ
منذ القطيعة الأولى
تجوب بها بين البرزخ
الحائل بين تلاقي الجنتين
وتطوف حولهما
داعب خدي واطبع عليهما
بعضا من القبلات
داعب خيوط الشمس
التي غطت وجه القمر
اهمس .....انثر انفاسك
على طول الجيد والقوام
جنة.....
لاااا بل فردوس طافح
بعشق مكنون
في مقلتيك السوداوين
ماذا أقول ؟!!
كيف أحكي لك عن ربيعي
المزدهر ، المنبثق
من رحم خريف
غامر ببياض الثلج ؟
كيف أصف ميلادي الثاني
وهو يولد بين يديك
يصرخ كمولود صغير
إنه بداية
عمر جديد ؟
الله !!!!
ما أجمل رائحة
ذلك العرق المتصبب على جسدي
يسري بسكينة
كساقية رقراقة
تتغلغل في مسامات
أرض جرداء
تروي ظمأ سنين عجاف
جافاها المطر طويلا
ها قد ارتوت من نبعه الآن!!!
امتلأت به!!!
إنها تحيا به.

منير محمد خلف

قراءة في معجم الصمت

إلى أبي الطيّب المتنبّي

جودُ علينا
في الفصولِ المآتمُ
كما جادَتِ الرّؤيا
وتلكَ المواسمُ..

مواسمُ خوفٍ
كنتُ أحذرُ يَنْعَها
ففاضت
بها الدّنيا
وغيض لها دمُ

سيسمو مدى الأحزان
حزنكَ يا أنا
وإنْ عُلّقتْ
في أصغريك التمائمُ

تشاطأ ندّايَ :
السقام ولوعتي
وغرّدَ في شرقي
الأسى والحمائمُ

أراني سليل الجرح،
أسيانَ أنتشي
ظلالٌ هيَ الأصداء
والصّوت هائمُ

على مضضٍ
في الشعر نحيا،
ونرتدي قروحَ فراقٍ ..
والقوافي مراهمُ

تسمّرَ صمتُ العاشقينَ
على فمي
فأيقظَ دمعَ القلب ...
والبوحُ جاثمُ

وما نجمُ صوتٍ
في المنافي
يضيء لي
طريقَ نداء الرّوح
والفقْدُ ساجمُ

ولكنّه الإحراقُ
مدّ ليَ الرّؤى
وقام له
في قاع جبّيَ
قائمُ

كأنّك يا قلبي الصغيرَ
غزالةٌ
وعصفورُ ضوءٍ
تقتفيه المعالمُ

كأنكَ نهرٌ للمآسي ..
وربّما ستنمو
على حزن الضفافِ
عواصمُ ..

.. لضوءٍ بغيم الحرف
تسرج أنجماً
وتنسجُ
في روض الكلام الغمائمُ

.. جدائلَ فجرٍ
من لدنْ كلّ عاشق
يشيّعُ نهر الحبّ
وهو مسالم

كأنّ الحزانى
ما ترفّقن بالأسى
ودمعٌ
على خدّ الأنامل
نائمُ

جماهيرُكَ العشّاقُ
عادوا
وما درَوا بأنّا
لهمْ عينٌ
وذكرى أناهُمُ

فلا تكُ مرّاً
أو غليظَ مشاعرٍ
لتشرقَ في وجه الحياة
مباسمُ

يقيناً بهذا الصّمت
أغلقُ معجمي
لتصعدَ نخلَ الأغنياتِ
عوالمُ

وأسلك درباً
من أمام قصيدتي
فتخرجُ
عن طور المعاني
المعاجمُ

أجوبُ بلاد الله
عشقاً كما أنا
جوازي الهوى ..
ختمُ المودّات : آدمُ

كأني اتّخذتُ الماءَ
صورةَ ما أنا عليه
وذرّاتِ الضياء
توائمُ

أقولُ لحسناءِ القصائدِ:
إنّني لديك الرّؤى،
والأحجياتُ لها
فمُ

فما لي سوى عينيك
أقرأ زخرفاً
لقولٍ بديعيٍّ
حوتْهُ التراجمُ

ولي طفلُ وقتٍ
يستظلّ بخافقي
ويلهو على سطحي،
فنبضي سلالمُ

تذكّرْتُ في المرآة
حُلْمَ طفولتي
وقد كانت الأحلامُ
جيلاً يقاومُ

صعِدتُ إليها
قائلاً لعيونها:
كأنا سبايا
الذين تقاسموا ..

رغيفَ غيابٍ
خالطَ النومُ صحوه
وكان انتباهٌ
لايزال ينادمُ..

بقيّةَ ليلٍ
في تجاعيد هدأةٍ
من العمر
شدّتني إليها المآثمُ

سأختار جودياً
كرامة نُوحه
ليُعصمَ من ذلّ السؤالاتِ
عاصمُ

وأصنعُ
من طينِ الكلامِ
سفائني
وترسو
على سفحِ الرّحيقِ
النسائمُ

تيتّمَتِ الأسماءُ
والموتُ شاهدٌ
وقد نُصبتْ
من صمتهنّ المآتمُ

غنِمتُ الأسى
واليأسُ أقبل داجياً
فعمري امتدادُ الجرح،
والصّبحُ قاتمُ

تكبّلَ عمري بالشّتات
وغيرُه تحرّرَ باللقيا،
وشوقيَ حالمُ

فأدركتُ أنّ الفقدَ
يهطلُ عاتياً
وكم قصمتْ ظهرَ الحياة
مظالمُ

وقد صدق الناعون
حين تنغّصوا:
مصائبُ قوم
عند قومٍ مغانمُ

فما أسرع الأيّامَ
وهي تعدّنا
ونحن أمام الحادثات
غنائمُ

هُزمنا عراة القلب والعزّ ..
إنّما
على قدْرِ وهْنِ العزمِ
تأتي الهزائمُ*

سموتُ
وما في النفس عطرٌ لحاضرٍ
ولكنّ عطرَ الأمس
فيه العزائمُ

*إشارة إلى بيت المتنبي:

على قدْرِ أهلِ العزم تأتي العزائمُ
وتأتي على قدْرِ الكرام المكارمُ

ليلى علي (Diya Ayaz)

الخلاص

دفِنَت قَلْبِي صَغِير فِي الِانْتِظَارِ شَيْئًا لَنْ يَأْتِيَ
أَيْقَنْت بِأَنَّنِي سَبَبٌ تعاستي
تَنَاسَيْت أَنَّ الْحَيَاةَ محطات تَلَوَّى مَحَطَّة
الَّذِي يَبْقَى سَيَبْقَى
وَالَّذِي شَدّ الرَّحَّالَة
أَوْصَلَهُ إِلَى الْبَابِ
أَوْصَلَه دُونَ تَرَدُّدٍ
دُون رُجُوع
دُون خُنُوع وَخُضُوع
ولملم مَا تَبَقَّى مِنْ الْأَحْلَام وَجِرَاح
أَخْرَج شَوْكَةٌ مَغْرُوزة فِي صَمِيم
لَا تَجْعَلْ السَّيْل صَغِيرَة بَيِيد
لَا تَجْعَلْ الْأَحْلَام تَتَلَاشَى
لَا تَدَعْ الْعَيْن تَنَام
أَبْقَى أَنْت
أَجْل أَنْت
فَاَللَّه وَحْدَه عَلِيمٌ
وَحْدَه عَارِف
وَحْدَه السَّبِيل
إِلَى اِزْدِهَارٌ بَذْرِه الْأَمَل
فِي شَرْحِ دُرُوس الْحَيَاة
تُعْرَف أَكْثَرَ عَلَى نَفْسِك
عَلَى
خَبَايَاهَا
خطاياها
وعطاياها
كَثُرَت النَّظَرُ إِلَى الْبَعِيدِ
يُنْسِيك صُخُور جائمة وجامعةأمامك
كَشْف غِطَاء عَنْ الْقَرِيبِ
مَا يَدُورُ مِنْ حَوْلِك
مِنْ نِفَاقٍ وموئمرات ومغامرات
يَجْعَل الْوُضُوحِ فِي الْبَعِيدِ
يَثْبُت الْقَدَمِ عَلَى الْأَرْضِ
أَسْتَعِيد ثِقَتِي واعتزازي
وَحْدَه السَّبِيلُ إِلَى الْخَلَاص

اقتباسات

1 - علاوةً على الصداع ، المطرُ المنهمرُ والأبوابُ الموصدةُ

2 - لعل الصمتَ هو الوحيدُ الذي يقول كلَّ الحقيقة.

3 - كيف يمكن للكلمة أن تمُرَّ بشقِّ الأنفسِ من الدم إلى القصيد.

4 - أيها القمرُ الشهوانيُّ، لا تغيِّر أبدا كلماتي.

5 - الندم على ذلك اللاشيء الذي تخلَّينا عنه.

6 - أصفر ، أصفر ، أصفر ، يصرخ طائر الجنوب.

7 - فيما لا يمكن تفسيره يكمن تأويلي... هكذا يقول.

8 - هكذا مرت السنوات-ذئاب ، كلمات وأقمار.

9 - البكاء رجولي أيضا ، أجل. وليس التباكي

10 - في الليل ، يدخل البحر إلى غرفتي رفقة مراكبه.

11 - الجرح الذي يتحدث؟ أجل ، وهو يتحدث بصدق.

12 - وبالتالي فإن ما لا يوجد موجود

13 - لن ترى ما رايته سوى متأخر جدا.

14 - هو يقلد نفسه بشكل جيد كما لو أنه فعلا شخص آخر.

15 - كل العبارات لن تكفيك كي تحكي العدم.

16 - تتفق جيدا مع الحلم. هو لا يطلب منك إثباتا.

17 - كم يتقوض الزمن بكل هدوء في القصيد

18 - أنا الذي غرست قطع الحديدفي الحديقة. هي سوف تزهر حتى وإن لم يصدق ذلك الأموات.

19 - خطاياهم، لقد وضعوها على أكتاف الآخرين وأصبحوا قديسين

20 - هو يصرخ عاليا كي لا نفهم أنه صمت منذ سنوات بعيدة

يانيس ريتسوس/ Yánnis Rítsos

ترجمة:
آسية السخيري

يانيس ريتسوس، شاعر يوناني ولد في شهر مايو عام 1909 في قرية "مونيمفاسيا" في جنوب شرق مقاطعة البيلوبونيز ، جنوب اليونان وتوفي في 11 نوفمبر 1990 بأثينا.

يضفي ريتسوس في شعره أهمية كبرى على التفاصيل الصغيرة والأشياء البسيطة. هو يوغل في كشف أسرارها العميقة إلى درجة أنسنتها من خلال تعاطفه معها ومنحها من الحب ما يجعلها أكثر ألقا وجمالا وحياة.

تمثال نصفي ليانيس ريتوس في مونيمفاسيا

ثماني عشرة أغنية عن الوطن المر؛

منشورات برونو دوساي/ Bruno Doucey

"لا تبْكِ على اليونان - عندما تكونُ على وشَكِ الانحِناءِ بالسكينِ على العظْمِ، والزمامِ على الرقبةِ.
ها هي تنطلِق متدفِّقةً مرَّةً أخرى مُوطِّدةً قوَّتَها ومطلِقةً العنانَ لنفسِها كيْ تقتلَ الوحشَ برماحِ الشمسِ ".

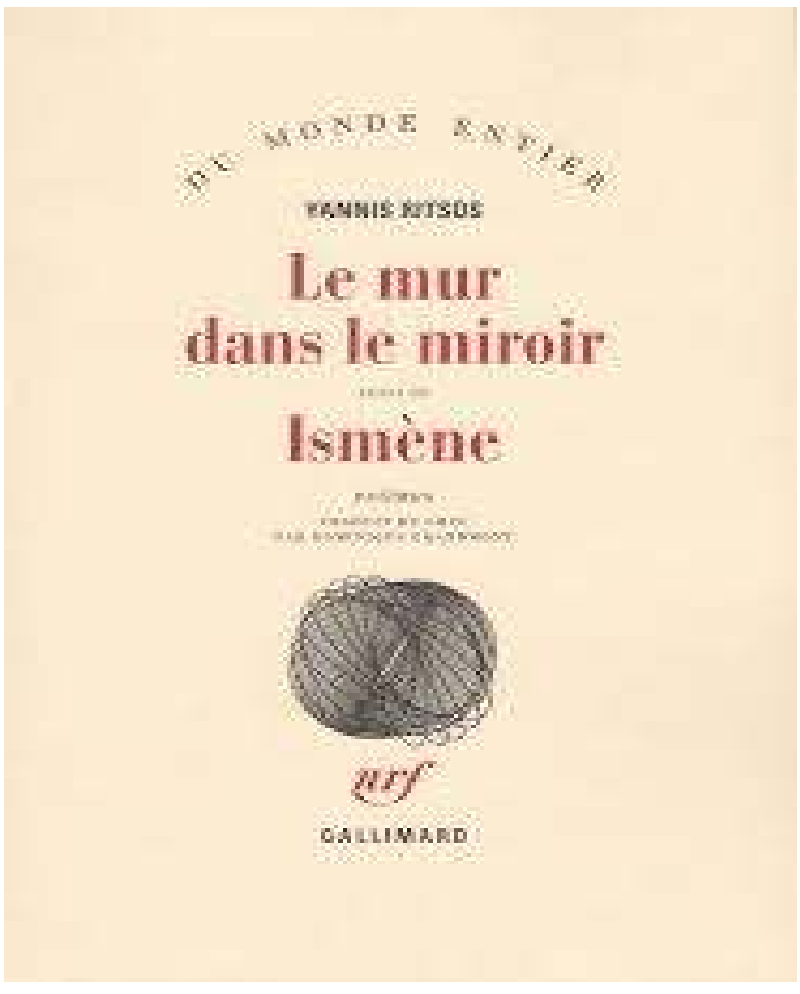

الجدار في المرآة

منشورات غاليمار

Gallimard

- سلسلة أشعار -

تاريخ الإصدار

24/ 01/ 2001.

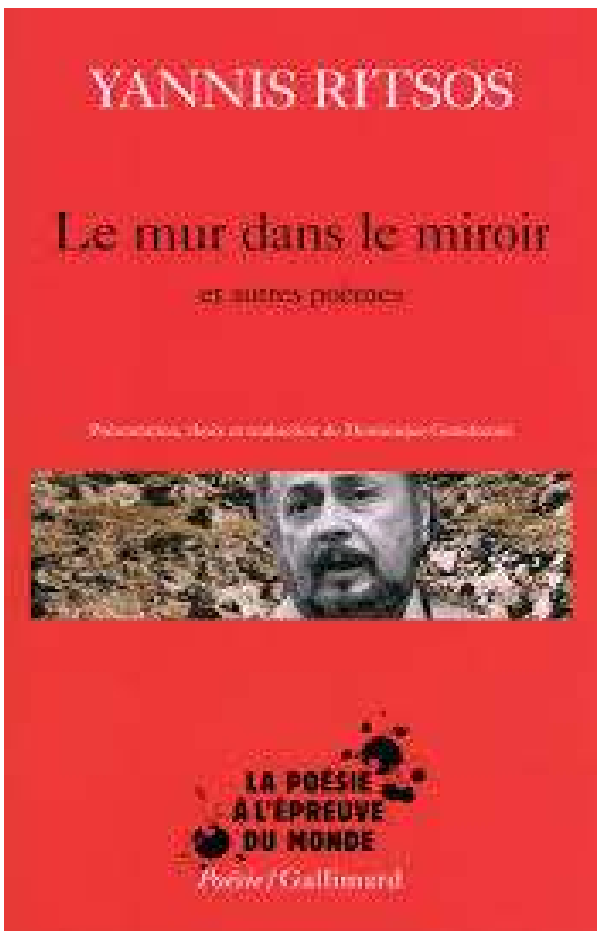

سمفونية الربيع

منشورات برونو دوساي

Bruno Doucey

احمد مصطفى

كُوباني

أبكي,ومَنْ يُلملِمُ نزيفَ الدمعِ فوقَ آهاتِ الجسدِ؟
أغنيةُ الأبطالِ أنتِ، نسيرُ للمجدِ لذكرى مُحمَّدٍ

من أجلِ آلامِكِ نمشي فوقَ نيرانِ المواقدِ
ملامحُكِ نورانيَّةٌ مُشتعِلةٌ كالنَّوروزِ و البارودِ

ذكرى مُؤلمةٌ فوقَ ترابِكِ و للقاتلِ يومٌ معَ العهدِ
امطري أيَّتُها السماءُ فوقَ قلعتِها و على الورودِ

الحياةُ معها روحُ الفرحِ، والبكاءُ طاقةٌ للفؤادِ
مُباركةٌ أنتِ كخُبزِ الفُقراءِ في يومِ العيدِ

كُوباني الشهيدةُ ضحيَّةُ القدرِ و قيامةُ الأحقادِ
لا أحدَ سِواكِ يُعلِّمُني فنَّ التضحيةِ.. لا أحدَ

الجُرحُ مزَّقَ جِراحي و النسيانُ سِكِّينٌ للفؤادِ
كم مُتعبةٌ أنتِ بينَ مَخالبِ الظلامِ و السوادِ

كُوباني جُرحٌ لا يُنتسى، نزيفُ الوريدِ إلى الوريدِ
ذِكراكِ خالدةٌ فينا, لا ملعبَ للطُّغاةِ و الجهادِ

بدماءِ الشهداءِ الأبرياءِ و دعواتِ الأمَّهاتِ الكُردِ
باقيةٌ أنتِ، كُردُستانيَّةٌ أنتِ، منَ المهدِ إلى اللَّحدِ

2020/11/22

خالد ابراهيم

خنجرُ المدينة

تَعالوا
و انْظُروا لعجاج الطَّرِيق
اسْمَعوا صَدَى أَزِيز جَسَدِي
طبُول قَلْبِي
صريرُ أَسْنَانِي الملوثة
ارموني فِي الْبِئْرِ الْعَمِيق و اذْهَبُوا
ذاكرتي تَحْتَقِر الصُدفَ المتسربةِ مِن مخالبِ الْوَقْت
والليلُ طَوِيلٌ
دونَ وصيّة تُخبرهم بطولِ و وعثاءِ الطَّرِيق
والطريقُ حَالُك
والجميعُ يَعْتَمِدُونَ مِنْ يَبْقَى أوّلاً
والبقاءُ لِلْقَاتِل
يَأْخُذ الْأَمْر بجديّةٍ
والبدائيُ فِي دَاخِلِيّ يكترثُ للتجربةِ
وَلَا يَفْقِدُ الثِّقَة بصداقةِ الأخطاءِ
أُقلّبُ جمرَ العثراتِ فِي سَمري البريّ
يرهقني مَا لَمْ أَقُمْ بِهِ بَعْدَ
و أشواكُ الخمر تلكزني ، فأمضي بأخطائي
و انقادُ لمشنقةِ الندمِ
لَيْسَ لِي سَيْرِه ذاتيّة متميّزة
فَرَجُلٌ الْبَيْدَاء آثَار خَطَوَاتِه
تَذْرُوهَا الرِّيَاح . .
لَا يُلْتَفَتُ لمغانمكم الصَّغِيرَة.

إبراهيم اليوسف

إلى كمال شاهين

يا للأسف الرصاصة وهي تخترق قلب

ليس لليل
في هزيعه ما قبل الأخير
إلا أن يعلق نشيده البهي
على الجدار
في غفلة من فروة الشتاء
مومئاً إليه
أن اعل!...
لا رائحة للغرباء
أؤكد
كل ما في القرية
الآن
مدثر بكرديته
في المدى المجدي للرصاص
والعين
والحلم
كان يقولها الحارس
وهو يسلم البندقية
وإبريق الشاي
وعلبة الدخان
لسواه
جبل في الشمال
ذئاب تعوي بعيداً
وخفافيش مهددة بالضوء
عما قريب
نجوم جريحة بالرذاذ
في استهلالة شباط
خطوات غير مريبة
صوت أغنية في أعلى الذروة
-إني أعرفه حقاً
صوت ما أشجاه!
أشجار عارية
وحجل بردان
باب غربي مفض إلى طمأنينة
و- سورو- في البيجامة السميكة
تحت ثقل الذكريات
عفرين
الجزيرة
كوباني
آمد
مهاباد
صور الشهداء
الكهوف التي تستضيء بالأسرار
يستعيد ما قاله لبندقيته
لا تطيعيني إن دلتك اصبعي على كردي:
كان الغريلا الجميلون
يتوزعون على حبر الخريطة
حالمين أن يستعيدوا الرتل
نفسه
يطرقون باب الجهات
جهة
جهة
لا فرق
الأب في سنواته السبعين
الأم في موق العين
الأخوات اللواتي سيعلقن بعد ساعات صوره
في غرفهن مطعونة بالسواد
الأخوة في عربات الانتظار هناك
الجيران في حيراتهم
الأصدقاء
المنزل الرحب
وظل الزيتونة الأثيرة
المكتبة السريعة
الطرق الرديفة
بعيداً عن أعين المخبرين
الحبيبة في هالاتها
وحبر رسائلها المصبوغ على جيب القميص المعلق
أنا لك:
أو للتراب
الأغنية نفسها
لا تزال تتواصل
ما أجملها
لم يكن بحاجة إلى أن يعد ما تبقى
من الخطوات
حين جفلت الطيور
فجاءة...
كي تحطّ عما بعد
على مشهد لبقعة دم أكثر حمرةً
وقامة مديدة
ما كان لها أن ترتمي
هكذا - كان عليه أن يفتح كلتا عينيه
وا ويلاه
غير مصدق
ما يراه .....!

افتتاح مكتب الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الكرد في سوريا

تقرير: بهرين أوسو/ قامشلو

في أواخر شهر/ كانون الثاني / الماضي، شهدت مدينة قامشلو حدثاً ثقافياً مميزاً هو افتتاح مكتب الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الكردفي سوريا، و بحضور وفود الأحزاب السياسية وشخصيات ثقافية وأكاديمية ومنظمات مجتمع مدني، ومن الجهات و الأحزاب والمؤسسات التي حضرت:

– الهيئة الرئاسية للمجلس الوطني الكورديفي سوريا

– الحزب الديمقراطي الكوردستاني – سوريا

– الحزب الديمقراطي التقدميفي سوريا

– حزب الكوردستاني الحر

– حزب يكيتي الكرديفي سوريا

– حزب الوحدة الديمقراطي الكرديفي سوريا

– حركة الإصلاح الكرديفي سوريا

– حزب المساواة الديمقراطي الكورديفي سوريا

– تيار المستقبل كوردستان سوريا

– منتدى الإصلاح والتغيير

– منتدى أكرم الملا الثقافي

– المنصة الجماهيرية لوحدة الصف الكوردي _ منظمة المرأة الكوردية الحرة

– الاتحاد النسائي الكورديفي سوريا (رودوز)

– منظمة حقوق الإنسانفي سوريا-ماف

في كلمة الافتتاحية رحب الزميل عضو الهيئة الإدارية فرهاد دريعي بالحضور وقدم نبذة عن عمل الاتحاد وتاريخه ونشاطاته في الداخل والخارج، ركز فيها على ضرورة العمل الحر واستقلالية القلم ودعم ومساندة الاتحاد للكتاب والصحفيين والأقلام الشابة، حيث كان أول مؤسسة انطلقت من قامشلو، من داخل الوطن، وضمت نخبة من كتابنا وإعلاميينا في ذاك الزمن الصعب. لقد كان إطلاق مؤسسة للكتاب وللصحفيين، ولكل حملة الأقلام أمرا جد ضروري لا سيما في تلك المرحلة. مرحلة الانتهاكات والاستبداد وكتم أنفاس كل أصحاب الرأي ومن بينهم حملة الأقلام، أصحاب الموقف، حيث الملاحقة والتضييق عليهم والاستدعاءات، والتهديدات، ومحاربة هؤلاء حتى في لقمة أطفالهم.

لعبت هذه المؤسسة دورا هامًا في فترة الانتفاضة باعتبارها كانت ابنة انتفاضة 12 آذار 2004، و كانت مظلة لكتابنا وإعلاميينا بشكل خاص، وإن كان العمل في تلك الفترة قد حصر على كتابة بيانات باسم مؤسسة لأصحاب الأقلام، وإيصال أصوات أبناء شعبنا إلى العالم، بعد أن كسرت ثورة الاتصالات والمعلوماتية جدار الرقابة وبات بإمكان المرء نشر صوته إلى أوسع مدى، استمرت هذه المؤسسة التي رأت نفسها ولاتزال صوت كل كاتب وكل إعلامي، في نشر رسالتها، ضمن إطار الممكن، لذا اكتسبت ثقة أوساط المثقفين ، وبات ينظر إليها كصوت للكتاب والاعلاميين الاحرار، وكانت لهذه المؤسسة مع بداية ربيع 2011 موقفها من آلة النظام الحربية، فوقفت بثبات إلى جانب أبناء شعبنا، واثبتت حضورها خارج نطاق المكن، وضمت العشرات من الزميلات والزملاء، وإن كانت واجهت تضييقا، إلا أن حضورها بات يترسخ بسبب المواقف التي كانت تتخذها من دون أية مساومة، وبات لها من يسجل حضورها في منابر دولية في جنيف أو بروكسل أو غيرها، ضمن إطار منظمات المجتمع المدني مع منظمة حقوق الإنسانفي سوريا-ماف وهما توأمان ولدا في هذا المكان، وباتا معروفين على نطاق دولي، ولهما دور كبيرفي الخارج.

كانت الخطوة الثانية للاتحاد بعد العام 2011 أن عمل على نحو مؤسساتي، وتم تشكيل هيئة إدارية في الخارج، وأقيمت عشرات الأنشطة الأكثر أهمية، وبدأت بإصدار أكثر من صحيفة: بينوسا نو عربي وكردي وإطلاق جوائز أدبية وانضمت إليها جائزة جكرخوين التي تأسست في العام 2001، بالإضافة إلى جوائز مهمة بأسماء أعلام من أصحاب القامات الإبداعية في عالم الشعر والأدب، ومنحت لاسماء أدبية من أجيال مختلفة ليتم تكريم الراحلين ومن يعيشون في وجداننا. ولا ننسىفي هذه العجالة إطلاق قناتنا(peyv. Tv) ، الوسيلة الإعلامية الحديثة و الناطقة باسم الاتحاد، اذ باتت الوجهة الأولى لكل المثقفين ليعبروا بحرية عن آرائهم و يبثون من خلالها نتاجاتهم الأدبية و الثقافية.

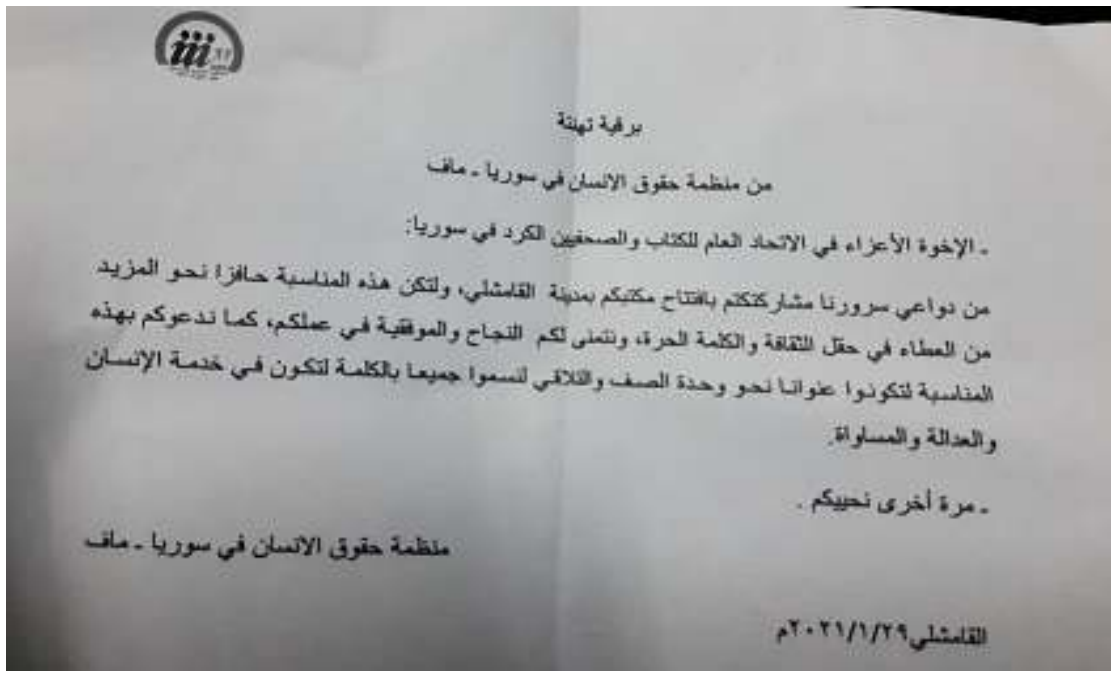

برقية تهنئة

من منظمة حقوق الانسان في سوريا - ماف

- الإخوة الأعزاء في الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الكرد في سوريا:

من دواعي سرورنا مشاركتكم بافتتاح مكتبكم بمدينة القامشلي، ولتكن هذه المناسبة حافزا نحو المزيد من العطاء في حقل الثقافة والكلمة الحرة، ونتمنى لكم النجاح والموفقية في عملكم، كما ندعوكم بهذه المناسبة لتكونوا عنوانا نحو وحدة الصف والتلاقي لتسموا جميعا بالكلمة لتكون في خدمة الإنسان والعدالة والمساواة.

- مرة أخرى تحييكم .

منظمة حقوق الانسان في سوريا - ماف

القامشلي ٢٠٢١/١/٢٩م

صحيفة أدبية ثقافية شاملة باللغتين الكوردية والعربية

رئيس التحرير:

خورشيد شوزي

نائب رئيس التحرير:

د.محمود عباس

القسم الفني والكاريكاتير:

يحيى سلو

أكرم سيتي

الإخراج:

خورشيد شوزي

الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الكرد في سوريا

مؤسسة ثقافية أدبية فكرية مستقلة

تضم الكتاب والصحفيين الكرد في سوريا

تسعى إلى إعلاء الكلمة الكردية وتطوير الأدب والثقافة الكرديين

كما تهدف إلى تطوير الإعلام الكردي

تأسست في 22 نيسان 2004

البريد العام للاتحاد: Rewsenbirinkurd1001@gmail.com

البريد العام للجريدة: R.penusanu@gmail.com

شروط النشر في الجريدة

- أبواب الجريدة مفتوحة امام الجميع و هي ترحب بأي مساهمة أدبية أو فكرية.
- الجريدة ترحب بمساهمات أصدقاء الكرد من الكتاب والأدباء السوريين.
- ليست بالضرورة أن تعبر المواد والآراء المنشورة عن رأي وتوجهات الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الكرد في سوريا.
- تخضع المواد المرسلة إلى تقييم من جانب هيئة التحرير في الجريدة.
- الجريدة ترفض نشر المواد الخارجة عن قواعد الآداب العامة.